مَدِينَةُ الْكُتُبِ الْمُعَلّقَة

مَدِينَةُ الْكُتُبِ الْمُعَلّقَة

رِوَايَةٌ

بقلم / أمينة بن دنيدينة

إِنَّكَ تَكْتَرِثُ لِكُلِّ شَيْءٍ ،وَهَذَا مَا يَجْعَلُكَ أَتْعَسُ النَّاسِ ...

فيودرو دوستويفسكي

الأَحْدَاثُ كُلُّهَا خَيَالِيَّةٌ وَلَا تَشِي بِالْوَاقِعِ بِأَيِّ صِفَةٍ

الملتقى للنشر و التوزيع

إسم الكتاب : مدينة الكتب المعلقة

إسم المؤلف : أمينة بن دنيدينة

التصحيح اللغوي : الأستاذ/ عبدالله التواتي

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠٢١/٣٨٦٦

ISBN : 3-3-85835-977-978

•• جميع حقوق الطبع و النشر محفوظة للدار

ولا يجوز نقل او إقتباس أو إختزال أي جزء من الكتاب دون الرجوع إلى الناشر و الحصول على إذن خطي مسبق منه.

•• تنويه: المحتوى الأدبي هو مسئولية الكاتب بالكامل.

رئيس مجلس الإدارة :

حسام عزام

Moltaqapublishing@gmail.com

Tel: +20 109 901 6240

الْمُقَدّمَة

لَيْسَ لَدَيَ مَا أَقُوْلُهُ لَا تَسْتَهْوِينِي الْبِدَايَاتُ

مِنِي.. إِلَيْكَ:

كَانَ يُقَالُ لِي دَوْمًا أَيُّ عَالَمٍ تَعِيْشِيْنَ بِهِ ،لَو أَنَّ فَتَاةً مِثْلِي تَخْلِقُ عَوَالِمَ أُخْرَى بِمُجَرَّدِ اِنْدِمَاجِهَا بِمَا تَهْوَى مِن الْكُتُبِ وَالْمُوْسِيْقَى وَ التَفَاصِيلَ الَّتِي لَن يَرَاهَا أَحَدٌ غَيْرِي، بِكُلِّ شَيْءٍ قَد لَا يُمَثِّلُ مَعْنَى لِأَحَدِهُم لَكِنَّهُ بِالنِسْبَةِ لِي حَيَاَةٌ.

أَرَدْتُ لَو أَجْعَلُ بِدَايَةَ كِتَابٍ بِعُمْقِ شُعُوْرٍ كَالَّذِي سَتَسْتَمِدُّهُ بَيْنَ صَفَحَاتِهِ بِبِدَايَةٍ أَكْثَرَ دِرَامِيَّةً، تَجْعَلُكَ تُغوصُ فِيِ الْمَجْهُولِ حَتَّى تَلْعَنَ دَوْرِي كَكَاتِبَةٍ،أَن أُسْقِطَكَ فِيِ خَيَالِي الْوَهْمِيِّ قَبْلَ أَن أُرَحِّبَ بِكَ دَاخِلِي ...فَتَاةٌ مِثْلِي تَحْتَفِظُ بِجُزْءٍ خَفِيٍّ مِن حَيَاتِهَا تَخَافُ عَلَيْهِ أَن يَعْبَثَ بِهِ الْمَارَّةُ تَضَعَهُ جَانِبَاً تُمَارِسُ حَيَاَتَهَا الْمُعْتَادَةَ مِن دِرَاسَةٍ وَ مَوَاعِيدَ مُرَتَّبَةٍ وَ أُخْرَى عَبَثِيَّةَ مِن أَن تُلَاَقِيَ الْأَشْخَاصَ وَ تَتَكَلَّمَ الْأَحَادِيثَ الرُّوتِيْنِيَّةُ، أَن تُتَابِعَ الْأَحَادِيثَ جُلَّهَا وَ تُتَابِعَ الْعَيْشَ وَ التَعَايُشَ كَأَيِّ بَشَرِيٍّ يَعِيشُ السَّاعَاتِ الَّتِي تَمُرُّ حَتَى تَنْقَضِيَ وَ يَسْتَقْبِلُ يَوْمًا آخَرَ لِيُعِيدَ طَيَّهُ وَ هَكَذَا .. لَكِنْ بِدَاخِلِ تِلْكَ الْحَيَاةِ ذَاكَ السِرُّ الَّذِي قَد لَا يَفْهَمُهُ الْكَثِيْرُ إِلَّا مَنْ سَمَحَ لِرُوحِهِ وَ تَفْكِيرِهِ بِالسَّفَرِ لِأَبْعَدَ مِمَا تَرَى الْأَعْيُنُ أَن يَسْتَبْصِرَ ..أَن يَخْلُقَ عَالَمًا آخَرَ مِن مَا يَهْوَى ، ذَاكَ مَا يُرَتِّبُهُ الْفَنُ فِيْنَا يَفْتَحُ لَنَا عَالَمًا خَاصًّا بِنَا يَجْعَلُنَا فِيهِ نُعَبِّرُ عَن ذَوَاتِنَا كَرَاقِصَةٍ بَالِيه تَعْتَلِي الْخَشَبَةَ وَ تُؤَدِّي رَقْصَةً مَلْحَمِيَّةً تُخَلَّدُ فِيِ الْأَذْهَانِ أَن تَقُصَّ أَلَمَهَا أَن تَرْقُصَ عَلَى أَطْرَافِ أَوْجَاعِهَا، مَعَ كُلِّ خُطْوَةٍ كُنْتُ أَحْمِي ذَاكَ الْعَالَمَ الْخَيَالِيَ الَّذِي كُنْتُ أَجُولُ فِيهِ

ظَنًّا مِنِي فِيِ صِغَرِي أَنَّ تِلْكَ الْقَوْقَعَةَ الْخَيَالِيَّةَ الَّتِي كُنْتُ أَسْجِنُ نَفْسِي بِهَا أَن أُحَاكِيَ الطَبِيعَةَ وَ أَتَكَلَّمَ مَعَ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ تُجَسِّدُونَ مُخَيِّلَتِي أَن أَضْحَكَ لَهُمْ وَ أُمَثِّلُ

تِلْكَ الْأَدْوَارِ كُلَّهَا عَلَى خَشَبَةٍ مُغْلَقَةٍ، كَانَ سِرًّا لَذِيذاً لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ ،أَنِّي مُمَيِّزَةٌ أَنِّي أَسْتَطِيعُ خَلْقَ ذَاكَ الْعَالَمِ الزَّهْرِيِّ أَن أَضْحَكَ وَ أَفْرَحَ بَعِيدًا عَن أَقْرَانِي فَقَط وَحْدِي أَن أُشْبِعَ شُعُورِي بِالسَّعَادَةِ وَ الْمَرَحِ فَقَط فِي عَالَمِي، كَبِرْتُ و أَنَا أَحْمِي تِلْكَ الْفَتَاةَ الصَّغِيرَةَ دَاخِلِي ، الَّتِي تُرْسِلُ خَصَلَاتِ شَعْرِهَا الْمَسْدُولِ لِتَسْتَقْبِلَ أَشِعَّةَ الشّمْسِ الصَّبَاحِيّةَ وَ تُهَرْوِلُ حُرَّةً ضَاحِكَةً بَيْنَ ثَنَايَا الطَبِيعَةِ وَفِي ثَنَايَا عَقْلِي ، تَوَضَّحَت تِلْكَ الصُّورَةُ كَمَقْطَعٍ بِالْحَرَكَةِ الْبَطِيئَةِ، كَبِرْتُ وَتَوَسَّعَ عَالَمِي ضَامًّا الْكُتُبَ وَالْمُوسِيقَى ضَامًّا أَفْكَارِي وَتَدْقِيقِي فِي التَّفَاصِيلِ ضَامًّا حُبِّي لِلْوِحْدَةِ وَ الْعُزْلَةِ، تَفْضِيلِي لِلْهُدُوءِ وَالصَّمْتِ دَافِعًا لِلْعَالَمِ شَخْصِيَّةً اجْتِمَاعِيَّةً بِشَكْلٍ مُنْعَزِلٍ أَنَا بَيْنَ الْجَمِيعِ لَكِنّنِي وَحِيدَةٌ لَا انْتُمِي لِأَيٍّ مِن عَوَالِمِهِم ثُمَّ كَبِرْتُ الآن ، فَهِمْتُ أَنَّ تِلْكَ الْقَوْقَعَةَ الزَّهْرِيَّةَ أَصْبَحَتُ رَمَادِيَّةً مَعَ مُرُورِ الزَّمَنِ، أَصْبَحَ يُكَدَّسُ فِيهَا أَلَمِي أَجْمَعُهُ هُنَاكَ دُفْعَةً وَاحِدَةً وَأَقُومُ بِتَرْوِيضِهِ بِوَاسِطَةِ الْمُوسِيقَى وَ الْكُتُبِ وَالْكِتَابَةِ أَن أَسْمَحَ لَهُ بِالتَحَرّرِ لَعَلَّ عِبَارَةً فِي كِتَابٍ مَا أَو مَقْطَعٍ فِي سِمْفُونية مَا يُشْبِهُهُ فَيُؤْنَسُ بِهِ وَيَجْلِسَانِ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ قُبَالتِي، أَنَّ تِلْكَ الرَّمَادِيَّةَ هِيَ آثَارُ رَمَادِ رُوحِي تَكَدَّسَت بِالْحَائِطِ مَعَ مُرُورِ كالِاحْتِرَاقِ وَأَنَّ تِلْكَ الْقَوْقَعَةَ تُسَمَّى الْفَنَّ .....

لِنَأْمَل أَنَّ وَاقِعِي سَيُنْجِدُ وَاقِعَكَ لِنَنْغَمِسَ مَعًا وَ نَنْتَشِيَ

أَيْنَ أَنْتَ الآن؟

فِي مَكَانٍ بَعِيْدٍ لَا يَعْرِفُ عُنْوَانًا وَ فِي زَمَنٍ لَا يَعْرِفُ أَرْقَامًا

أَنْتَ دَاخِلَ تَلَافِيفِ مُخَيِّلَتِي تَرَى عَقْلِي الْمُضْطَرِبَ وَ هُوَ يَرْسِمُ الْأَحْدَاثَ، لِنَتَّفِقَ عَلَى أَمْرٍ لَا أَعْلَمُ عَن الْحَيَاةِ الْكَثِيرِ، بَل إِنِّي حَتَّى أَحْيَانًا لَا أَعْلَمُ مِن أَيِّ طَرِيقٍ عَلَيَّ أَن أَسْلُكَ؟

لِذَا لَا تُسَلِّم زِمَامَ عَقْلِكَ لِيَسْتَنْبِطَ الْعِبَرَ مِنِّي، إنِّي أُظْهِرُ أَحْرِفِي لِأُخْفِينِي وَ لَا أَحَدَ يَعْلَمُ الْكَثِيرَ عَنِ الْحَيَاةِ كُلُّنَا نَرَى مَا نَسْتَطِيعُ اِسْتِيعَابَهُ هُنَاكَ الْكَثِيرُ مِنَ الْحَقَائِقِ الْمُبْهَمَةِ وَرَاءَ كُلِّ شَيْءٍ...

الْفَصْلُ الْأَوّلُ

هِوَايَةُ رُكُوبِ الْقِطَارِ

فِي صبَاحَاتٍ كَتِلْكَ الَّتِي تُشْبِهُ الصَّحْوَةَ الْأُولَى مِنْ حُلُمٍ غَيْرِ مَفْهُومٍ ، ضَوْءٌ خَافِت عَبْرَ النَّوَافِذِ مُسْتَرْسِلٌ مِن الْفَتَحَاتِ الصَغِيرَةِ كَخُيُوطٍ مِن نُورٍ مُتَقَاطِعَةٍ بِشَكْلٍ بَاهِتٍ تَجْمَعُ الْغُبَارَ بِهَا ، إِنَّهَا نَسَمَاتُ الصَبَاحِ هُنَاكَ فَتَاةٌ مُسْتَلْقِيَةٌ بِوَضْعِيَّةِ الْجَنِيْنِ تَضُمُّ أَطْرَافَهَا مُحَاوِلَةً إِمْسَاكِ مَا تَبَقَّى مِنْهَا مُحَاوِلَةً اِسْتِجْمَاعِ ذَاتِهَا الْمُنْفَصِلَةِ لِأَلْفِ قِطْعَةٍ، فَتَحَت عَيْنَاهَا بِشَكْلٍ بَطِيءٍ يُشْبِهُ الْأَمْرَ مَشْهَدًا خَيَالِيًّا لِأَوَّلِ اِسْتِيقَاظٍ فِي مَا يُسَمَّى جَنَّةَ الْخُلْدِ رَأَتِ النُّورَ الْمُنْبَعِثَ مِنَ النَّافِذَةِ رَفَعَت يَدَهَا بِبُطْءٍ بِحَرَكَةٍ ذَاتَ مَعْنَى مَا وَ رَاحَت تَتَأَمَّلُ يَدَهَا وَ هِيَ تَرْتَفِعُ لِتَفْصِلَ تِلْكَ الْخُطُوطُ النُّورَانِيَّةُ نَفْسُ الْحَرَكَةِ كَانَت تَفْعَلُهَا فِي صِغَرِهَا تُحَاوِلُ إِمْسَاكَ النُّورِ السَّاطِعِ قَبْلَ أَنْ يَخْتَفِيَ وَ يَتْرُكَهَا تَتَخَبَّطُ فِي ظُلْمَتِهَا ،تَرْتَدِي فُسْتَانًا أَبْيَضَ مُلْتَصِقًا عَلَى جِسْمِهَا الْمُتَنَاسِقِ نَهَضَت بِبُطْءٍ وَضَعَت أَطْرَافَ أَصَابِعِهَا عَلَى الْأَرْضِ رَاحَت تَتَأَمَّلُ الْغُرْفَةَ وَكَأَنَّهَا أَوَّلُ مَرَّةٍ تَرَى هَذَا الْمَكَانَ وَ كَأَنَّهَا تَتَسَاءَلُ أَيْنَ أَنَا!...أَلَا تَأْتِيكَ لَحَظَاتٍ كَتِلْكَ تَتَوَقَّفُ فِيهَا تَتَأَمَّلُ السَّطْحَ وَكَأَنَّكَ أَفَقْتَ فَجْأَةً لِتَسْأَلَ نَفْسَكَ

مِن أَنَا؟..

مَاذَا أَفْعَلُ؟..

أَيْنَ أَنَا؟..

ثُمَّ تَعُودُ مَرَّةً أُخْرَى لِتُجَارِي ضَجِيجَ الْحَيَاةِ وَ تُكَدِّسُ تُسَاؤُلَاتِكَ فِي مَكَانٍ تَجْهَلُهُ ...تِلْكَ الْفَتَاةُ لَم تَسْتَيْقِظ يَوْمًا تَعِيشُ الْوَاقِعَ مُغِيبَةَ الْعَقْلِ ...إِنَّهَا لَا تَعِيشُ بَل تَتَعَايَشُ لَيْسَ إِلَّا.. السَّاعَةُ التَّاسِعَةُ صَبَاحًا ذَاكَ مَا أَظْهَرَهُ الْجِهَازُ الْمَوْضُوعُ بِجَانِبِ سَرِيرِهَا لِأَصِفَهَا لَكَ لِتَكُونَ أَكْثَرَ دِرَايَةً بِهَذَا الْوَجْهِ الْخَيَالِيّ الَّذِي يَعْبَثُ فِي مُخَيِّلَتِكَ بَيْضَاءُ الْبَشَرَةِ نَقِيَّةُ الْمَلَامِحِ ذَاتِ شَعْرٍ أَسْوَدٍ قَصِيرٍ يَتَوَقَفُ عِنْدَ أُذُنِهَا تَمِلِكُ شَامَّةً فِي وَسَطِ

خَدّهَا الْأَيْسَرِ كَنُقْطَةِ حِبْرٍ فِي وَرَقَةٍ بَيْضَاءَ، عَيَّنَاهَا بِلَوْنِ الْقَهْوَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَاسِعَتَانِ ذَاتُ لَمَعَانٍ مُمَيّزٍ ،ذَاتُ شَفَتَيْنِ وَرَدِيَّتَيْنِ تَمْنَحُكَ شُعُورًا غَرِيبًا حِينَ تَأْمُّلِهَا لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ، إنَّ تَفَاصِيلَ مَلَامِحِهَا تَمْلِكُ الْكَثِيرَ لِتَقُولَهُ وَكَأَنَّ تَفَاصِيلَ وَجْهِهَا الْمُتَنَاسِقِ عَالَمٌ بِحَدّ ذَاتِهِ ... نَهَضَت مِن مَكَانِهَا وَ اتَّجَهَت إلَى الْمَطْبَخِ، مَطْبَخٌ صَغِيرٌ نِسْبِيًا ذُو طِرَازٍ قَدِيمٍ تَتَوَاجَدُ فِي وَسَطِهِ طَاوِلَةٌ حَطَبِيّةٌ مُسْتَدِيرَةٌ تَجْلِسُ فِي أَحَدِ كَرَاسِيهَا اِمْرَأَةٌ فِي حُدُودِ الثَّلَاثِينَ حِنْطِيةُ الْبَشَرَةِ قَوِيَّةُ الْبُنْيَةِ شَعْرُهَا الْبُنِيُّ الْمُجْعَّدُ مُغَطًّى بِمِنْدِيلٍ أَخْضَرٍ مُتَدَاخِلِ الْأَلْوَانِ وَالتَّفَاصِيلُ تَرْتَشِفُ الْقَهْوَةُ بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ دَخَلَت سَلْمَى، الْفَتَاةُ الَّتِي حَدَّثْتُكَ عَنْهَا قَبْلَ قَلِيلٍ تُدْعَى سَلْمَى تَوَجَّهَت الْمَرْأَةُ بِنَظْرَةٍ حَادَّةٍ دَانِيَةٍ لِسَلْمَى رَمَقَتَهَا بِتِلْكَ النَّظْرَةِ ثُمَّ أَنْزَلَت عَيْنَيْهَا فِي حُدُودِ كُوبِ الْقَهْوَةِ الْأَبْيَضِ الْمَوْضُوعِ فَوْقَ الطَّاوِلَةِ{إنَّ مَا تُرِيهِ الْأَعْيُنُ يَكُونُ أَبْعَدَ بِكَثِيرٍ مِمَا تَخِيطُهُ الْكَلِمَاتُ} اتَّجَهَت سَلْمَى لِتَصُبَّ كَأْسَ قَهْوَةٍ مِنَ الْإِبْرِيقْ الْمَنْحُوتِ بِالزُرْقَةِ الْمُتَوَاجِدِ فَوْقَ الطَّاوِلَةِ ثُمَّ جَلَسَت بِرُوِيَّةٍ وَ اِنْسِيَابٍ مُوَجِهَةِ الْكَلَامِ لِتِلْكَ الْمَرْأَةِ

_صَبَاحُ الْخَيْرِ خَالَتِي

ثمَّ انْتَقَلْنَا لِفِقْرَةِ صَمْتٍ أُخْرَى، كُلٌّ مَا فَعَلَتْهُ خَالَتُهَا هُوَ رَمَقُهَا بِنَظْرَةٍ أُخْرَى لَا تَخْتَلِفُ فِي الْمَضْمُونِ عَن الْأُولَى كُلٌّ مَا نَسْتَطِيعُ سَمَاعَهُ مِن الْأَعْلَى هُوَ صَوْتُ الْكُؤُوسِ وَ هِيَ تَعْلُو وَتَهْبِطُ فَوْقَ الطَّاوِلَةِ مَعَ كُلّ رَشْفَةٍ نَسِيتُ أَن أُخْبِرَكَ أَمْرًا إنَّنَا نَرَى الْأَحْدَاثَ مِنَ الْأَعْلَى تَمَامًا كَشَاشَةٍ مُسَطَّحَةٍ نَسْتَطِيعُ الْعَبَثَ بِتَفَاصِيلِهَا كَكَامِيرًا تَتَتَبَّعُ تَفَاصِيلَ فِيلْمٍ مَا، لَن يَكُونَ دَوْرُكَ سِوَى الْمُكُوثُ بِجَانِبِي وَ مُتَابَعَةُ الْأَحْدَاثِ لَيْسَ إلَّا، الْكُتُبُ مُعَلَّقَةٌ فِي جَوَانِبِ جُلُوسِنَا الْخَشَبَةَ أَسْفَلَنَا ، سَتَسْقُطُ الشَّخْصِيَّاتُ مَعَ كُلّ مَكَانٍ نَجْلِسُ فَوْقَهُ لِنُتَابِعَهَا وَهِيَ تَسْقُطُ مِن النَّصّ لِتَتَحَوَّلَ إلَى شُعُورٍ مُتَحَرّكٍ،

شُعُورٌ مُمْتِعٌ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ الْعَبَثَ مَعَ الشَّخْصِيَّاتِ كَمَرِيضٍ نَفْسِيٍّ تَمَامًا يَضْحَكُ حِينَمَا يَبْكِي أَحَدُهُمْ وَيَحْتَقِنُ حِقْدًا حِينَ رُؤْيَةِ بَسْمَةٍ صَادِقَةٍ رَسَمَهَا هُوَ فَوْقَ شَفَتَي شَخْصِيَّةٍ مَا

دَخَلَ خَالِدٌ ،مَن هُوَ خَالِدٌ ؟حَسَنًا ابْنُ خَالٍ سَلْمَى إِنَّهَا رِوَايَةٌ تِرَاجِيدِيَّةٌ لَم يَكُن ظَنُّكَ خَائِبًا ،سَلْمَى يَتِيمَةُ الْأَبَوَيْنِ فَقَدَت وَالِدَيْهَا وَ هِيَ ابْنَةُ الْخَامِسَةِ، فِي اخْتِنَاقِ غَازٍ أَعْلَى الْعِمَارَةِ الَّتِي كَانَت تَقْطُنُ بِهَا بَعْدَ ذَلِكَ الْحَادِثِ الَّذِي قَصَّ جَنَاحَيْهَا هِيَ الْآنَ فِي مَنْزِلِ خَالَتِهَا إِذْ أَنَّهَا الْوَحِيدَةُ الَّتِي تَبَقَّتْ لَهَا بَعْدَ ذَلِكَ الْحَادِثِ الْمُرَوّعِ أَو بِالْأَحْرَى كَانَت الْوَصِيَّةُ تَنُصُّ عَلَى بَقَائِهَا تَحْتَ كَنَفِ خَالَتِهَا ... لَن تَسْمَحَ لِي سَلْمَى أَن أَدْمِجَكَ مَعَ النَّصِّ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا وَ لَا تَسْتَغْرِبُ مَا تَرَاهُ هُدُوءُهَا الْمُصْطَنَعَ وَ تَحَرُّكَاتِهَا الْغَامِضَةَ بُرُودِهَاوَ لَا مُبَالَاتُهَا لَم يَأْتِ كُلُّ ذَلِكَ صُدْفَةً، لَا شَيْءَ يَأْتِي صُدْفَةً،كُلُّ شَيْءٍ لَهُ نَتِيجَةٌ مُؤَجَّلَةٌ لَن نُدْرِكَهَا فِي أَوَانِ الْوُقُوعِ ... يَحْدُثُ أَن تَرْتَسِمَ أَحْدَاثٌ فِي الصِّغَرِ تَكُونُ مُخَبَّأَةً بِذَاتِ الْمَشَاعِرِ فِي بُقْعَةٍ مَا مِن عَقْلِنَا اللَّاوَاعِي إِذ أَنَّكَ أَحْيَانًا تَرَاهَا كَمَقَاطِعٍ مُجْزِئَةٍ، وَ بِرُؤْيَةٍ ضَبَابِيَّةٍ غَيْرِ وَاضِحَةٍ حُفِرَت تِلْكَ الْأَحْدَاثُ فِي عَقْلِ تِلْكَ الصَّغِيرَةِ بِتَفَاصِيلِهَا الدَّقِيقَةِ حَتَّى بِطَرِيقَةِ نُطْقِ اسْمُهَا بِتِلْكَ النَّبْرَةِ حِينَمَا هَرْوَلَت مُسْرِعَةً لِحُضْنِ خَالَتِهَا، أَحْدَاثٌ كَتِلْكَ لَن تَسْتَطِيعَ سَرْدَهَا وَ لَنْ تَسْتَطِيعَ التَّمَلُّصَ مِنْهَا ،فِي حَيَاةِ كُلِّ شَخْصٍ مِنَّا أَحْدَاثٌ تَحْصُلُ لَهُ فِي صِغَرِهِ تَبْقَى رَاسِخَةٌ فِي ثَنَايَا عَقْلِهِ ، إِذ أَنَّ ذَاكَ الْجِسْمَ الصَّغِيرَ، تِلْكَ الرُّوحُ الْهَشَّةُ لَم تَسْتَطِع الدِّفَاعَ عَن نَفْسِهَا، نَكُونُ فِي الصِّغَرِ كَدُمَى مُعَلَّقَةٍ تُتَابِعُ الْأَحْدَاثَ ،تُرَى مِن دُونِ إِدْرَاكٍ لِمَا يَحْدُثُ فَقَط تُلَاحِظُ، الشُّعُورُ سَيُولَدُ بِغَرَابَةِ لَحْظَتِهَا ثُمَّ سَيَنْضَجُ مَعَ كِبْرِكَ حَتَّى تَفْهَمَ الدَّوَافِعَ فَتَسْتَنْبِطُ أَنَّ تِلْكَ الْأَحْدَاثَ وَقَعَت بِشَكْلٍ أَو بِآخَرَ مَضَت لَكِنَّهَا سَتُرَسِّخُ دَاخِلَكَ سَتَعْبَثُ فِي كَوَابِيسِكَ

سَتَظَلُّ تُطْمَئِنُ ذَاكَ الطِّفْلَ الصَّغِيرَ دَاخِلَكَ الْجَالِسُ فِي زَاوِيَةٍ يَضُمُّ أَطْرَافَهُ وَ يُطَأْطِئُ رَأْسَهُ فِي حَلْقَةٍ مُظْلِمَةٍ سَتَحْمِلُهُ لِيَرَى النُّورَ، سَيَبْقَى ذَاكَ الطِّفْلُ وَلِيدًا دَاخِلَكَ وَ لَن يَرْحَلَ ...لِنَعُد بِالذِكْرِ لِسَلْمَى هِيَ لَا تَعْلَمُ أَنِّي أَخِيطُ الْأَحْدَاثِ عَنْهَا لَكِن لِلْأَمَانَةِ لَا أَسْتَطِيعُ التَّعْبِيرَ عَن دَاخِلِهَا شَخْصِيَّتُهَا تَدْفَعُنِي لِذَلِكَ هِيَ مُتَكَتِّمَةٌ بِشَكْلٍ يَصْعُبُ فَهْمُهُ وَ بِتَحَرُّكَاتٍ يَصْعُبُ إِدْرَاكُ دَوَافِعِهَا شَيْءٌ مَا حَدَثَ أَنَا مُتَيَقِّنَةٌ مِن ذَلِكَ

لَكِن يَصْعُبُ عَلَيَّ الِاسْتِنْجَادُ بِأَحَاسِيسِي لِأَفْهَمَ مَكْنُونَاتِ رُوحِهَا، لَعَلِّي فِي الصَّفَحَاتِ الْقَادِمَةِ أَسْتَطِيعُ فَهْمَ هَذِهِ الشَّخْصِيَّةِ بِالْغَوْصِ أَكْثَرَ فِي تَفَاصِيلِهَا وَ تَحَرُّكَاتِهَا، لِنُتَابِعَ فَقَط مَا يَحْدُثُ فِي الْأَسْفَلِ

مَرَّتْ الدَّقَائِقُ إِنَّهَا تَمُرُّ عَلَى كُلِّ حَالٍ اسْتَقَلَّت سَلْمَى الْقِطَارِ، تِلْكَ مِن الْهِوَايَاتِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي لَم أَسْتَطِع فَهْمَهَا يَوْمًا ،تَسْتَقِلُّ سَلْمَى الْقِطَارَ كُلَّ يَوْمِ سَبْتٍ وَالْيَوْمَ

السَّبْتَ، تَصْعَدُ فِي الْقِطَارِ تُرَاقِبُ الطَّرِيقَ مِنَ النَّافِذَةِ وَهِيَ مُسْنِدَةٌ رَأْسُهَا بِحَرَكَةٍ تَأَمُّلِيَّةٍ، مِن بَعِيدٍ قَد تَرَى وَجْهَهَا الْهَادِئَ حَزِينًا، مَلَابِسُهَا بَسِيطَةٌ وَلَكِنَّهَا تُثِيرُ الِانْتِبَاهَ مِن دُونِ حَتَّى مُحَاوَلَةٍ أَو رَغْبَةٍ مِنْهَا، وَرَاءَ شُرُودِهَا فِي الطَّرِيقِ سِرٌ غَرِيبٌ لَم أَفْهَمْهُ بِالرَّغْمِ أَنِّي قَبْلَ أَن أَدْعُوَكَ لِمُرَاقَبَةِ الْأَحْدَاثِ مَعِي رَاقَبْتُهَا مِرَارًا وَ تَكْرَارًا وَ أَنَا جَالِسَةٌ هُنَا قَبْلُ حَتَّى أَن أَنْوِيَ الْعَبَثَ فِي النَّصِّ، لَن أَتَدَخَّلَ لَيْسَ بَعْدَ دَعْهَا تَسْتَقِرُّ فِي النَّصِّ دَعْهَا تَغْرِسُ مَخَالِبَهَا فِي الشُّعُورِ أَكْثَرَ، دَعْنَا نَرَاهَا صَعِدَت الْقِطَارَ رَأَت الْأَلْوَانَ الْخَرِيفِيَّةَ وَ هِيَ تُلَطِّخُ كُلَّ بُقْعَةٍ مِن الْأَرَاضِي الْفِلَاحِيةِ الْمُوَزَّعَةِ بِانْتِظَامٍ، أَتُدْرِكُ أَنَّهَا لَا تُرَاقِبُ الطَّرِيقَ كَمَا نَفْعَلُ أَتُدْرِكُ أَنَّهَا تَنْغَمِسُ فِي عَالَمٍ آخَرَ لَا نَعْلَمُ عَنْهُ شَيْءٌ، تَعَالِيمُ وَجْهِهَا لَا تَشِي أَنَّهَا تُرَاقِبُ الطَّرِيقَ بَل تُرَاقِبُ أَفْكَارَهَا تُعِيدُ صِيَاغَةَ

مَاضِيهَا فِي شَكْلٍ أَكْثَرَ أَوْجًا، تَتَسَاقَطُ أَفْكَارُهَا تَمَامًا كَتِلْكَ الْأَوْرَاقِ الْخَرِيفِيَّةِ الَّتِي تَمَسَّكَت بِأَصْلِهَا لِحَدِّ كُهُولَتِهَا، أَمَحْكُومٌ عَلَيْهَا بِالْمَوْتِ الْبَطِيءِ ذَاكَ مَا أَخْشَاهُ فِعْلًا..

تَوَالَت الْأَيَّامُ الرُّوتِينِيَّةُ الَّتِي تَحْمِلُ أَكْثَرَ الْمَشَاعِرِ عُمْقًا،أَيَّامٍ هَادِئَةٌ لَا تَحْمِلُ حَدَثًا جَدِيدًا كَخَطٍّ مُسْتَقِيمٍ بِلَا اعْوِجَاجٍ، الْأَيَّامُ كُلُّهَا مُتَشَابِهَةٌ تَسْتَيْقِظُ سَلْمَى صَبَاحًا تَرْتَدِي مَلَابِسَ بَسِيطَةً تَذْهَبُ لِلْمَدْرَسَةِ الْمُجَاوِرَةِ لِمَنْزِلِهِمْ هُدُوءٌ دَاخِلَ الْمَنْزِلِ لَا تَوَاصُلٌ ظَاهِرٌ ، بِغَيْرِ تَوَاصُلِ الْخَالَةِ مَعَ ابْنِهَا خَالِدٍ وَتَقْدِيسِهَا لِحَيَاتِهِ وَ اهْتِمَامَاتِهِ بِرَسْمِ تِلْكَ الِابْتِسَامَاتِ الْمُطَوَّلَةِ الْمُضَجَّرَةِ حَدَّ السَّأْمِ ،

بِالنِّسْبَةِ لِسَلْمَى تِلْكَ الِأجْوَاءِ خَانِقَةً تَمْقُتُهَا لَكِن لَا يَعْلُو نِصْفُ شُعُورِ وَجْهِهَا ، مَلَامِحُهَا جَامِدَةٌ بَارِدَةٌ كَصقِيعِ مُوسْكُو وَلَا يَخْفَى عَنْكَ مُرَاقَبَةُ خَالِدٍ لِسَلْمَى كَظِلٍّ أَعْوَجَ بِشُكُوكٍ شَرْقِيَّةٍ تَدْفَعُكَ لِلتَّقَيُّؤِ، يَسْمَحُ لَهَا بِالذَّهَابِ مَرَّةً فِي الأسْبُوعِ لِعَمَّتِهَا الَّتِي تَقْطُنُ بَعِيدَةً عَن بَيْتِهَا بِعَشْرِ كِيلُومِتْرَاتٍ يُمْكِنُ الْقَوْلُ أَنَّهُ الْحَدَثُ الْوَحِيدُ الَّذِي يَحْدُثُ فِي حَيَاتِهَا مُنْذُ 15سَنَةً وَيُشْعِرُهَا بِالرِّضَا لَن أَقُولَ لَكَ أَنَّهَا تَشْعُرُ بِالسَّعَادَةِ مُصْطَلَحٌ كَهَذَا لَا تَفْهَمْ سَلْمَى مَعْنَاهُ لَيْسَ لِقِلَّةِ خِبْرَتِهَا فِي الْحَيَاةِ بَلْ لِأَنَّهَا لَا تَعْرِفُ كَيْفَ يَحْدُثُ أَو لَن تُمَيِّزَهُ فِي ظِلِّ تِلْكَ الْقَوْقَعَةِ الْمُتَشَابِكَةِ مِن الْأَفْكَارِ الَّتِي لَا تَفْهَمُهَا، الْيَوْمَ السَّبْتَ اسْتَيْقَظَت سَلْمَى صَبَاحًا عَلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ إِلَّا رُبْعٌ حَمَلَتْ دَفْتَرَهَا الزُّهْرِيَّ الْقَاتِمَ الْمَوْضُوعَ فَوْقَ طَاوِلَتِهَا تَفَقَّدَت الْمُذَكِّرَةُ حَتَّى تَتَأَكَّدَ أَنَّهُ السَّبْتُ، نَهَضَت بِقَلِيلٍ مِن النَّشَاطِ فَتَحَت خِزَانَتُهَا الْتَقَطَت مِنْهَا فُسْتَانًا رَمَادِيًّا هَادِئَ التَّفَاصِيلِ خَفِيفَ الْمَلْمَسِ بِطُولٍ يَتَعَدَّى رُكْبَتَيْهَا ضَيِّقٌ عَلَى خَاصِرَتِهَا تَبْدُو بِهِ بَالِغَةَ الْأُنُوثَةِ وَانْتَعَلَت حِذَاءًا بَسِيطًا أَبْيَضَ اللَّوْنِ ذُو تَفْصِيلٍ أَنِيقٍ كَزَهْرَةٍ خَيْطِيَّةٍ فِي جَانِبِهِ الْأَيْمَنِ خَرَجَت مِن غُرْفَتِهَا جَلَسَت بِحَرَكَةٍ آلِيَّةٍ فَوْقَ الْكُرْسِيِّ الْمُتَوَاجِدِ فِي الرُّدْهَةِ تَنْتَظِرُ

اتّصَالَ عَمَّتِهَا فِي الْهَاتِفِ لِتُخْبِرَ الْخَالَةَ أَنْ تُرْسِلَ لَهَا سَلْمَى، بَقِيَت تَنْتَظِرُ قُرَابَةَ النِّصْفِ سَاعَةً حَتَّى رَنَّ الْهَاتِفُ الْمَوْضُوعَ فَوْقَ الطَّاوِلَةِ اتَّجَهَت الْخَالَةُ لِحَمْلِ الْهَاتِفِ بِحَرَكَاتٍ تَحْفَظُهَا سَلْمَى عَن ظَهْرِ قَلْبٍ فَهِمَت أَنَّ الِاتّصَالَ مِنْ عَمَّتِهَا ، تَعَلَّكَت تَفَاصِيلُ الْخَالَةِ حِينَ قَوْلِ ذَلِكَ لِسَلْمَى

_الاتّصَالُ مِنْ عَمَّتِكِ تَطْلُبُ مِنْكِ الْحُضُورَ

لَمْ تَنْتَظِرْ حَتَّى رَدَّهَا بَلِ اتَّجَهَت مُسْرِعَةً لِلْمَطْبَخِ لِتَحْضُرَ الْفُطُورَ لِطِفْلِهَا الْكَبِيرِ فَتَحَت سَلْمَى بَابِ الْمَنْزِلِ حَمَلَت حَقِيبَةَ ظَهْرِهَا وَ تَرَجَّلَت مِنَ الْحَيّ الْبَسِيطِ الَّذِي تَقْطُنُ بِهِ إِلَى مَكَانِ الْقِطَارِ قَرَأْتُ اللَّافِتَةَ الْمُعَلَّقَةَ ، ذَاكَ مَا تَفْعَلُهُ دَوْمًا رَغْمَ تَيَقُّنِهَا التَّامِّ أَنَّ هَذَا الْقِطَارَ بِالذَّاتِ الْمُتَوَجّهِ لِعَمَّتِهَا صَعِدَت ،اخْتَارَت الْمَكَانَ بِجَانِبِ النَّافِذَةِ كَكُلّ مَرَّةً أَسْنَدَت رَأْسَهَا عَلَيْهَا رَفِعَت عَيْنَاهَا بِرُمُوشِهَا الْمُوَزَّعَةِ وَ رَكَّزَت نَظَرَهَا عَلَى الطَّرِيقِ دَخَلَ شَابٌ الْقِطَارَ حِنْطِيَّ الْبَشَرَةِ طَوِيلَ الْقَامَةِ جَذَّابُ التَّفَاصِيلِ ذُو ابْتِسَامَةٍ مُفْتَعَلَةٍ تُثِيرُ ضَجِيجَ الْقُلُوبِ،ذَاكَ مَا قَالَتْهُ الْفَتَاةُ ذَاتُ الشَّعْرِ الْبُنِيّ الْجَالِسَةُ قُبَالَةَ سَلْمَى فِي قَلْبِهَا وَهِيَ تُلَاحِظُ اعْتِلاهُ الْقِطَارَ، يَرْتَدِي قَمِيصًا أَسْوَدَ قَاتِمًا وَسِرْوَالًا بِدَرَجَةٍ أَقَلَّ مِنْ الْقَتامَةِ جَلَسَ بِجَانِبِ سَلْمَى مَرْفُوعَ الْكَتِفَيْنِ وَاثِقَ النَّظَرَاتِ يَعْلَمُ أَنَّ تِلْكَ الْوُجُوهَ الْمُوَزَّعَةَ فَوْقَ الْكَرَاسِي تَتَفَحَّصُهُ بِإِعْجَابٍ ظَاهِرٍ ، لَم تَنْتَبِه سَلْمَى لِتِلْكَ الْجَلَبَةِ الْهَادِئَةِ فِي الْأَوْجُهِ بَل لَم تَنْتَبِه مُطْلَقًا لِجُلُوسِ شَخْصٍ مَا جَانِبَهَا ،طَوَالَ الطَّرِيقِ وَذَاكَ الْفَتَى يُرَاقِبُ سَلْمَى يُرَاقِبُ تَدَرُّجَ لَوْنِ شَعْرِهَا الْقَصِيرِ مَعَ انْعِكَاسِ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ يُلَاحِظُ بُرُودَ مَلَامِحِهَا يُلَاحِظُ الْحُزْنَ الْمَكْبُوتَ فِي لُمْعَةِ عَيْنَيْهَا يُلَاحِظُ ذَاكَ الْوَجْهَ الْمَلَائِكِيَّ وَ هُوَ يُرَاقِبُ الطَّرِيقَ غَيْرُ عَابِئٍ لِمَا يَحْدُثُ حَوْلَهُ أَصْدَرَ الْفَتَى صَوْتًا كَحَّةٍ قَاصِدًا لَفْتَ انْتِبَاهِهَا لَكِنَّهَا لَم تَسْتَدِر وَاسْتَمَرَّ حَالُهَا هَكَذَا حَتَّى تَوَقَّفَ الْقِطَارُ

نَهَضَت سَلْمَى مِن مَكَانِهَا وَتَلَاقَت نَظَرَاتُهُم بِشَيْءٍ مِنَ الْإِعْجَابِ مِنَ الشَّابِّ وَبِشَيْءٍ مِنَ الْبُرُودِ الْمُعْتَادِ مِن سَلْمَى، أَخْفَت نَظَرَهَا عَنْهُ حَمَلَت حَقِيبَتُهَا وَنَزَلَتْ مِن الْقِطَارِ هَرْوَلَت مَشْيًا لِحَدِّ وُصُولِهَا لِبَيْتِ الْعَمَّةِ الْخَشَبِيِّ فِي تِلْكَ الْقَرْيَةِ الرِّيفِيَّةِ الْهَادِئَةِ الْمُتَوَاضِعَةِ وَخَفِيَ عَنْهَا أَنَّ شَخْصًا مَا تَتْبَّعَهَا ذَاكَ الشَّابُّ؟ نَعَم ،

دَقَّت الْبَابَ بِهُدُوءٍ تُجِيدُهُ ،فَتَحَتْ الْعَمَّةُ الْبَابَ وَرَحَّبَت بِهَا بِحُبٍّ ظَاهِرٍ عَانَقَتْهَا وَطَلَبَت مِنْهَا الدُّخُولَ، انْحَنَت سَلْمَى لِتَنْزِعَ حِذَائَهَا فَمَنَعَتْهَا الْعَمَّةُ بِنَبْرَةٍ بَسِيطَةٍ تُجِيدُهَا وَبَطِيبَةِ قَلْبٍ لَن تَجِدَ مِثْلَهَا إِلَّا فِي تِلْكَ الْبُيُوتِ الْقِصْدِيرِيَّةِ فِي أَجْوَاءٍ لَا تُقَدِّسُ الْمَظَاهِرُ رَحَّبَتِ الْعَمَّةُ بِسَلْمَى وَ دَعَتْهَا لِلْجُلُوسِ ، رَاحَت تُهَرْوِلُ هُنَا وَهُنَاكَ بِحَرَكَةٍ سَرِيعَةٍ تَضَعُ فَوْقَ الْمَائِدَةِ الْبَسِيطَةِ كُلَّ مَا لَذَّ لِتَطَيبَ قَلْبَ الْفَتَاةِ ،لِحِينِ أَنْ قَالَتْ سَلْمَى بِبَسْمَةٍ صَادِقَةٍ قَلِيلًا مَا تَظْهَرُ عَلَى مَحْيَاهَا

_اجْلِسِي يَا عَمَّتِي يَكْفِي كُلَّ مَا طَهَوْتِ.

رَدَّتِ الْعَمَّةُ بِشَيْءٍ مِنَ التَّوَاضُعِ وَالْحَنَانِ :

_ تَأْتِينَنِي مَرَّةً فِي الْأُسْبُوعِ أَنْتَظِرُ هَذَا الْيَوْمَ بِفَارِغِ الصَّبْرِ لِتَأْتِيَ ابْنَتِي وَ تَزُورَنِي وَ تَابَعَتْ الْعَمَّةُ تَحَرُّكَاتِهَا تِلْكَ بِتَكَلُّفٍ بَسِيطٍ تُجِيدُ افْتِعَالَهُ ، طَاوِلَةً بَسِيطَةً كَتِلْكَ لَنْ تَتَذَوَّقَ أَلَذَّ مِن طَعَامِهَا تُطْرَحُ بَرَكَةً خَاصَّةً مِنَ الْمَوْلَى فَوْقَ تِلْكَ الْمَأْكُولَاتِ تَنَاوَلَت سَلْمَى طَعَامِهَا وَ رَاحَتِ الْعَمَّةُ تُرْسَلُ عَلَيْهَا سَيْرًا مِنَ الْأَسْئِلَةِ مِنْ قَبِيلِ

_كَيْفَ تُعَامِلُكَ خَالَتُكَ؟

_أَلَن تَأْتِي لِلْعَيْشِ مَعِي؟

_ كَيْفَ أَحْوَالُ دِرَاسَتِكَ؟

_ هَلْ مِن خَطَّابٍ أُرِيدُ أن أَرَاكِ عَرُوسًا

ذَاكَ كُلُّ مَا كَانَ يَدُورُ فِي عَقْلِ الْعَمَّةِ وَ ذَاكَ مَا قَالَتْهُ بِذَاتِ الظُّنُونِ الَّتِي تَدُورُ فِي خَاطِرِهَا ،كَانَتْ تُجِيبُ سَلْمَى بِشَيْءٍ مِن التَّحَفُّظِ فِي أَسْئِلَةٍ وَ بِكَمِّيَّةٍ عَارِمَةٍ مِن التَّفَاصِيلِ فِي أَسْئِلَةٍ أُخْرَى وَ لَعَلَّكَ تُلَاحِظُ تَمَوُّجَاتِ صَوْتِهَا وَتَحَرُّكَاتِ مَلَامِحِهَا فَقَط عِنْدَمَا تَخْتَلِي بِعَمَّتِهَا غَيْرُ ذَلِكَ هِيَ مُعْتَادَةٌ عَلَى الصَّمْتِ فِي مَنْزِلِهِم الَّتِي لَم تَنْتَمِي لَهُ يَوْمًا وَ فِي مَدْرَسَتِهَا أَيْضًا لَنَعْتِهَا دَوْمًا بِغَرِيبَةِ الْأَطْوَارِ الْبَارِدَةِ ، انْتَهَى ذَاكَ الْيَوْمُ كَكُلِّ يَوْمٍ رَجَعَت سَلْمَى لِمَنْزِلِهِم وَ تَوَالَتِ الْأَحْدَاثُ الرُّوتِينِيَّةُ وَ تَوَالَت لِقَاءَاتُ سَلْمَى بِذَاكَ الشَّابِّ بِغَيْرِ مُلَاحَظَةٍ مِنْهَا، عَرِفَ هُوَ بِدَوْرِهِ أَيَّامَ ذَهَابِهَا بِالْقِطَارِ كَانَ يلْتقيها كُلَّ يَوْمِ سَبْتٍ

وَقَالَ كَارْمِنْ فِي سِرِّهِ

_لَيْتَ كُلَّ الْأَيَامِ سَبْتًا

فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي مَنْزِلِ كَارْمِن فِي الْأَعْلَى بِجَانِبِ غُرْفَةِ الْجُلُوسِ كَانَت غُرْفَةُ كَارْمِن غُرْفَةً خَشَبِيَّةً ذَاتَ طِلَاءٍ أَبْيَضَ بَسِيطٍ، تَتَوَزَّعُ فِيهَا الْكُتُبُ بِعِنَايَةٍ ذَاتِ نَافِذَةٍ تُطِلُّ مُبَاشَرَةً عَلَى سَمَاءٍ صَافِيَةٍ كَانَ يَتَّكِئُ كَارْمِن فَوْقَ سَرِيرِهِ الْفَتَى الَّذِي حَدَّثْتُكَ عَنْهُ قَبْلَ قَلِيلٍ يُدْعَى كَارْمِنْ يَحْمِلُ بِيَدِهِ هَاتِفَهُ الذَّكِيَّ يَتَصَفَّحُ الْمَوَاقِعَ لَعَلَّهُ يَجِدُ تِلْكَ الْفَتَاةَ فِي جَانِبٍ مِن هَذَا الْعَالَمِ الْوَهْمِيّ رَاحَ يَتَصَفَّحُ لَكِنْ لَا أَثَرَ، كَانَ يَرْتَدِي مَلَابِسَ رِيَاضِيَّةً بَيْضَاءَ تُظْهِرُ جِسْمَهُ رُجُولِيًّا بِشَيْءٍ مِنْ التَّنَاسُقِ لَا يَبْدُو مَظْهَرُهُ كَشَخْصٍ يَغُوصُ فِي عَالَمِ الْكُتُبِ بَلْ لَا يَبْدُو مَظْهَرُهُ مُطْلَقًا أَنَّهُ بِرُوحٍ كَتِلْكَ، وَضَعَ هَاتِفَهُ بِجَانِبِ سَرِيرِهِ وَرَاحَ يُسَرِّحُ بِتَفْكِيرِهِ وَ هُوَ يُرَاقِبُ النَّافِذَةَ وَيَرَى السَّمَاءَ بِسُحُبِهَا تَتَحَرَّكُ بِانْسِيَابٍ دَقِيقٍ، حَمَلَ حَاسُوبَهُ وَرَاحَ يَكْتُبُ عَنْهَا لَم يَكُن يَدْرِي حَتَّى اسْمُ تِلْكَ الْفَتَاةِ الْمَجْهُولَةِ الَّتِي صَادَفَت قَدَرَهُ رَاحَ يَرْسُمُ حَرْفِيًّا تَفَاصِيلَ وَجْهِهَا بِدِقَّةٍ

قَد تَبْلُغُ دِقَّةَ كَلِمَاتِي لِأَنِّي لَا أَشْعُرُ بِإِحْسَاسِهِ إِنَّهُ يَرَى بِعَيْنَيْنِ عَاشِقَتَيْنِ غَيْرَ رُؤْيَتِي تَمَامًا فَأَنَا أَصِفُ لَكَ مَا أَرَاهُ بِنَظْرَةٍ عَادِيَّةٍ ، أَتَى يَوْمَ سَبْتٍ جَدِيدٍ الْخَامِسَ تَحْدِيدًا ، نَهَضَ بِشَغَفٍ وَبِفَرْحَةٍ عَارِمَةٍ لِيَلْتَحِقَ بِالْقِطَارِ وَدَّعَ جَدَّتَهُ وَنَزَلَ، صَعَدَ الْقِطَارَ رَاحَ يَبْحَثُ عَن ذَاكَ الْوَجْهِ بَيْنَ الرُكَّابِ يَبْحَثُ عَنْهَا بَيْنَ أَلْفِ وَجْهٍ مُنْبَهِرٍ بِهِ، لَكِنَّهُ لَم يَجِدْهَا رَاحٍ يَتَصَفَّحُ الرِّكَابَ بِتَدْقِيقٍ وَهُوَ يَمْشِي ذَهَابًا وَإِيَابًا مُمَثْلًا أَنَّهُ أَسْقَطَ شَيْءً مَا لَكِن مُجَدَّدًا لَمْ يَجِدْهَا ، رَجَعَ بِخَاطِرٍ مَكْسُورٍ وَتَابَعَ اعْتِلَاءهُ الْقِطَارَ مِن كُلِّ سَبْتٍ لِكُلِّ يَوْمٍ تَقْرِيبًا ، لَكِنَّ النَّتِيجَةَ نَفْسَهَا كَانَ يَتَمَنَّى لَو تُعَادَ تِلْكَ اللَّحْظَةُ الْأُولَى الَّتِي رَآهَا ،ذَلِكَ الْجَوُّ، أَحِبُّ الْمَلَابِسِ الَّتِي ارْتَدَاهَا أَحَبُّ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ سَيَذْهَبُ إِلَيْهِ،أَحَبَّ قَرْيَةِ الْعَمَّةِ ،أَحَبُّ كُلَّ تَفْصِيلٍ أَوْصَلَهُ لِتِلْكَ اللَّحْظَةِ بَعْدَ تَفْكِيرٍ طَوِيلٍ قَرَّرَ أَنْ يَغْرِسَ فِي الْفَتَاةِ شَيْءٌ مَا مِن قِبَلِهِ أَرَادَ أَن يَفْعَلَ شَيْءٌ مَا يَجْعَلُهُ مَرْئِيًّا فِي نَظَرِهَا وَ كَحُبِّ مُرَاهِقٍ تَمَامًا وَضَعَ كِتَابٍ بِجَانِبِ الْأُرْجُوحَةِ قُبَالَةَ مَنْزِلِ الْعَمَّةِ بِشَرِيطٍ تُرَابِيِّ اللَّوْنِ كِتَابٌ غَنِيٌّ بِالْأَحْدَاثِ الرُّوحِيَّةِ الَّذِي تَجْعَلُكَ تَدْخُلُ عَالَمَ الْقِرَاءَةِ بِمُجَرَّدِ اقْتِنَائِهِ وَضَعُهُ هُنَاكَ وَذَهَبَ .....

الْفَصْلُ الثَّانِي

الْتِقَاءُ سَلْمَى بِكَارْمِنَ..

لَم أَكُن لِأُرِيدَ مَا يَحْدُثُ .... تَنْسَابُ اللَّيَالِي بِذَاتِ الْحَرَكَةِ كُلَّ يَوْمٍ نَفْسَ الشُّعُورِ، لَم أَخْتَر الْعَيْشَ هَكَذَا قَدَرِي قَادَنِي بِدُونِ حَتَّى دِرَايَةٍ مِنِّي بِمَا يَحْدُثُ لَم أَكُن لِأَخْتَارَ الْعَيْشَ عَلَى هَذَا النَّحْوِ.... ذَاكَ مَا كَانَ يَدُورُ فِي عَقْلِ الْفَتَاةِ ذَاكَ مَا رَسَمَهُ تَفْكِيرُهَا لِحِينِ وُصُولِ شُعُورِهَا إِلَيَّ...

حَزَمَت سَلْمَى الْحَقَائِبِ أَخَذَت دَفْتَرَهَا الزَّهْرِيَّ أَخَذَت فُسْتَانَهَا أَحْمَرَ اللَّوْنِ ذُو النِّقَاطِ الْبَيْضَاءِ الْمُوَزَّعَةِ أَخَذَت مَعْطِفَهَا الصُّوفِيَّ الَّذِي تَبْقَى لَهَا ، الذِّكْرَى الْأَثْمَنُ مِن أُمِّهَا، أَخَذَت كَنْزَتَهَا السَّوْدَاءَ وَ بِدَوْرِهَا حَمَلَتْ الْبِنْطَالَ أَبْيَضَ اللَّوْنِ، وَضَبَّتْ مَلَابِسَهَا فِي حَقِيبَةٍ مُحْكَمَةٍ تَتَكَدَّسُ بِهَا الْمَلَابِسُ فَوْقَ بَعْضِهَا تَمَامًا كَمَشَاعِرِهَا ، فَتَحَت بَابُ الْغُرْفَةِ اِتَّجَهَت نَحْوَ غُرْفَةِ خَالَتِهَا طَرَقَتْ الْبَابَ كَطِفْلٍ صَغِيرٍ خَائِفٍ ثُمَّ رَجَعَتْ خُطْوَتَانِ لِلْوَرَاءِ ، أَجْوَاءٌ خَرِيفِيَّةٌ كَتِلْكَ تَلِيقُ بِتَفَاصِيلَ أَكْثَرَ دِفْئًا كَشَالٍ بِلَوْنِ الْبُرْتُقَالِ كَفُسْتَانٍ أَسْوَدَ اللَّوْنِ ، طَوِيلٍ حَدَّ تَغْطِيَةِ كَافَّةِ انْحِنَاءَاتِ الجِسْمِ بِطَرِيقَةٍ هَادِئَةٍ، كَتَصْفِيفِ الشَّعْرِ الْأَسْوَدِ بِطَرِيقَةٍ تِلْقَائِيَّةٍ كَاسْتِرَاقِ شُعَيْرَاتٍ قَلِيلَةِ النَّظَرِ عَنْ سَلْمَى ،كَاعْتِلَائِهِمْ عَيْنَاهَا بِطَرِيقَةٍ عَفْوِيَّةٍ ، كَأَنَّ كُلَّ تِلْكَ التَّفَاصِيلِ اخْتَارَت أَن تَتَنَاسَقَ مَعَ لَوْنِ بَشَرَتِهَا الْحَلِيبِي بِشَكْلٍ شَهِيّ

خَرَجَتْ الْخَالَةُ بِحَرَكَةٍ عَنِيفَةٍ تُمَيِّزُهَا عَن غَيْرِهَا وَ تَخْتَلِفُ اخْتِلَافًا تَامًّا عَنْ طَبِيعَةِ سَلْمَى ، حَمَلَت حَقَائِبَهَا وَجَّهَت نَظَرَهَا نَحْوَ سَلْمَى كَأَنَّهَا تَلْعَنُهَا عَن الْوَضْعِ الَّذِي آلَت إِلَيْهِ بِسَبَبِهَا عَنِ ابْتِعَادِ ابْنِهَا عَنْهَا عَن شُرُودِهِ الدَّائِمِ عَن مَدَى إِمْكَانِيَّةِ الْعَيْبِ الَّذِي سَيَلْحَقُ بِهَا بِالْأَفْوَاهِ إِن دَفَعَتْ بِهَا خَارِجًا ، كَمَثِيلِ قِصَّةِ الْفَتَاةِ الْمِسْكِينَةِ الْيَتِيمَةِ وَالْخَالَةِ ذُو الْقَلْبِ الْقَاسِي الَّتِي لَمْ تُرَحَّبْ بِهَا فِي بَيْتِهَا ذَاكَ كُلُّ مَا كَانَتْ تَخَافُ مِنْهُ الْخَالَةُ حَدِيثَ النَّاسِ وَ شَخْصِيَّةٌ مِثْلُهَا لَنْ تَهْتَمَّ بِمَا هِيَ عَلَيْهِ فِعْلًا فَقَد تَبْدُو لَكَ عِنْدَ

رُؤْيَتِهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ كَامْرَأَةٍ هَادِئَةٍ قَلِيلَةِ الْكَلَامِ ، لَن تَهْتَمَّ بِحَقِيقَتِهَا بِقَدْرِ مَا تَهْتَمُّ مَا قَدْ يَرَاهُ النَّاسُ لَن تَرَى نَفْسَهَا إِلَّا فِي أَعْيُنِهِمْ فَاحْتِمَالُ أَنَّهَا سَتَرْمِي بِهَا خَارِجًا احْتِمَالٌ ضَئِيلٌ وَاحْتِمَالُ أَنَّهَا قَد تُرْسِلُهَا لِلْعَيْشِ عِنْدَ عَمَّتِهَا ذَاتِ الدَّخْلِ الْبَخْسِ وَالْبَيْتُ الْقِصْدِيرِيُّ احْتِمَالٌ ضَئِيلٌ هُوَ الْأُخَرُ، فَكُلُّ شَيْءٍ يَنْدَرِجُ تَحْتَ رَايَةِ أَعْيُنِ النَّاسِ وَهِيَ تَخَافُ مِن خَدْشِهَا .

تَخَافُ أَن يُقَالَ أَنَّهَا أَرْسَلَتْهَا لِامْرَأَةٍ بِالْكَادِ تَسْتَطِيعُ الْأَكْلَ وَالْإِنْفَاقَ عَلَى نَفْسِهَا رَغْمَ أَنَّهَا تُدْرِكُ أَنَّهَا سَتَعِيشُ حَيَاةً أَفْضَلَ بِكَثِيرٍ مِمَّا عَلَيْهِ سَتُعَوَّضُ بِالْحُبِّ وَ الِاحْتِرَامُ سَتُهْدَى حَيَاتًا تَخَافُ أَن تُرْسِلَهَا خَارِجًا لِإِكْمَالِ مَسِيرَتِهَا بَعِيدًا عَنْهَا وَعَن ابْنِهَا بِالرَّغْمِ مِن كُلِّ هَذَا هِيَ تُدْرِكُ أَنَّهَا لَن تَسْتَطِيعَ إِبْقَاءَهَا بَعِيدًا فَقَط مِن أَجْلِ النَّاسِ لِنَقُلِ إِنَّهَا امْرَأَةٌ مُنَافِقَةٌ فِي سَرِيرَةِ نَفْسِهَا، لَكِن مِن أَيْنَ سَتَهْرَبُ مِن ذَاتِهَا ؟لَا مَكَانَ لِلْهَرَبِ مِن ذَوَاتِنَا ، تِلْكَ الْحَقِيقَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي تُوصِلُ أَعْلَى الْجَبَابِرَةِ لِمَدْخَلِ مُسْتَشْفَى الْمَجَانِينِ أَنَّهُ لَا مَجَالَ لِلْهَرَبِ مِن ذَاتِكَ وَإِن حَاوَلَت.

خَرَجَت سَلْمَى وَ خَالَتُهَا مِنَ الْمَنْزِلِ، لِتَجِدَ الْفَتَى الْمَدْعُوَّ خَالِدٍ يَنْتَظِرُهُمْ بِسَيَّارَتِهِ أَخَذَ عَنْهُمْ الْحَقَائِبَ وَ وَضَبَّهَا فِي السَّيَّارَةِ وَ هُوَ يَسْتَرِقُّ النَّظَرَ لِسُلْمَى وَ فِي الْجِهَةِ الْمُقَابِلَةِ ،سَلْمَى تَعِي تَمَامًا أَنَّ شَخْصًا مَا يُرَاقِبُهَا فِي صَمْتٍ تَعِي تَمَامًا تِلْكَ النَّظَرَاتِ، صَعِدَت سَلْمَى فِي الْوَرَاءِ بَيْنَمَا صَعِدَتِ الْخَالَةُ بِمُحَاذَاةٍ بَطَلَهَا الْمِغْوَارُ وَهِيَ تُلْقِي عَلَيْهِ نَظَرَاتٍ مُتَأَمِّلَةٌ ، تَحْمِلُ الْكَثِيرَ مِن الْحُبِّ، تَمَنَّت سَلْمَى فِي سَرِيرَتِهَا أَن تُمْنَحَ يَوْمًا نِصْفَ نَظْرَةٍ كَتِلْكَ ، أَن تُشْعَرَ أَنَّ وُجُودَهَا مَرْغُوبٌ فِيهِ أَنَّ أُمَّهَا رَحَلَت لِتَتْرُكَهَا فِي كَنَفِ خَالَةٍ حَنُونَةٍ تُحِبُّهَا وَ تَعْطِفُ عَلَيْهَا ،لَوَهْلَةٍ عَلَّقَت نَظَرَهَا عَلَى الْمَشْهَدِ أَمَامَهَا رَاحَت تَتَأَمَّلُ فِي شُرُودٍ تَتَمَنَّى لَو أَنَّهَا يَوْمًا يُنْظَرُ إِلَيْهَا بِتِلْكَ الطَّرِيقَةِ

كَانَت سَلْمَى تُحِبُّ خَالَتَهَا فِي قَرَارَةِ نَفْسِهَا رَغْمَ كُلِّ مَا جَرَىٰ، كَانَتْ تَتَمَنَّى لَو أَنَّهَا تَسْتَطِيعُ يَوْمًا أَنْ تَقْتَرِبَ مِنْهَا وتَحْتَضِنَهَا كَانَتْ تَرَى مَلَامِحَ أُمِّهَا فِيهَا كَانَت تَشْتَمُّ رَائِحَةَ الْحَنِينِ عِنْدَ الِاقْتِرَابِ مِنْهَا وَلَو صُدْفَةً لَكِنَّ ذَاكَ مَا لَم يَطِأ شُعُورُهَا يَوْمًا ، أَفَاقَت مِن شُرُودِهَا فَتَحَت حَقِيبَتُهَا أَخَذَت مِنْهَا كِتَابًا ، فَتَحَتْهُ بِرِوُيَّةٍ وَ أَوَّلُ جُمْلَةٍ قَابَلَت عَيْنَيْهَا كُلَّ شَيْءٍ يَحْدُثُ لَكَ يُمَهِّدُ الطَّرِيقُ لِأَشْيَاءَ أُخْرَى سَتَحْدِثُ عَلْقَ ذَلِكَ فِي عَقْلِ سَلْمَى أَغْلَقَت الْكِتَابَ وَ اسْتَدَارَتْ لِلطَّرِيقِ سَرِحَت بِالْأَشْجَارِ الْمُوَزَّعَةِ مُتَنَاسِيَةً وُجُودَ تِلْكَ الْأَجْسَامِ الْغَرِيبَةِ فِي الْأَمَامِ... نَعْتُهَا بِذَاكَ اللَّقَبِ لِكَوْنِهَا بِدُونِ شُعُورِ، شَيْءٌ بِدُونِ شُعُورٍ لَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمٌ غَيْرَ الْجَمَادِ، غَيْرَ جِسْمٍ يَأْخُذُ مِسَاحَةَ مِثْلِهِمَا تَمَامًا ذَاكَ مَا كَانَتْ تَشْعِرُ بِهِ سَلْمَى اتِّجَاهِهُمَا، دَورِي هُنَا هُوَ أَن أَنْقُلَ إِلَيْكَ الشُّعُورَ بَعِيدًا عَنْ الْحَقِيقَةِ رُبَّمَا أَوْ اقْتِرَابًا مِنْهَا، لَكِنِّي أَنْقُلُ فَقَط الْمَشَاعِرَ وَلَكَ حُرِّيَّةُ فَهْمِهَا وَ تَرْتِيبُهَا وَصَلَ الْكُلُّ إِلَى وُجْهَتِهِ وَصَلَ خَالِدٌ لِمَكَانِ عَمَلِهِ الْجَدِيدِ لِلْبَيْتِ الْمُقَابِلِ لِمَكْتَبِهِ ،وَصَلَت الْخَالَةُ لِأَقْرَبِ مَكَانٍ قَد يَجِدُ فِيهَا ابْنَهَا رَاحَتَهُ، وَوَصَلَت سَلْمَى لِفَرَاغٍ مُدْقِعٍ آخَرَ، لَم يَخْتَلِف الْمَنْزِلُ عَن الْأَوَّلِ بِكَثِيرٍ إِلَّا بِالْقَلِيلِ مِنْ التَّفَاصِيلِ مُنِحَتْ سَلْمَى غُرْفَةً صَغِيرَةً بِجَانِبِ الْمَطْبَخِ شَعَرَت سَلْمَى أَنَّهَا غَرِيبَةٌ عَن الْأَشْخَاصِ وَ عَنِ الْمَكَانِ فِي آنٍ وَاحِدٍ فَقَد اعْتَادَت غُرْفَتُهَا اعْتَادَت تَأَمُلَ حَائِطَهَا حَفِظَت كُلَّ عُطْبٍ مَوْجُودٍ فِي الْحَائِطِ لِطُولِ تَأَمُّلِهَا فِيهِ حَفِظَتِ الْحُفَرَ الْمُوَزَّعَةُ بِعَشْوَائِيَّةٍ اِعْتَادَت كَوْنَهَا جُزْءًا مِن الْأَشْيَاءِ ،أَمَّا الآن فَعَلَيْهَا أَن تُعِيدَ الْكُرَةَ مِن جَدِيدٍ أَن تَعْتَادَ الْمَكَانَ مَرَّةً أُخْرَى أَن تُطِيلَ التَّأَمُّلَ فِي الْحَائِطِ لِتُصْبِحَ جُزْءًا مِنْهُ لِتَسْتَمِدَّ صِفَاتُهُ لِتُصْبِحَ صَامِتَةً مِثْلَهُ .

مَن قَالَ إنَّ الأَشْيَاءَ لَا تَمْلِكُ شُعُوراً، مَن ذَا الْقَائِلِ إنَّ الْكَوْنَ لَا يَمْلِكُ لُغَةً إنَّ الَّذِي يَسْمَعُ هُوَ مَنْ يَتَكَلَّمُ فَقَط كَلَّا، كُلٌ لَهُ لُغَتُهُ الْخَاصَّةُ تَنْدَرِجُ فِي نِظَامٍ كَوْنِيٍ دَقِيقٍ بَعِيدٍ عَن الِاسْتِيعَابِ ....

تَعَايَشَت سَلْمَى مَعَ الْأَوْضَاعِ ،تَسْتَيْقِظُ صَبَاحًا تَسْتَرِقُ النَّظَرَ مِنْ النَّافِذَةِ تَرَى الرِّيَاحَ الْهَادِئَةَ وَ هِيَ تَعْبَثُ مَعَ الْأَشْجَارِ وَتُحَرِّكُهَا يَمْنَةً وَيَسْرَةٌ تُرَاقِبُ السَّمَاءَ بِأَلْوَانِهَا الْمُتَدَرِّجَةِ مَنْظَرٌ كَالَّذِي يُقَابِلُنَا الْآنَ هُوَ مَنْظَرٌ حَتْمًا سَيُشْعِرُكَ بِدِفْءِ دَاخِلِكَ ،مَنْظَرُ سَلْمَى الْهَادِئِ وَ هِيَ شَارِدَةٌ تُرَاقِبُ مَا وَرَاءَ النَّافِذَةِ مَعَ مَلَابِسِهَا الصُّوفِيَّةِ النَّاعِمَةِ بِاللَّوْنِ الْأَبْيَضِ وَالزُّهْرِيُّ الْفَاتِحُ كُلُّ شَيْءٍ يُوضَعُ فَوْقَ جِسْمِهَا يَمْنَحُهُ بَرِيقًا مُمَيِّزًا وَشَكْلًا لَن يُعَادَ فِي ذَاكِرَتِكَ مَرَّةً أُخْرَى فَمَهْمَا تَشَابَهَتِ الْأَجْسَامُ وَ التَّفَاصِيلُ مَهْمَا تَشَابَهَتِ الْقِطَعُ الْمُرَكَّبَةُ عَلَى شَكْلِ مَلَابِسَ يَبْقَى لِكُلِّ شَخْصٍ شَكْلُهُ الْمُمَيَّزُ الَّذِي لَن تَرَاهُ فِي شَخْصٍ آخَرَ مُطْلَقًا

مَا أَن تَرَى الْأَجْسَامُ الْمُتَحَرِّكَةُ تِلْكَ فِي الْأَجْوَاءِ ، حَتَّى تَنْسَلَّ بِجِسْمِهَا خَارِجًا لِتَذْهَبَ لِلْمَطْبَخِ وتَحْضُرَ الْقَهْوَةُ وَتُوَضِّبَ الْأَكْلَ فَوْقَ الطَّاوِلَةِ ثُمَّ بِذَاتِ الْحَرَكَةِ تَتَسَلَّلُ لِلْغُرْفَةِ بِكُوبِ قَهْوَتِهَا الْكَبِيرِ وَ تُغْلِقُ الْبَابَ ، حَتَّى يَحِينَ مَوْعِدُ ذَهَابِهَا لِلْمَدْرَسَةِ نَاهِيكَ عَن النَّظَرَاتِ النَّارِيَّةِ الَّتِي تَتَرَقَّبُهَا مِنْ بَعِيدٍ الَّتِي تُحَلِّلُ كُلَّ جُزْءٍ مِن جِسْمِهَا بِحَرَكَةٍ بَطِيئَةٍ وَكَأَنَّهَا أَرْضٌ زِرَاعِيَّةٌ خِصْبَةٌ تَحْتَاجُ دِرَاسَتُهَا وَالتَّدْقِيقُ بِهَا لِلزَّرْعِ، كَانَتْ تُرَاقِبُ فِي صَمْتِ تِلْكَ النَّظَرَاتِ تِلْكَ الْإِيمَاءَاتِ ، كَانَتْ تُرَاقِبُ بِقَلْبٍ يَلْعَنُ ظُرُوفَهَا بِشُعُورٍ يَدْفَعُهَا لِتَقِيئِهَا وتَقِيؤَ وَاقِعَ كَوْنِهَا وُلِدَت أُنْثَى .

_لَم أَعُد تِلْكَ الْفَتَاةَ الصَّغِيرَةَ صِرْتُ أَفْهَمُ مَا يَجُولُ فِي الْخَوَاطِرِ مِن النَّظَرَاتِ صِرْتُ أَسْتَرِقُ الشُّعُورَ مِن الْأَشْخَاصِ صِرْتُ أَفْهَمُ الدَّوَافِعَ وَأُرَتِّبَ الْأَحْدَاثَ بِطَرِيقَةٍ أَقْرَبَ لِلْوَاقِعِيَّةِ لَم أَعُد صَغِيرَةً كِفَايَةً لِأَذْهَبَ لِصَاحِبِ الدُكَّانِ بَاكِيَةً فَيَهْدِينِي حُلْوَةً مُغَلَّفَةً تُغْلِّفُ قَلْبِي مَعَهَا فَرَحًا لَمْ أَعُدْ صَغِيرَةً كِفَايَةً لِأَرْتَمِي فِي أَحْضَانِ الْغُرَبَاءِ لَاسْتَرِقَ نِصْفَ شُعُورٍ بِالْأَمَانِ لِيُرْبَتَ عَلَى كَتِفِي وَ يُقَالُ يَتِيمَةٌ

أَلْعَنُ تِلْكَ الْكَلِمَةَ حَتَّى بِطَرِيقَةِ نُطْقِهَا أَلْعَن كُونِي أَضْعُفَ حِينَ مُنَادَاتِي هَكَذَا أَلْعَنُ تِلْكَ الدُّمُوعَ الَّتِي لَم تَعُد حَتَّى تَرْضَى الْعُبُورَ عَلَى وَجِنْتَاي فِي هَذَا السِّنِّ أَأَصْبَحَ أَلَمِي أَكْبَرَ مِن أَن يُزَاحَ بِالدُّمُوعِ أَصْبَحَتُ صُلْبَةً بَارِدَةً ذَاكَ مَا يَنْعِتُونَنِي بِهِ لَكِنَّنِي هَشَّةٌ ، هَشَّةً كِفَايَةً لِلْإِيقَاعِ بِقَلْبِي أَرْضًا حَتَّى بِنَظْرَةِ ازْدِرَاءٍ اعْتَدْتُهَا وَ كَأَنَّنِي قُمَامَةُ الْجِيرَانِ....

أَرَأَيْتَ مَا يَجُولُ فِي خَاطِرِهَا أَبْكَانِي حَالُهَا لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَصِفَ لَكَ شُعُورَهَا فَمَنَحْتُهَا حَقَّ التَّعْبِيرِ عَنْ ذَاتِهَا لَيْسَ سَهْلًا أَنْ أَرَى الْأَلَمَ الَّذِي بِدَاخِلِهَا هِيَ الَّتِي قَطَعَتْ طَرِيقًا بِطُولِهِ تَتَجَرَّعُ الشُّعُورَ أَأْتِي أَنَا الْآن بِنِصْفِ خُطْوَةٍ أَصِفُ لَكَ مَا تَشْعُرُ، لَيْسَ بِإِمْكَانِي فِعْلُ ذَلِكَ فِي قَلْبِهَا حُزْنٌ دَفِينٌ كَمَا بِقَلْبِي وَ قَلْبُكَ تَمَامًا لَكِنَّنِي أُرِيدُ وَلَوْ لِوَهْلَةٍ مَنْحِي فُرْصَةَ اطِّلَاعِكَ عَلَى مَاضِيهَا، أَيْنَ تُرَانِي أَرَى تِلْكَ الْقِطَعَ الْمُفَكَّكَةَ مِنْ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ حَضَرُوا لَحَظَاتٍ مِنْ مَاضِيهَا لِأَرْكَبَهُ لَكَ وَنَفْهَمُ سَوِيًّا كَيْفَ وَصَلْتَ لِهَذِهِ النُّقْطَةِ لَيْسَتْ بِسَطْحِيَّةٍ تَسْرُدُ بَلْ أَنْ أَعْرِفَ نَوْعَ الْأَلَمِ وَ سَبَبَ اخْتِفَاءِ بَرِيقِ الْعَيْنَيْنِ أَنْ أَعْرِفَ كَيْفَ أُعِيدَ إِحْيَاءُ بَسْمَةٍ كَتِلْكَ فِي وَجْهٍ رَائِعِ الْجَمَالِ كَوَجْهِهَا..

تَرَاهَا ؟ إِنَّهَا قُبَالَتُنَا تَرْتَدِي ذَاكَ الْفُسْتَانَ الْأَحْمَرَ ذُو النِّقَاطِ الْبَيْضَاءِ الْمُوَزَّعَةِ الَّذِي يَصِلُ لِحُدُودِ رُكْبَتَيْهَا جَمِيلُ التَّصْمِيمِ وَكَأَنَّهُ أُخِيطٌ مِنْ أَجْلِهَا وَ كَأَنَّهَا خُلِقَتْ مِنْ أَجْلِ

أَنْ تَرْتَدِيَهُ ، تَتَنَاسَقُ أَلْوَانُهُ تَمَامًا مَعَ صَفَاءِ بَشَرَتِهَا وَلَوْنِهَا الْحَلِيبِي فِي بُحَيْرَةٍ كَتِلْكَ تَمِيلُ الْأَشْجَارُ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ جُنُبٍ، كَانَتْ سَلْمَى تُرْسِلُ رِجْلَيْهَا لِلَّعِبِ بِالْمَاءِ وَ هِيَ جَالِسَةٌ فَوْقَ تِلْكَ الصَّخْرَةِ يَدَاهَا نَاعِمَتَانِ كَنُعُومَةِ حَبَّاتِ الْمَارْشِمِيلُو، كَانَتْ بِصَفَاءٍ مَلَائِكِيٍّ تَعْكِسُهُ الشَّمْسُ عَلَيْهَا يَنْسَدِلُ شَعْرُهَا الْقَصِيرُ فِي جَوَانِبِ نَظَرِهَا تَلْعَبُ بِالْمِيَاهِ بِرِجْلَيْهَا بِحَرَكَةٍ طُفُولِيَّةٍ تُشَرِّدُ بِنَظَرِهَا فِي الْفَرَاغِ ، رَغْمَ أَنَّكَ تَرَى أَنَّهَا تُدَقِّقُ فِي الْمِيَاهِ بِإِمَالَةِ رَأْسٍ كَتِلْكَ لَكِنَّهَا شَارِدَةٌ تَمَامًا عَنْ الْوَاقِعِ عَيْنَاهَا الْوَاسِعَتَيْنِ رُمُوشُهَا الطَّوِيلَةُ الْمُنْتَظِمَةُ ، نَظَرَتُهَا الْبَرِيئَةُ الصَّامِتَةُ ...

أَشْعُرُ بِشُعُورٍ غَرِيبٍ يَا هَذَا يَسْتَفِزُّنِي شَكْلَهَا أَصَابُ بِشُعُورٍ غَرِيبٍ لَا أَسْتَطِيعُ اسْتِيعَابَهُ حِينَ وَصَفَهَا وَالتَّدْقِيقَ بِتَفَاصِيلِهَا لِدَرَجَةِ أَنِّي قَد أَحْذِفُ نِصْفَ النَّصِّ لِكَي لَا تُرَى بِتِلْكَ الصُّورَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْبَدِيعَةِ لَا عَلَيْكَ مِنِّي أَرَأَيْتَ مَن يَسْتَرِقُ النَّظَرَ مِنْ خَلْفِ الشَّجَرَةِ أَرَأَيْتَ ذَاكَ الشَّابَّ الْعِشْرِينِيَّ لَنْ يَجْرُؤَ عَلَى مُقَاطَعَةِ تِلْكَ اللَّوْحَةِ الْمَرْسُومَةِ أَمَامَهُ لَن يَجْرُؤَ عَلَى مُقَاطَعَةِ خَلْوَتِهَا لَن يَجْرُؤَ عَلَى مَنْعِ سَيْلِ أَفْكَارِهَا مِنْ التَّدَفُّقِ، لَعَلَّ صَمْتَهَا هُوَ مَا يَمْنَحُهَا تِلْكَ الْهَالَةَ الْإِلَهِيَّةَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي تَجْعَلُكَ تُقْرِبُهَا فِي الْوَصْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ ....

كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ أَن تَتَّجِهَ لِلْمَدْرَسَةِ رَاحَت تَجُولُ فِي الْمَنَاطِقِ الْقَرِيبَةِ مِنْ الْمَنْزِلِ وَ لِكَوْنِهِ بَعِيدٌ عَنْ مَكَانِ دِرَاسَتِهَا بِخُطُوَاتٍ لَا يُمْكِنُ عَدُّهَا إِلَّا بَعْدَ انْقِطَاعِ أَنْفَاسِكَ، فِي طَرِيقِهَا، وَجَدَتْ ذَلِكَ الْمَكَانَ بَعْدَ التَّوَغُّلِ فِي الْغَابَةِ قَلِيلًا مُنِحَتْ شُعُورًا لَذِيذًا لِكَوْنِهَا وَجَدَت مَكَانًا كَذَاكَ يَمْنَعُهَا مِن رُؤْيَةِ النَّاسِ وَيَمْنَعُ النَّاسَ مِن رُؤْيَتِهَا

كَانَتْ مَدْرَسَتُهَا بَعِيدَةً كُلَّ الْبُعْدِ عَن مَنْزِلِهَا ،مِمَّا جَعَلَهَا تَسْتَيْقِظُ قَبْلَ مَوْعِدِ الدَّوَامِ بِثَلَاثِ سَاعَاتٍ لِتَلْتَحِقَ فِي الْوَقْتِ الْمُحَدَّدِ، وَمِن ضِمْنِ الْوَقْتِ الْمُضَافِ كَانَ زَمَنُ

تَوَقُّفِهَا لِمُرَاقَبَةِ الْمَكَانِ نَهَضَتْ مِن فَوْقِ الصَّخْرَةِ انْتَعَلَتْ جَوَارِبُهَا الْبَيْضَاءُ فَوْقَهَا حِذَائُهَا وَ ارْتَدَتْ سُتْرَتُهَا الْبَيْضَاءَ الْمُحَيَّكَةَ بِتَدْقِيقٍ أُنْثَوِيٍّ لَا تَخِيطُ بِدِقَّتِهِ إِلَّا جَدَّةً رَفِيعَةُ الذَّوْقِ نَالَ مِنْهَا الزَّمَنَ الْجَمِيلَ وَ بَقَت بَرَكَتُهُ فِي أَصَابِعِهَا ، حَمَلَتْ حَقِيبَتُهَا عَلَى ظَهْرِهَا تَرَجَّلَتْ لِحِينِ دُخُولِهَا لِلْمَدْرَسَةِ هِيَ فِي الْمَرْحَلَةِ الثَّانَوِيَّةِ، دَخَلَت مِنَ الْبَابِ الْكَبِيرِ وَجَدَتْ التَّلَامِيذَ فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ، مَجْمُوعَةُ فَتَيَاتٍ يَرْتَدِينَ مَلَابِسَ عَصْرِيَّةً وَ يَجْلِسْنَ فِي حَلْقَةٍ مِنْ الْكَلَامِ الْغَيْرِ مَدْرُوسٍ ، بِمُحَاذَاتِهِمْ شَابَّتَانِ جَالِسَتَانِ تَتَأَمَّلَانِ حَرَكَةَ الْفِتْيَانِ فِي السَّاحَةِ وَهُم يُلْقِيَانِ التَّعْلِيقَاتِ الْجَانِبِيَّةَ وَيَضْحَكَانِ بِصَوْتٍ عَالٍ قُبَالَتُهُمْ شَابٌّ آخَرٌ قَصِيرُ الْقَامَةِ يَحْمِلُ كُرَّاسَهُ وَيُدَقِّقُ فِي نَصٍّ مَا مُتَنَاسِيًا مَا حَوْلَهُ لَن تَخْتَلِفَ قِصَّتُهُ عَنْ أَيِّ فَتًى نَجِيبٍ يَخَافُ مِن نُزُولِ مُسْتَوَاهُ لِأَقَلَّ مِنْ الْمُمْتَازِ رُبَّمَا، حَرَكَةٌ فَوْضَوِيَّةٌ مُوَزَّعَةٌ وَجَدَت سَلْمَى نَفْسَهَا وَسَطَهَا ،هِيَ تِلْكَ الْفَتَاةُ الَّتِي تَكْرَهُ التَّجَمُّعَاتِ الَّتِي تَمْقُتُ الْبَشَرَ، تَمْقُتُ الْأَحَادِيثُ، الْفَوْضَى ، تَشْعُرُ أَنَّ وُجُودَ النَّاسِ بِجَانِبِهَا يَمْنَعُ عَنْهَا التَّنَفُّسُ...

جَلَسَت فِي الزَّاوِيَةِ أَحْنَت رَأْسَهَا لِلْأَسْفَلِ وَاِنْسَدَلَت خُصَلَاتُهَا مَرَّةً أُخْرَى عَلَى وَجْهِهَا تِلْكَ حَرَكَةٌ كَانَتْ تَفْعَلُهَا دَوْمًا تَرْفَعُ غُرَّتَهَا عَن عَيْنَيْهَا بِلُطْفٍ لِتَضَعَهَا وَرَاءَ أُذُنِهَا ثُمَّ تَمْسِكَ خِنْصَرَهَا بِسَبَّابَتِهَا بِحَرَكَةِ مَا تَفْعَلُهَا دَوْمًا حِينَمَا تَشْعُرُ بِعَدَمِ الارْتِيَاحِ .

اعْتَلَى فَوْقَ أَذَانِ الْجَمِيعِ صَوْتَ صَفَّارَةِ الدَّوَامِ ، دَخَلَ الْجَمِيعُ إِلَى صَفِّهِ بِطَرِيقَةٍ آليةٍ إِلَّا هِيَ ،فَكَانَتْ تَجْهَلُ الْمَكَانَ تَمَامًا أَوْقَفَت الْحَارِسَ الْعَامَّ لِتَسْأَلَهُ بِنَبْرَةٍ هَادِئَةٍ وَ بِوَجْهٍ يُشْعِرُ بِالْحَرَجِ وَ كَأَنَّهَا فَعَلَتْ شَيْءٌ مَا وَ تَنْتَظِرُ الْغُفْرَانَ مِن أَحَدِهِم ،وَصَفَ لَهَا مُشِيرًا إِلَى الطَّرِيقِ كَيْفَ تَعْبُرُ إِلَى صَفِّهَا ، تَرَجَّلَتْ لِحِينِ دُخُولِهَا لِلْقَسَمِ تَمْقُتُ تِلْكَ الْمُقَابَلَاتُ، تَمْقُت اللَّحَظَاتِ الْأُولَى، تَمْقُتُ الْغَرَابَةُ فِي الْأَعْيُنِ، تَمَقَّتْ وُجُودَهَا فِي حَشْدٍ مِنْ

النَّاسِ، جَلَسَتْ فِي كُرْسِيٍّ شَاغِرٍ تَمَامًا كَقَلْبِهَا نَاهِيكَ عَنِ النَّظَرَاتِ الْمُوَزَّعَةِ فِي الْأَرْكَانِ الْمُرَكَّزَةِ جَمِيعًا عَلَى وَجْهِهَا

_تُرَاهَا مَن تَكُونُ تِلْكَ الْفَتَاةُ ،مَن تَكُونُ تِلْكَ الْحَسْنَاءُ بَيْضَاءَ اللَّوْنِ وَاضِحَةَ التَّفَاصِيلِ مِن أَيْنَ أَتَت ذَاكَ مَا كَانَ يَدُورُ فِي عَقْلِ كُلِّ مَن تَوَاجَدَ دَاخِلَ الصَّفِّ

جَلَسَ بِجَانِبِهَا بَعْدَ دُخُولِ الْأُسْتَاذِ، شَابٌّ بَسِيطٌ الْمَلَامِحِ ذُو بَسْمَةٍ مُمَيَّزَةٍ تَجْعَلُكَ تَرَاهُ مِن خِلَالِهَا تَجْعَلُ فَوْقَ أَحَادِيثِهِ ذَرَّاتِ سُكَّرٍ مَمْزُوجٍ بِضَحْكَتِهِ لَم يَكُن يَخْتَلِفُ عَنْهَا بِدَوْرِهِ، كَانَ صَامِتًا مِثْلَهَا تَمَامًا مِمَّا جَعَلَهَا تَأْنَسَ بِقُرْبِهِ هُوَ لَن يُحَاوِلَ دُخُولَ عَالَمِهَا لَن يُحَاوِلَ اسْتِرَاقَ النَّظَرِ إِلَى مَا يَخُصُّهَا لَا شَكْلُهَا وَلَا حَتَّى أَيَّ شَيْءٍ يُعَبِّرُ عَنْهَا،

هُوَ مَصْدَرُ أَمَانٍ إِذَن كَوْنُهُ لَنْ يَكُونَ مَصْدَرَ إِزْعَاجٍ، ذَاكَ كُلُّ مَا أَرَاحَهَا فِي ذَاكَ الصَّفِّ كَانَتْ تَجْلِسُ بِقُرْبِهِ مَا يَزِيدُ عَنِ الثَّلَاثِ سَاعَاتٍ صَبَاحًا وَ مَسَاءًا كُلَّ يَوْمٍ لَكِنَّهَا لَا تُسْمَعُ كَلِمَةً مِنْهُ، وَلَا تُحِسُّ بَذْرَةُ خَطَرٍ مِنْ جَانِبِهِ ،أَشْخَاصٌ مِثْلُهَا قَد تَرَاكَ لِمُجَرَّدِ أَنَّكَ لَا تُحَاوِلُ لَفْتَ انْتِبَاهِهَا يَلْفِتُهَا الصَّمْتُ وَ الشُّرُودُ ، السَّاعَاتُ الْمُتَوَاصِلَةُ مِن الْهُدُوءِ لَا يُلْفِتُهَا الصَّخَبُ وَ الضَّجَّةُ بَل لَن تَسْتَدِيرَ حَتَّى لِتَرَى مَا يَحْدُثُ فِي مَكَانِ وُقُوعِهَا نَفْسَ الْأَحَادِيثِ ،نَفْسُ الصَّخَبِ ،نَفْسُ حَرَكَاتِ الْمُرَاهَقَةِ الظَّاهِرَةِ فِي كُلِّ بُقْعَةٍ مِن الصَّفِّ نَفْسُ الْغَطْرَسَةِ الَّتِي تُحِيكُ تَحَرُّكَاتِ شَخْصِيَّاتٍ مُعَيَّنَةٍ لِلْإِيقَاعِ بِالْأَعْيُنِ وَ لَفَتِ الِانْتِبَاهِ، نَفْسُ التَّمَايُلَاتِ الْمَدْرُوسَةِ والْأُنُوثَةِ الْمُفْتَعِلَةِ نَفْسُ الْأَحْدَاثِ، نَفْسُ ثِقَلِ دَمِ أَسَاتِذَةِ الصَّفِّ، نَفْسِ النِّكَاتِ وَالْأَخْبَارِ الْمُكَرَّرَةِ، نَفْسُ حَرَكَةِ الْجَرْيِ بَيْنَ الْحِصَصِ بَيْنَ كُلِّ صَفٍّ وَ صَفٍّ، هِيَ نَفْسُ الأيَامِ تَتَدَاوَلُ مَا يُمَيِّزُ يَوْمٌ عَنْ الْآخرِ ، هُوَ غِيَابُ أَحَدِ أَسَاتِذَةِ الصَّفِّ أَوْ حُضُورُ امْتِحَانٍ مَا أَوْ خَبَرٍ أُخَرَ عَنْ وُقُوعِ حُبِّ الشَّابِّ فِي الْفَتَاةِ أَوْ الْعَكْسِ غَيْرُ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ لَا جَدِيدٌ ، ذَاكَ مَا سَتَشْعُرُهُ

فِي ظِلِّ ذَاكَ الصَّخَبِ الْفَوْضَوِيِّ مِنْ الْمُرَاهَقَةِ، أَمَّا حِينَ تَعبُرُ تِلْكَ الْمَرْحَلَةُ سَتَجِدُ أَنَّهَا كَانَتْ أَرْوَعَ أَيَّامِ حَيَاتِكَ، إذ أَنَّ الْآلامَ لَم تَتَكَدَّسْ بَعْدُ لَم تَعُد مَسْئولًا عَن حَيَاةٍ وَاحِدَةٍ تَعِيشُهَا أَو عَن حَيَاةِ أُنَاسٍ آخَرِينَ خَلْفَكَ سَتَرَى أَنَّكَ كُنْتَ بِلَا أَعْبَاءٍ.....

مَرَّت الْأَيَّامُ اعْتَادَت سَلْمَى الصَّفِّ،اعْتَادَتْ مَنْزِلَهَا،حَفِظَتْ مَرَّةً أُخْرَى الأعْطَابُ فِي حَائِطِهَا ارْتَاحَتْ أَكْثَرَ بِوُجُودِ ذَاكَ الشَّابِّ الصَّامِتِ غَرِيبِ الْأَطْوَارِ تَمَامًا كَمَا يَنْعِتُونَهَا وَ تَمَامًا كَمَا حُيِّكَتْ أَلْفَ قِصَّةٍ وَقِصَّةٍ عَنِ الْفَتَاةِ وَالشَّابِّ الصَّامِتَيْنِ اللَّذَينِ يَعِيشَانِ قِصَّةَ حُبٍّ صَامِتَةً وَيَلْعَبَانِ الأدْوَارَ فِي هُدُوءٍ .

الْيَوْمَ هُوَ الرَّابِعُ وَ الْعِشْرُونَ مِنْ أُكْتُوبَرَ سَلْمَى جَالِسَةً قُرْبَ النَّافِذَةِ وَاضِعَةٌ رَأْسَهَا فَوْقَ الطَّاوِلَةِ تَنْتَظِرُ قُدُومَ الْأُسْتَاذِ، دَخَلَ فَتًى طَوِيلُ الْقَامَةِ مُرَتَّبَ الْمَلَامِحِ لَمَحَ طَيْفًا يَجُولُ فِي الْأَنْحَاءِ شُعُورٌ سَيُمَيِّزُهُ لَا مَحَالَةَ، تِلْكَ الْهَالَةُ فِي الْأَجْوَاءِ ذَاكَ الشُّعُورُ اللَّطِيفُ ذَاكَ الْوُجُودُ الْهَادِئُ هِيَ وَ مِن غَيْرِهَا لَمَحَهَا ثُمَّ خَرَجَ لِيَسْتَنِدَ بِنَبْضِهِ خَارِجَ الصَّفِّ لَا يَعْقِلُ أَنَّهُ أَخْطَأَ فِي مَلَامِحِهَا ،حُضُورُهَا ظَاهِرٌ حَتَّى مِنْ دُونِ إرَادَةٍ مِنْهَا أَعْرِفُهُ جَيِّدًا لَنْ يَجْرُؤَ عَلَى إظْهَارِ حَقِيقَتِهِ ، أَنَا مَن سَطَّرْتُ شَخْصِيَّتُهُ أَعْلَمُ جَيِّدًا أَنَّهُ جَبَانٌ لَيْسَ شُجَاعًا كِفَايَةً لِيُظْهِرَ نَفْسَهُ فِي الْعَلَنِ لَهَا ، لَوْ أَرَدْتُ لِنَجْعَلَهُ يَنْتَحِرُ لِنَحْكِ الْأَحْدَاثَ ضِدَّهُ لِنَدْفَعَهُ لِلْهَاوِيَةِ ذَاكَ مَا أَهْوَاهُ فِعْلَا الْعَبَثُ مَعَ الشَّخْصِيَّاتِ ،وَ مَا دُمْتُ الآنَ فَهِمْتُ صِيَاغَةَ النَّصِّ عَرَفْتُ مَا يَجُولُ بِخَاطِرِ سَلْمَى فَهِمْتُ كُلَّ مَا جَرَى لِأُقَرِّرَ مَا سَيَجْرِي بَعْدَهَا ، سَأَعْبَثُ بِالنَّصِّ كَمَا يَحْلُو لِي فِي الْبِدَايَةِ كُنْتُ خَائِفَةً أَلَا أُنْصِفُهُمْ أَنْ لَا أُدْرِكَ كِفَايَةً لُبِ شَخْصِيَّاتِهِمْ ،لَكِنْ بَعْدَ أَن تَحَرَّيْتُ عَن مَاضِيهِم وَ قَابَلْتُ الْعَدِيد مِن الْأَشْخَاصِ، نَزَلَت فِي النَّصِّ لِأَفْهَمَ، لِأُرَتِّبَ فَوْضَى عَقْلِيٍّ، الْتَقَيْتُ بِذَاكَ الشَّيْخُ الْمَدْعُوُّ مُصْطَفَى فِي الْمَقْهَى الْمُتَوَاجِدِ وَسَطَ الْمَدِينَةِ شَرِبْنَا كَأْسَيْ قَهْوَةٍ وَ

مَنَحَتْهُ الْمَالَ لِآخُذَ مِنْهُ مُسْتَجِدَّاتِ مَاضِي سَلْمَى أَخْبَرَنِي بِكُلِّ شَيْءٍ وَ دَلَّنِي عَلَى امْرَأَةٍ أُخْرَى تَقْطُنُ مَعَ ابْنَتِهَا فِي حَيٍّ عَتِيقٍ كَانَتْ جَارَتُهُمْ عَلَى مَا أَظُنُّ، ذَاكَ الرَّجُلُ الْمُلْتَحِي الَّذِي يُدْعَى مُصْطَفَى هُوَ صِدِّيقُ أَبَاهَا الْمَرْحُومِ،اسْتَنْجَدَتُ بِمَعَارِفَ غُرَبَاءَ يَعْرِفَانِ عَنْ حَيَاتِهَا رُبَّمَا حَتَّى أَكْثَرَ مِنْهَا.

حَدَثَ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي الْفَتَرَاتِ الَّتِي كُنْتَ تَضَعُ الْكِتَابَ جَانِبًا فِي الْفَتَرَاتِ الَّتِي كُنْتَ تَسْهُو فِيهَا عَن النَّصِّ أَو فِي الْفَتَرَاتِ الَّتِي لَم تَسْتَوْعِب شَيْءٌ مَا وَهَرَبَتْ بِتَفْكِيرِكَ لِمَكَانٍ آخَرَ، ذَهَبْتُ خَلْسَةً عَنْكَ وَ أَوْهَمْتُكَ بِوُجُودِي تَرَكْتَ لِسُلْمَى الْعِنَانَ لِتَسْتَرِقَ النَّظَرَ عَنِّي لِتُلْهِيكَ ،حَتَّى أَغُوصَ فِي النَّصِّ ثُمَّ عُدْتُ مُجَدَّدًا جَمَعْتُ مَعْلُومَاتٍ كَافِيَةً تَجْعَلُنِي عَلَى اسْتِعْدَادٍ تَامٍّ وَ رَغْبَةٍ جَامِحَةٍ فِي التَّحَكُّمِ بِالنَّصِّ حَسَنًا لِنَجْعَلَهُ يَنْتَحِرُ أَفْضَلَ مِن مُرَاقَبَةِ وَجْهِهِ وَهُوَ يُحَاوِلُ جَمْعَ مَلَامِحِهِ لَا يَرُوقُنِي حَرَجَهُ لَا تَرَوقُنِي أَحْدَاثٌ كَتِلْكَ أَبْحَثُ عَنْ إِثَارَةٍ أَكْثَرَ

_ أَوْ لَا انْتَظِرَ أَلَن تَكُونَ غَبِيًّا لِأَنَّكَ اشْتَرَيْتَ كِتَابًا لِكَاتِبٍ أَخْرَقَ مِثْلِي جَعَلَ الصَّفَحَاتِ فَارِغَةً بَعْدَ أَن أَخْتَارَ أَن يَنْتَحِرَ بَطَلَ الْقِصَّةِ لَنْ أَجْعَلَ مِنْكَ غَبِيًّا لِذَا لَنْ يَمُوتَ سَنُبْقِيهِ حَيًّا لِحِينِ اسْتِنْفَاذِ مَشَاعِرِهِ كُلِّهَا... اخْبِرْنِي فِي الصَّفَحَاتِ الْقَادِمَةِ إِنْ لَمْ يُعْجِبْكَ نَسْتَطِيعُ اسْتِبْدَالَهُ بِبَطَلٍ أُخَرَ أَكْثَرَ وَسَامَةِ حِنْطِيِّ الْبَشَرَةِ طَوِيلُ الْقَامَةِ جَذَابُ التَّفَاصِيلِ...كَارْمِنْ هُوَ كَارْمِنْ بِذَاتِهِ جَالِسُ الآنَ خَارِجَ الصَّفِّ يَسْتَجْمِعُ ثِقَتَهُ لِلدُّخُولِ مَرَّةً أُخْرَى وَمُقَابَلَةَ صَدِيقِهِ ،هُوَ يَدْرُسُ فِي الْمَرْحَلَةِ الْأَخِيرَةِ عُمُومًا إِن كَانَ تَفْصِيلٌ كَهَذَا سَيَهُمُّكَ أَتَعْلَمُ أَحْيَانًا أَتَعَاطَفُ مَعَهُ يَبْكِينِي حَالَهُ وَأَعْجِزُ عَنْ مُوَاسَاتِهِ لِأَنِّي أَنَا مَن اخْتَرْتُ مَآسِيَهُ اعْرِف كَارْمَنَ مُنْذُ صِبَاهُ كُنْتُ أُرَاقِبُهُ مِنْ بَعِيدٍ أَنَا مَن اخْتَرْتُ تَرْكِيبِهِ هَكَذَا لَعَلَّ تَفَاصِيلَ وَجْهِهِ لَا تَحْكِي عَمَّا دَاخِلَهُ ...وَأَعْجِزُ عَن مُوَاسَاتِهِ لِأَنِّي

أَنَا مَن اخْتَرْتُ مَآسِيَهُ اعْرِفْ كَارْمَنَ مُنْذُ صِبَاهُ كُنْتُ أُرَاقِبُهُ مِنْ بَعِيدٍ أَنَا مَنْ اخْتَرْتُ تَرْكَبِيهِ هَكَذَا لَعَلَّ تَفَاصِيلَ وَجْهِهِ لَا تَحْكِي عَمَّا دَاخِلَهُ ... وَ مَتَى كَانَتِ الْمَظَاهِرُ تُخْبِرُنَا شَيْئًا مِنَ الصِّدْقِ... الْأَشْيَاءُ الْخَفِيَّةُ دَوْمًا يَحْضُنُهَا اللَّيْلُ وَ الصَّمْتُ كَالْمَشَاعِرِ مَثَلًا... وَمَشَاعِرُ شَخْصٍ كَكَارِمن مِنَ الصَّعْبِ أَنْ تَظْهَرَ لِلْعِيَانِ كَوْنَ أَنَّ أُمَّهُ تُوُفِّيَتْ فِي سِنٍّ مُبَكِّرَةٍ وَأَنَّهُ مُنْذُ مَوْتِهَا اخْتَارَ الْكُتُبَ وَالْكِتَابَةَ فِي الصَّفَحَاتِ الصَّفْرَاءِ الْبَالِيَةِ لَيْلًا خَاصَّةً عِنْدَمَا كَبِرَ صَارَ يَعْجِزُ عَن الْبَوْحِ بِمَكْنُونَاتِ صَدْرِهِ، لَعَلِّي الْوَحِيدَةُ الَّتِي أَدْرِي عَن الْأَرَقِ الَّذِي يُصِيبُهُ فَفَكَّرْتُ أَنَّهُ رُبَّمَا سَيَكُونُ مِنْ الْأَفْضَلِ لَوْ سَطَّرْتُ أَحْدَاثا أُخْرَىٰ تُثْلِجُ صَدْرَهُ ، فَكَّرْتُ انَّهُ رُبَّمَا بِدُخُولِ عُنْصُرٍ أُنْثَوِيٍّ كَسلْمَى سَأُخَفِّفُ عَنْهُ الْعِبْءَ قَلِيلًا .

.... كَوْنِي لَا أَعْلَمُ عَن سَلْمَى إِلَّا الْقَلِيلَ ذَلِكَ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ تَابِعَةً لِكِتَابِي هَذَا ...لَقَدْ دَمَجْتُهَا هُنَا كَانَتْ تَعِيشُ فِي كِتَابٍ أُخَرَ، فَاخْتَرَتْ نَقْلَهَا لِصَفَحَاتِ هَذَا الْكِتَابِ بَعْدَ أَن رَاقَبْتُهَا مِرَارًا وَ تَكْرَارًا وَ وَوَجَدَتُهَا مُنَاسِبَةً لِتَكُونَ رُبَّمَا بَطَلَةُ هَذِهِ الْقِصَّةِ كَانَت حَيَاتُهَا لِتُصْبِحَ تَعِيسَةً كَانَت سَتَتَزَوَّجُ مِن رَجُلٍ ثَرِيٍّ مِن مَعَارِفِ أَخَاهَا وَ تَعِيشُ حَيَاتًا تَقْلِيدِيَّةً لَمْ أُرِدْ سِجْنَهَا هُنَاكَ، وَكَانَتْ لِتَكُونَ حَيَاةَ كَارْمِنْ أَقْرَبَ لِحَيَاةِ النَّجَاحِ أَكْثَرَ، كَانَ سَيُصْبِحُ مُؤَلَّفًا نَاجِحًا ، لَكِنَّنِي اخْتَرْتُ دَمْجَهُمَا وَكُنْتُ مُتَأَكِّدَةً أَنَّ شَيْئًا مَا سَيَحْصُلُ مِن أَنَّ كَارْمِن سَيَعْجَبُ بِهَا ..

أَمَّا عَن سَلْمَى فَلَا عِلْمَ لِي بِهَا بَعْدُ، شُعُورُهَا غَرِيبٌ لَم أَسْتَطِعْ فَهْمَهَا يَمْتَزِجُ دَوْمًا بِخَوْفٍ دَفِينٍ لِعَلِّي لَن أَفْتَحَ لَكَ ذَاكَ الدَّفْتَرَ مِن مَاضِيهَا دَعْنَا مِنْهُ الآنَ ، مَا مَضَى فَاتَ وَلنْ يَعُودَ فَلْنَبْقَ مُتَيَقِّظِينَ لِلْحَاضِرِ .

أَتَعْلَمُ إنّي أَحْيَانًا أَخَافُ خَاصَّةً فِي اللَّيْلِ مِن أَن يَتَأَمَّرَ عَلَيَّ أَبْطَالَ رِوَايَتِي وَ يَقُومُونَ بِقَتْلِي لِأَنّي اشْتَرَيْتُ لَهُمْ مَشَاعِرَ يَائِسَةً خَطَّتْهَا أَيَادِيَ بَارِدَةٌ فِي لَيْلٍ صَامِتٍ أَعْمَقَ مِنْهُ إِلَى الْبَوْحِ..

اسْتَعَادَ كَارْمِنْ هَيَّأَتَهُ وَرَتَّبَ تَفَاصِيلَ وَجْهِهِ مُجَدَّدًا ثُمَّ دَخَلَ الصَّفَّ ، سَلْمَى لَا تَدْرِي عَمَّا يُحْدُثُ كُلُّ ذَاكَ الضَّجِيجِ الَّذِي تَسَبَّبَتْ بِهِ وَهِيَ لَازَالَتْ شَارِدَةً ،

رَنَّ الْجَرَسُ

نَهَضَتْ سَلْمَى نَاعِسَةَ الْعَيْنَيْنِ تَوَرَّدَتْ وَجَنَتَاهَا إِثْرَ غَفْوَتِهَا وَاحْمَرَّتْ شَفَتَاهَا ، اقْتَرَبَتْ مِنْ البَابَ لِتَخْرُجَ، وَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ تَنْتَبِهُ لِكَارْمِنْ بَعْدَ تِلْكَ اللِّقَاءَاتِ الْمُتَكَرِّرَةِ الَّتِي لَا تَدْرِي عَنْهَا شَيْئًا، شَيْءٌ مَا أَوْقَفَهَا لِمُلَاحَظَتِهِ شَابٌّ بِمَلَامِحَ كَتِلْكَ ،بِابْتِسَامَةٍ كَتِلْكَ صَعْبَ أَن لَا يَلْتَفِتَ لَهُ شَخْصٌ مَا ،رُفِعَتْ عَيْنَاهَا لِحُدُودِ طُولِهِ لِتَحِثَّهُ عَلَى الِابْتِعَادِ عَن البَابِ لِتَعْبُرَ، لَكِنَّهُ لَم يُعِرْهَا أَيَّ انْتِبَاهٍ كَانَ يَتَحَاشَاهَا مُتَعَمِّدًا لِيُثِيرَ حَيْرَتَهَا لَكِنَّهُ لَم يَكُن يَدْرِي أَنَّهَا مِنْ الْفَتَيَاتِ الَّتِي لَا يَسْتَهْوِيهَا الظُّهُورُ الْمُلْفِتُ عَاشَت طُولَ حَيَاتِهَا فِي الزَّاوِيَةِ فَلَن يَلْفِتَهَا تَجَاهُلٌ كَهَذَا عَادَتْ أَدْرَاجُهَا بِهُدُوءٍ تَامٍّ مِن دُونِ أن تَتَكَلَّمَ حَتَّى لَعَنَ نَفْسَهُ لَعَنَ غَطْرَسَتَهُ وَ غَبَائِهُ لَوْ أَتَاحَ لَهَا الْفُرْصَةَ لِلْعُبُورِ لَو فَقَطْ اسْتَدَارَ لِيَسْتَرِقَ مَلَامِحَهَا لِيَأْخُذَهَا وَ يَدْفِنَهَا فِي مُخِيلَتِهِ لِيُحْيِيَهَا لَيْلًا ، لَكِنَّهُ أَغْبَى مِنْ أَنْ يَفْعَلَ، جَلَسْتُ سَلْمَى فِي مَقْعَدِهَا وَ حَمَلَتْ كِتَابَهَا الْمَوْضُوعَ فَوْقَ طَاوَلَتِهَا رَاحَت تَقْرَأُ قَلِيلًا رَاحَتْ تَغُوصُ فِي الْحُرُوفِ لَعَلَّهَا تُنْجِدُهَا مِن وحْدَتِهَا كَانَ يَسْتَرِقُ النَّظَرَ إليها ،مَن غَيْرَه كَارْمِن ؟ وَيَشْعُرُ بِنَشْوَةٍ يَجْهَلُ مَصْدَرَهَا نَشْوَةَ الْمَجْهُولِ .

إنَّهَا الآنَ تَحْمِلُ كِتَابًا قَطَعَ أَمْيَالًا لِيَصِلَ مَعَهَا لِمَكَانِ وُجُودِهِ ، لَا تَعْرِفُ سَلْمَى أَنَّ ذَاكَ الْفَتَى الْوَاقِفَ عِنْدَ بَابِ الصَّفِّ الْغَارِقِ فِي الْحَدِيثِ مَعَ زَمِيلِهِ هُوَ مَن مَنَحَهَا الْكُتُبَ

أَنَّهُ مَن أَهْدَاهُ ذَاكَ الْكِتَابُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهَا اكْتَفَى بِذَاكَ الظُّهُورِ يَوْمَهَا ثُمَّ صَارَ تَقْرِيبًا يَوْمِيًّا يَأْتِي لِصَفِّهَا جَاعِلًا سَبَبَ قُدُومِهِ هُوَ صَدِيقُهُ، لَكِنَّ ذَاكَ مَا لَمْ يُصَدِّقْهُ صَدِيقُهُ وَ لَوْ لَوْهِلَةً ،كَانَ يَعْلَمُ تَمَامًا مَا يَحْدُثُ ،كَانَ يُلَاحِظُ نَظَرَاتِهِ وَ تَأَمُّلُهُ لَهَا، صَارَ يَحْضُرُ الْحِصَصَ مَعَهُمْ يَجْلِسُ فِي أَخَرِ الصَّفِّ فِي مَكَانٍ يَجْعَلُهُ يُرَاقِبُهَا حَاقِدًا أَشَدَّ الْحِقْدِ عَلَى ذَاكَ الشَّابِّ غَرِيبِ الْأَطْوَارِ الْجَالِسِ بِجَانِبِهَا ، حَتَّى أَنَّهُ فِي يَوْمٍ أَرَادَ لَوْ أَنْهَا اقْتَرَبَ وَ لَكَمَهُ بَعْدَ أَن رَآهُ يُتَمْتِمُ بِكَلِمَاتٍ غَيْرِ مَسْمُوعَةٍ نِسْبِيًّا لِكَارِمِنَ كُلُّ مَا فَهِمَهُ مِنْ حَدِيثِهِمْ هُوَ كَلِمَةُ مُمَيَّزٍ ... صَارَ الْفَتَى أَنِيسُ سَلْمَى الْوَحِيدَ صَارَتْ تُجِيدُ الْحَدِيثَ مَعَهُ هِيَ الَّتِي لَم تَخْتَر يَوْمًا شَخْصًا يُؤْنِسُ وَحْدَتَهَا هِيَ الَّتِي لَمْ تَكُونْ صَدَاقَاتٍ وَ لَوْ لِيَوْمٍ فِي حَيَاتِهَا، صَارَتْ تَجْلِسُ مَعَهُ فِي السَّاحَةِ يَتَكَلَّمَانِ لِسَاعَاتٍ صَارَت تُجِيدُ الضَّحِكَ صَارَ وَاضِحٌ عَلَى عَيْنَيْهَا تِلْكَ الْفَرْحَةُ الْمَنْسِيَّةُ ، كَانَ كَارْمِنْ يَمْقُتُ كَوْنَهُ لَيْسَ سَبَبَهَا وَ كَأَنَّ ذَاكَ الْفَتَى سَيَسْرِقُ الْأَضْوَاءَ عَنْهُ أَخَذَ مِنْهُ الشَّخْصُ الْوَحِيدَ الَّذِي أَرَادَ قُرْبَهُ لَم يُرِد تَهَاتُفَ الْمُعْجَبَاتِ الْمُحِيطَاتِ بِهِ أَرَادَهَا فَقَطْ هِيَ ، فَمُنِحَ الْفَتَى سَلْمَى وَ مُنِحَ كَارْمِنْ الْأَنْظَارَ ،كُلُّ الْأَعْيُنِ عَلَيْهِ غَيْرَ عَيْنَي مَن أَرَادَ رُؤْيَتَهُ أَوْ لَمْحَهُ وَ لَوْ لَحْظَةً.

لَم تَكُن تَنْوِي سَلْمَى أَيِّ شَيْءٍ مِمَّا حَدَثَ لَكِن مَعَ مُرُورِ الْوَقْتِ صَارَ ذَاكَ الْفَتَى صَدِيقَهَا الرُّوحِيَّ تَتَبَادَلُ مَعَهُ الْأَحَادِيثُ يَوْمِيًّا، وَ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ كَانَتْ بِدَايَةَ أُسْبُوعٍ جَدِيدٍ بِدَايَةَ نَفْسٍ جَدِيدَةٍ تَحَرَّى كَارْمِن عَن الْمَدْعُوِّ حُسَامِ ذَاكَ الْفَتَى الَّذِي رَافَقَ سَلْمَى حَاكَ قِصَّةً مُكْتَمِلَةَ التَّفَاصِيلَ مِن أَجْلِهِ، ذَهَبَ لِحَيِّ مُشْتَبَهٍ أُمْسِيَّةُ الْجُمْعَةِ حَيٌّ وَاضِحٌ الْمَعَالِمِ أَنَّهُ لِمُتَاجَرَةِ الْمَمْنُوعَاتِ ،أَوْجُهٌ تَضِيعُ فِي أَوْجِ الْحَيَاةِ فَقَدَت هُوِيَّتَهَا وَهِيَ تَبْحَثُ عَن مَصْدَرٍ سَرِيعٍ لِجَلْبِ الْمَالِ فَقَدُوا ذَوَاتهمْ تَائِهِينَ فِي

مُصَارَعَةِ الْحَيَاةِ ،لِكُلِّ قِصَّتِهِ الَّتِي أَوْصَلَتْهُ لِنُقْطَةٍ كَتِلْكَ ، لَكِنَّ النَّتِيجَةَ وَاحِدَةٌ،اتَّفَقَ مَعَ أَحَدٍ مِنْهُم لَفَّ لَهُ قِطْعَةً مِن الْكَيْفِ الْمُعَالِجِ مَنَحَهُ الْمَالَ وَ هُوَ يَحْمَدُ الْمَوْلَى كَوْنَهُ اسْتَطَاعَ الْخُرُوجَ مِن تِلْكَ الْبُقْعَةِ سَالِمًا قَبْلَ أَن يُدَسَّ فِي أَعْضَائِهِ خِنْجَرٌ مِن تِلْكَ الْأَوْجُهِ الْمُشَوَّهَةِ بِآثار الْمُشَاجَرَاتِ... نَهَضَ صَبَاحًا ذَهَبَ لِلْمَدْرَسَةِ تَرَجَّلَ لِصَفِّ سَلْمَى تَكَلَّمَ مَعَ ذَاكَ الْفَتَى الَّذِي اتَّفَقَ مَعَهُ عَصْرُ الْبَارِحَةِ مَنَحَهُ النُّقُودَ وَ بِدَوْرِهِ رَاحَ ذَاكَ الْفَتَى وَ وَوَضَعَ تِلْكَ الْقِطْعَةَ فِي حَقِيبَةِ حُسَامٍ حِينَ اسْتِرَاحَةِ الْعَاشِرَةِ ، الْأَجْوَاءُ رُوتِينِيَّةٌ لِحَدِّ تَحَرُّكِ أُسْتَاذِ الرِّيَاضِيَّاتِ بِلِكْنَتِهِ الْهَادِئَةِ الْوَاثِقَةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى نُضْجِهِ ، نَادَى حُسَامًا لِيَتَكَلَّمَ مَعَهُ عَلَى انْفِرَادٍ،اعْتَلَى حُسَامُ الْمَسْطَبَةِ اقْتَرَبَ مِنْ الْأُسْتَاذِ فَتَحَ الْأُسْتَاذُ يَدَهُ لِيُرِيَهُ مَا تَحْوِيهَا تِلْكَ الْقِطْعَةُ تُرَابِيَّةُ اللَّوْنِ لَم يَفْهَم حُسَامٌ لِمَا يَرْمِي إِلَيْهِ الْأُسْتَاذُ حَتَّى فَاجَئَهُ قَائِلًا:

_تَعْلَمُ تَمَامًا عَمَّا أَتَحَدَّثُ نَفَى حُسَامٌ مَا يَرْمِي إِلَيْهِ الْأُسْتَاذُ لِيَسْتَمِعَ لِسَيْلٍ مِنَ التَّوْبِيخِ غَيْرَ مَا كَانَ يَحْضِرُهُ الْأُسْتَاذُ مِن قَائِمَةِ نَصَائِحِ تَوْجِيهِيَّةٍ، لَمْ يَسْتَطِعْ حُسَامٌ أَنْ يُبَرِّرَ مَوْقِفَهُ أَو أَن يَجْعَلَهُ يَفْهَمُ أَنَّهُ لَم يَأْتِ بِهَا لِلصَّفِّ، فَهُوَ حِينَمَا تَتَأَزَّمُ عَلَيْهِ الْأُمُورُ وَيُصَابُ بِقَلَقٍ تَضْطَرِبُ بَحَّةُ صَوْتِهِ تَضْطَرِبُ كَلِمَاتُهُ تَتَقَطَّعُ مَخَارِجُ حُرُوفِهِ لِدَرَجَةٍ جَعَلَت أُسْتَاذَهُ لَا يُرَتِّبُ مَفْهُومَهَا وَ يُبَرِّرُ مَوْقِفَهُ لَم يَمْنَحْهُ فُرْصَةَ الدِّفَاعِ عَن ذَاتِهِ حَتَّى أَصِيبَ بِغُصَّةٍ فِي قَلْبِهِ وَبِتَخْدِيرٍ جُزْئِيٍّ وَبِحَرَجٍ ظَاهِرٍ لِكَوْنِهِ أَرَى مَا لَم يَكُن يَرِد يَوْمًا حُدُوثَهُ أَنَّهُ يُعَانِي مِن التَّأْتَأَةِ ، أُصَابَ بِحَرَجٍ مِنْ التَّلَامِيذِ الْمُصْطَفِّينَ صَارَ يَعِيشُ وَاقِعٌ لَطَالَمَا ذَعِرَ مِنْهُ أَن تُعَادَ حَلْقَةُ الأَيَامِ الْخَوَالِي أَن يُقَلِّدَ صَوْتَهُ فِي طَيِّ الْمِزَاحِ أَنْ يَتَهَامَسَ عَلَيْهِ التَّلَامِيذُ ظَنًّا مِنْهُمُ أَنْ لَا شَيْءَ يَظْهَرُ ،كَانَت سَلْمَى الْفَتَاةِ الْوَحِيدَةِ فِي الصَّفِّ الَّتِي تَبْقَى مَعَهُ تَلْعَنُ غَطْرَسَتَهُمْ تَجْعَلُهُ يَفْهَمُ أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مَا يَرَى

النَّاسَ هُوَ مَا يُهِمُّ أَنَّ الْأَهَمَّ فِي بَاطِنِهِ، زَادَ الْأَمْرُ سُوءًا وَ كَأَنَّ كَارْمِنَ بِفِعْلَتِهِ تِلْكَ زَادَ اقْتِرَابُ سَلْمَى مِنْهُ فِي يَوْمِ خَمِيسٍ مُمْطِرٍ فِي حِصَّةِ الرِّيَاضَةِ كَانَتْ تَجْلِسُ سَلْمَى بِجَانِبِ حُسَامٍ يَتَبَادَلَانِ الْأَحَادِيثَ يَضْحَكَانِ تَارَةً وَيَغُوصَانِ فِي حَدِيثٍ آخَرَ تَارَةً أُخْرَى كَانَ قُبَالَتُهُم كَارْمِن يُجْرِي مُبَارَاةَ كُرَةِ سَلَّةٍ بِجِسْمِهِ الرِّيَاضِيِّ وَمَلَامِحِهِ الرُّجُولِيَّةِ مُتَعَمِّدًا لَفَتَ انْتِبَاهِ سَلْمَى لَكِنَّهُ فَشِلَ كَكُلِّ مَرَّةٍ ،ذَاكَ مَا كَانَ عَالِقًا فِي ذِهْنِ كَارْمِن لَكِنْ مَا كَانَ يَجْهَلُهُ هُوَ أَنَّ سَلْمَى تَلْمَحُهُ وَ تَرَاهُ حَتَّى مِنْ دُونِ مُحَاوَلَةٍ مِنْهُ لِلْفَتِ انْتِبَاهِهَا، قَصَّ لَهَا يَوْمَهَا حُسَامٌ عَن مَا جَرَى قَبْلَ أَنْ تَلتقيهِ ، تِلْكَ السَّنَوَاتُ الَّتِي مَضَتْ :

تَرَبَّى فِي عَائِلَةٍ مُثَقَّفَةٍ وأَحَبَّ الْقِصَصَ الْمُصَوَّرَةَ مِن صِغَرِهِ أَرَاهَا رُسُومَاتِهِ، فَنَّهُ التَّشْكِيلِيَّ وَخَيَالَهُ الْمَلِيءَ بِالتَّفَاصِيلِ وَالْأَلْوَانِ، عَانى مِن التَّأْتَأَةِ فِي سِنٍّ مُبَكِّرَةٍ كَانَ يَخْجَلُ مِن الظُّهُورِ أثناءَ الْمُشَارَكَةِ ، حَاوَلَ مِرَرًا وَتَكْرَارًا أَنْ يُصْبِحَ فَرْدًا مِن الْمَجْمُوعَةِ لَكِنَّهُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَنْزَلِقُ مِنْهُ ذَرَّةُ الثِّقَةِ الَّتِي مَنَحَهَا لَهُم لِتَذْكِيرِهِ دَوْمًا أَنَّهُ يَحْمِلُ شَيْئًا لَابُدَّ أَن يَخْجَلَ مِنْهُ، مِن جَعْلَهُ يُفْهَمُ أَنَّ ذَاكَ نَقَصَ بِهِ تَمْلَئُهُ نُكَاتُهُمُ السَّخِيفَةُ وَ هُتَافُهُمُ الصَّامِتَ فَاخْتَارَ بَعْدَهَا أَن يَنْفَصِلَ عَنِ النَّاسِ أَنْ يَحْتَفِظَ بِصَوْتِهِ لِنَفْسِهِ فَظَلَّ صَامِتًا لِحِينِ الْتِقَائِهِ بِسَلْمَى سَمَحَ لِصَوْتِهِ أَنْ يَسْتَرْسِلَ فِي الْأَجْوَاءِ بِصُورَةٍ عَفْوِيَّةٍ ...

تَوَالَتِ الْأَيَّامُ وَتَطَوَّرَ الْوَضْعُ لِحَدِيثٍ هَادِئٍ خَجُولٍ بِالنَّظَرَاتِ اخْتَارَتْ سَلْمَى خَلْقَهِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ كَارْمِن لَعَلَّ أَفْضَلَ فَتْرَةٍ سَتَعِيشُهَا هِيَ تِلْكَ الَّتِي لَمْ يُفْضَحَ فِيهَا الْحُبُّ بَعْدُ، اللَّحَظَاتُ الأولَى مِنْ وِلَادَةِ الشُّعُورِ أَنَّ أَجْمَلَ مَا فِي الْحُبِّ هُوَ ارْتِبَاكُ اللَّحَظَاتِ الْأُولَى كَتِلْكَ ..

لَعَلَّ حُسَامٌ لَم يَفْهَم أَنَّ أَكْثَرَ مَا يُمَيِّزُهُ هُوَ لَمَسَتَهُ الْخَاصَّةُ فِي الْأَجْوَاءِ هُوَ تَفَرُّدُهُ بِشَخْصِيَّتِهِ عَن الآخَرِينَ هُوَ أَنَّهُ مُلْفِتٌ لِلِانْتِبَاهِ بِغَيْرِ مَا كَانَ ظانًّا أَنَّ النَّاسَ تُلَاحِظُهُ مِن خِلَالِهِ أَنَّهُ لَم يَكُن يَوْمًا نَقْصًا بَل تِلْكَ عُقُولُ الْمُجْتَمَعِ الْمَرِيضَةُ لَيْسَ إِلَّا، ذَاكَ مَا كَانَتْ سَلْمَى تُحَاوِلُ قَوْلَهُ لِحُسَامٍ اسْتَبْعَدْتُهُ عَنْ النَّصّ، حُسَامٍ وَ مِن غَيْرِهِ، جَعَلْتُهُ يَنْتَقِلُ لِمَدْرَسَةٍ أُخْرَى بَعْدَ تَوْصِيَةٍ مِن وَالِدِهِ ذَاكَ كَانَ سَيُسْهِلُ الْأَوْضَاعَ أَكْثَرَ سَتَشْعُرُ سَلْمَى بِفَرَاغٍ بَعْدَهُ مِمَّا سَيُمْنَحُ لِكَارْمِن الْفُرْصَةَ لِيَقْتَرِبَ مِنْهَا ، ذَاكَ مَا حَدَثَ فِعْلًا بَعْدَ ذَهَابِ حُسَامٍ صَارَ الطَّرِيقُ وَاضِحًا لِكَارْمِنْ وَ بِحَرَكَاتٍ مُرَاهِقَةٍ كَتِلْكَ أَقْرَبَ لِلصِّدْقِ اسْتَطَاعَ كَارْمِن اعْتِلَاءَ تَفْكِيرِ سَلْمَى

شَهْرُ دِيسِمْبِرَ عَلَى الْأَبْوَابِ لَعَلَّهُ شَهْرُ سَلْمَى الْمُفَضَّلُ تُحِبُّ أَجْوَائُهُ الشَّتْوِيَّةَ وَ الدَّفْءُ الَّذِي يَمْنَحُهُ دَاخِلَ الْأَنْفُسِ تُحِبُّ النِّهَايَاتِ دَوْمًا ،مِن الْأَشْخَاصِ الَّتِي لَا تَسْتَهْوِيهَا الْبِدَايَاتُ مُطْلَقًا بَل تُلَاحِظُ كُلُّ نِهَايَةٍ فِي حَدَثٍ مَا، تُلَاحَظُ آخِرَ كَلِمَةٍ تُقَالُ آخِرَ نَبْرَةً تُعْلِنُهَا الْحُنْجُرَةُ قَبْلَ الدُّخُولِ فِي الصَّمْتِ بَعْدَهَا، تُلَاحَظُ الْعَاهَاتُ فِي الْأَوْجُهِ تُرَاقِبُ كُلَّ مَا يَرَاهُ النَّاسُ نَاقِصًا وَبِعَيْنِهَا تَرَاهُ مُمَيِّزًا بِطَرِيقَةٍ مَا ...

الْفَصْلُ الثَّالِثُ

فِي مَدِينَةِ الْكُتُبِ الْمُعَلَّقَةِ

السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ دِيسِمْبِرَ كَتَبَ كَارْمِن فِي وَرَقَةٍ عَشْوَائِيَّةٍ نَفْسَ الْعِبَارَاتِ الَّتِي دَوَّنَهَا فِي آخِرِ الْكِتَابِ الَّذِي مَنَحَهَا إِيَّاهُ خِلْسَةً ،وَضَعَهُ فِي دُرُجِ طَاوَلَتِهَا فِي صَبَاحِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَ ذَهَبَ لِصَفِّهِ دَخَلَتْ سَلْمَى الصَّفّ تَوَجَّهَتْ لَطَاوِلَتُهَا لَاحَظْتْ وُجُودَ تِلْكَ الْوَرَقَةِ فَتَحْتَهَا لِتَقْرَأَ مَا دَاخِلَهَا، فَتَذَكَّرَتْ أَنَّهَا لَمَحَتْ ذَاتَ الْخَطِّ ذَاتَ مَيَلَانِ الْحُرُوفَ ذَاتَ الْكَلِمَاتِ ذَاتِ التَّوْقِيعِ ظَنَّتْ أَنَّهُ مَحْضُ الصُّدْفَةِ وأَنَّهُ رُبَّمَا وَقَعَ مِنْ كُتَّابِهَا بِدُونِ انْتِبَاهٍ مِنْهَا لَكِنَّهَا كَانَتْ مُتَأَكِّدَةً أَنَّهَا لَمْ تَلْمَحْهَا قَبْلَ تِلْكَ اللَّحْظَةِ وَ مَا زَادَهَا يَقِينًا هُوَ أَنَّ الْقَلَمَ لَمْ يَجِفَّ بَعْدُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا حَدِيثَةُ الْكِتَابَةِ رَاحَتْ تَبْحَثُ عَنْ ذَاكَ الِاسْمِ كَارْمِنْ؟؟اسْمُ مُمَيَّزٌ، عَلَتْ ضَحْكَةٌ خَفِيفَةٌ وَجْهَ سَلْمَى فِي يَوْمِ أَرْبِعَاءٍ أُخَرَ فِي سَاحَةِ الرِّيَاضَةِ، كَانَتْ جَالِسَةً تُرَاقِبُ الْفَتَى الْمَجْهُولَ وَ هُوَ يَسْتَمِرُّ بِالرَّكْضِ وَاثِقًا وَسَطَ الْمَلْعَبِ تُرَاقِبُهُ ثُمَّ عِنْدَمَا يَسْتَدِيرُ لَهَا تَلْتَفِتُ عَنْهُ وَ كَأَنَّهَا لَمْ تَنْتَبِهْ لَهُ ، سَمِعَتْ صَدِيقَهُ فِي الْفَرِيقِ يُنَادِي كَارْمِن انْتَبَهَتْ وَكَأَنَّهَا وَجَدَتْ شَيْئاً مَا، كَانَت تَبْحَثُ عَنْهُ مُنْذُ مُدَّةٍ مُؤَكَّدٍ أَنَّ كَارْمِن وَسَطَ الْمَلْعَبِ لَكِن أَيْنَ هُوَ صَارَتْ تَبْحَثُ عَنْهُ بَيْنَ الْأَوْجُهِ أَيٌّ مِنْهُمْ هُوَ بَطَلُ قِصَّتُهَا الْخُرَافِيَّةِ الَّتِي تَنْسِجُهَا كُلَّ يَوْمٍ قَبْلَ نَوْمِهَا ،

نَهَضَتْ مِن مَكَانِهَا ، جَلَسَت بِجَانِبِ الْفَتَاةِ صَاحِبَةَ الشَّعْرِ الْأَسْوَدِ الَّتِي تَدْرُسُ فِي الصَّفِّ الْأَخِيرِ سَأَلَتْهَا بِعَفْوِيَّةٍ ظَاهِرَةٍ

_تَعْرِفِينَ كَارْمِن؟

اسْتَدَارَتِ الْفَتَاةُ لَهَا ، لَمَحَتْهَا بِنَظْرَةٍ مَا وَابْتَسَمَتْ تَقْصِدِينَ كَارْمَنْ ذَاكَ الْفَتَى طَوِيلَ الْقَامَةِ الَّذِي يَلْعَبُ الآنَ؟ أَشَارَتْ بِيَدِهَا وَوَضَعَتْ سَلْمَى فِي وَضْعٍ حَرَجٍ فَفِي لَحْظَةِ إِشَارَتِهَا اسْتَدَارَ كَارْمِنَ ولَاحَظَ حَرَجَ سَلْمَى وَاحْمِرَارٍ وَجَنَتَاهَا،فَفَهِمَ أَنَّهُ أَخِيرًا أَصْبَحَ

يُرَى أَخْبَرَتْهَا الْفَتَاةُ عَن كَارْمِن الْكَثِيرِ، أَنَّهُ صَاحِبُ شَخْصِيَّةٍ قَوِيَّةٍ وَأَنَّ الْمُعْجَبَاتِ يتنافسن عَلَى الِاقْتِرَابِ مِنْهُ إِنَّهُ صَدِيقُهَا مُنْذُ الْمَدْرَسَةِ الْإِعْدَادِيَّةِ وَتَعَلَمَ عَنْهُ الْكَثِيرُ، لَم تُعَلِّق سَلْمَى بَل مَنَحْتْهَا سُؤَالاَ آخَرَ

_يُحِبُّ الْكُتُبَ؟

تَوَقَّفَتْ نَهْلَاءُ مُسْتَغْرَبَةٌ سُؤَالَهَا ثُمَّ اسْتَدَارَت لَهَا بِسَمْرَتِهَا الْمُلْفَتَةِ وَ قَالَتْ:

_لَا أَظُنُّ لَم أُلَاحِظ ذَلِكَ يَوْمًا

شَكَرَت سَلْمَى الْفَتَاةَ وَانْصَرَفَت مَكْسُورَةَ الْخَاطِرِ ، تَفَتَّتْ ظُنُونُهَا وَتَنَاثَرَت فِي الْهَوَاءِ عَلَى مَرْأَى مِنْهَا لَيْسَ هُوَ كَارْمِن بَطَلَ قِصَّتُهَا الْخُرَّافِيَّةُ ذَهَبَت لِلصَّفِّ وَ فِي حِينِ ذَهَابِهَا تَوَجَّهَ كَارْمِن مُسْرِعًا لِنَهَلَاءَ وَ صَارَ يَسْتَجْوِبُهَا، اسْتَغْرَبَتْ الْفَتَاةُ بِدَوْرِهَا، فَهِيَ لَم تَرَى يَوْمًا كَارْمِنْ يَهْتَمُّ لِفَتَاةٍ وَ يَسْأَلُ عَنْهَا أَخْبَرَتْهُ عَن الْحَدِيثِ الَّذِي جَرَى بَيْنَهُمَا فَمَقَتَ غَبَاءَ صَدِيقَتِهِ جَلَسَ بِجَانِبِهَا وَ حَرَّكَ شَعْرَهُ بِإِمَالَةٍ بِرَأْسِهِ بِحَرَكَةِ نُفُورٍ مِنَ الْوَاقِعِ وَ فُقْدَانُ أَمَلٍ كَبِيرٍ ثُمَّ اسْتَدَارَ لَهَا قَائِلًا

_مَا أَدْرَاكِ يَا نَهْلَاءُ أَنِّي لَا أَهْوَى الْكُتُبَ إِنَّهَا هِوَايَتِي الْمُفَضَّلَةُ

نَهْلَاءُ : مَاذَا؟ أَأَنَتْ جَاد كَارْمِن ؟ وَالْكُتُب؟ لَابُدَّ أَنَّكَ تَمْزَحُ ثُمَّ رَمَقْتَهُ بِنَظْرَةٍ ذَاتِ مَعْنًى وَاعْتَلَّتْ وَجْهَهَا ابْتِسَامَةٌ تُشِيرُ بِعَدَمِ التَّصْدِيقِ وَالِاسْتِغْرَابِ

نَهَضَ كَارْمن مِن جَانِبِهَا ثُمَّ عَادَ وَاسْتَدَارَ قَائِلًا:

_نَهْلَاء لَو طَلَبْتُ مِنْكِ شَيْئًا بِكَوْنِي صَدِيقَكِ، أَيَكُونُ ذَلِكَ مُحْرِجًا لَكِ!

رَدْتَ بِدَوْرِهَا :

_مُؤَكِّدٌ أَنَّكَ تَمْزَحُ ، مَتَى كَانَ الِاسْتِئْذَانُ مِن شِيَمِنَا؟ قُلْ مَا تُرِيدُ

اقتربي مِن سَلْمَى وَحَاوِلِي أَن تَكُونِي صَدِيقَتُهَا

_مَن سَلْمَى؟

_الْفَتَاةُ الَّتِي سَأَلْتُكِ مُنْذُ قَلِيلٍ مَاذَا سَتَسْتَفِيدُ مِن هَذَا

_قُومِي بِمَا أَخْبَرْتُكِ وَسَأَفْعَلُ مَا تُرِيدِينَ

_مَا أُرِيدُ مُتَأَكِّدٌ!!!!

نَعَم لَكِ ذَلِكَ

كَانَ الْحِوَارُ قَائِمًا وَكَارْمِن يَجْلِسُ مُطَأْطِئٌ فِي الْأَرْضِ وَاضِعًا يَدَيْهِ فَوْقَ رُكْبَتَيْ نَهْلَاء

انْتَظَرِي نَسِيتُ شَيْئًا ،شَخْصِيَّةُ سَلْمَى غَامِضَةً وَلَيْسَ مِنْ السَّهْلِ التَّقَرُّبُ مِنْهَا ابْذُلِي مَا فِي وُسْعِكِ لُطْفًا

_ لَمَحَتْهِ بِنَظْرَةِ اسْتِغْرَابٍ أُخْرَى ثُمَّ ابْتَسَمْت وَ ذَهَبَت

نَهْلَاءُ مِن نَوْعِ الْفَتَيَاتِ النَّاضِجَاتِ، الَّتِي تَعْلَمُ تَمَامًا مَتَى تَتَحَرَّكُ وَ كَيْفَ ،لَا تَرْسُمُ الْعَفْوِيَّةُ مَعَهَا طَرِيقًا هِيَ مُنْتَبِهَةٌ لِكُلِّ تَفْصِيلٍ وَتَفْهَمُ جَيِّدًا مَا يَجُولُ حَوْلَهَا وَ مِنَ

الصَّعْبِ الْإِيقَاعُ بِظُنُونِهَا أَوْ شَخْصِيَّتِهَا أَرْضًا ،جَرِيئَةً وَمُنْفَرِدَةً بِذَاتِهَا قَلِيلًا مَا تَرَاهَا صَامِتَةً أَوْ مُتَكَتِّمَةً دَائِمَةَ الضَّحِكِ وَ الْمُزَاحِ تَخْتَلِفُ اخْتِلَافًا جِذْرِيًّا عَن سَلْمَى

ذَاكَ مَا فَعَلَتْهُ نَهْلَاءُ تَمَامًا حَاوَلَتْ مِرَارًا وَ تَكْرَارًا جَذْبَ سَلْمَى ،جَلَسَتْ يَوْمًا بِجَانِبِهَا مُحَاوِلَةً سُؤَالِهَا عَن دَرْسٍ تَمَّ تَدْرِيسُهُ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ وَأَنَّهُ فِي مُقَرَّرِهِم وَلَم تَفْهَمْهُ، حَاوَلَتْ سَلْمَى مُسَاعَدَتَهَا

ثُمَّ تَوَالَتْ مُحَاوَلَاتُ نَهْلَاء كُلَّ يَوْمٍ بِسَبَبٍ مُخْتَلِفٍ حَتَّى تَمَكَّنَتْ مِن الِاقْتِرَابِ مِنْهَا صَارَتْ تَحُثُّهَا عَلَى الْخُرُوجِ مَعَهَا فِي الْحِصَصِ الَّتِي لَا تَدْرُسُهَا ثُمَّ بَعْدَ خُطُوَاتٍ بَيِّنَةٍ فِي عَلَاقَتِهِمْ تَدَخَّلَ كَارْمِن صَارَ يَجْلِسُ مَعَهُمْ يُلَاحَظُ تَكَتُّمُ سَلْمَى وَ حَرَجُهَا الظَّاهِرُ حِينَ جُلُوسِهِ يَسْتَمْتِعُ بِنَظَرَاتِهَا بِالتَّحْدِيقِ إِلَيْهِ بِالِاسْتِمَاعِ لِأَحَادِيثِهِ شُعُورٌ لَذِيذٌ كَانَ يَعْتَلِي قَلْبَهُ لَا يَخْتَلِفُ كَثِيرًا عَنْ شُعُورِ سَلْمَى أَمَّا عَن نَهْلَاءَ فَأَصْبَحَتْ تُلَاحِظُ الْوَسَطَ تُحَاوِلُ تَوْضِيحَ الْمَوَاقِفِ تُحَاوِلُ رَفْعَ الْحَرَجِ تُحَاوِلُ دَمْجَ الْأَجْوَاءِ تُحَاوِلُ جَعْلَ سَلْمَى تَتَحَدَّثُ تَحُثُّهَا وَ تَجُرُّهَا جَرًّا نَحْوَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي لَمْ تُجِدِ العَبَثَ بِهَا يَوْماً

أَمَّا عَن كَارْمِن، فَصَارَ يَحْفَظُ تَفَاصِيلَهَا وَ تَحَرُّكَاتِهَا لِيَحْتَضِنَ لَيْلًا أَوْرَاقَهُ وَ يُبْدِعَ فِي رَسْمِهَا يُعَبِّرُ عَن مَشَاعِرِهِ ،يَحْتَضِنُهَا لَيْلًا عَلَى شَكْلِ حُرُوفٍ يُعَبِّرُ عَن مَكْنُونَاتِ قَلْبِهِ بِهَا ثُمَّ يَضَعُ أَوْرَاقَهُ جَانِبًا عَلَى الْمَكْتَبِ وَ يُرَاقِبُ الْفَرَاغَ بِبَلَاهَةٍ وَاضِحَةٍ حَسِبَهَا هُيَامًا.. لَقَد كَانَتْ مُلْهِمَتُهُ فِعْلًا

حَسَنًا لِيَكُن، مَاذَا لَو عَبِثْنَا مَعَ النَّصِّ قَلِيلًا أَتَدْرِي مَا يُرَاوِدُنِي إِحْسَاسٌ غَرِيبٌ أَجْهَلُ مَاهِيَّتَهُ حِينَ أُسَطِّرُ الْأَحْدَاثَ بِتِلْكَ الطَّرِيقَةِ يَنْتَابُنِي شُعُورُ أَنِّي طَرَفٌ خَاسِرٌ فِي مَاذَا؟

لَا أَعْلَمُ تَحْدِيدًا كُلَّ مَا أَعْلَمُهُ أَنِّي أَشْعُرُ بِالسُّوءِ حِيَالَ الْأَمْرِ لَا يَرُوقُنِي ذَلِكَ لِسَبَبٍ أَجْهَلَهُ لَكِنَّ ذَاكَ لَا يَمْنَعُ أَنِّي سَأُكْمِلُ الْقِصَّةَ لَيْسَ رَغْبَةَ مِنِّي وَ لَكِنَّنِي فِي مَأْزِقٍ الآنَ هُنَاكَ قَارِئٌ بِالْفِعْلِ يُرَاقِبُ كَلِمَاتِي لَسْتُ حُرَّةً فِي تَوَقُّفِي هُنَا وَ دَفَعَكَ لِنُقْطَةِ نِهَايَةِ الرِّوَايَةِ فَقَط لِشُعُورِي أَنَّ الْأَمْرَ لَم يَعُد يُرِيحُنِي ، لَابُدَّ أَن أُكْمِلَ هُنَاكَ طُرُقٌ فِي الْحَيَاةِ لَا يُمْكِنُكَ أَن تَتَوَقَّفَ بِهَا فِي الْمُنْتَصَفِ حِينَمَا تَعْتَلِي الْمَسْؤُولِيَّةُ الْمَوْضُوعُ يَكُونُ إِلْزَامًا عَلَيْكَ الِانْضِبَاطَ وَ الْآنَ لَابُدَّ أَن أُكْمِلَ مَا شَرَعْتُ بِهِ لَابُدَّ أَن أُعَقِّدَ الْأُمُورَ أَكْثَرَ، صَارَ ظَاهِرَاً لِي مَا تُشْعُرُ سَلْمَى بِالْفِعْلِ وَقَعَت فِي شِبَاكِ كَارْمِن أَصْبَحَت تَبْتَسِمُ لِأَحَادِيثِهِ وَ تَشْعُرُ بِحُزْنٍ غَرِيبٍ الْمَصْدَرِ حِينَمَا لَا تَرَاهُ تُصْبِحُ كَالْبَلْهَاءِ حِينَمَا يَحْضُرُ تَبْتَسِمُ لِلْمَارَّةِ وَ لَو طَلَبَت مِنْهَا شَيْئًا مَا حِينَهَا حِينَ إِصَابَتِهَا بِعَدْوَى الْحُبِّ لَأَهْدَتْكَ كُلَّ مَا تَمْلِكُ، تُضَاءُ الدُّنْيَا فِي عَيْنَيْهَا حِينَ رُؤْيَتِهِ وَ وتَسْوَدُّ تَارَةً أُخْرَى حِينَمَا يَغِيبُ يَوْمًا ، صَارَت تَهْتَمُّ بِمَظْهَرِهَا تَرْتَدِي مَا يُبْرِزُ أُنُوثَتَهَا كَانَتْ نَهْلَاءُ تَحُثُّهَا عَلَى ذَلِكَ، تَغَيَّرَتْ لَا أَدْرِي لِمَ لَا تَرُوقُنِي هَذِهِ التَّرْكِيبَةَ الْجَدِيدَةَ لِشَخْصِيَّةِ سَلْمَى تَغَيَّرَتْ بِاسْمِ الْحُبِّ تَوَرَّدَت وَجْنَتَاهَا أَصْبَحَ وَجْهُهَا يَضِيءُ ، ازْدَادَت إِشْرَاقًا ذَاكَ مَا لَاحَظْتُهُ بِالْفِعْلِ أَيَفْعَلُ الْحُبُّ هَكَذَا بِالنَّاسِ شَيْءٌ عَجِيبٌ فِعْلًا قُوَّةٌ كَامِنَةٌ غَرِيبَةٌ.

فِي مَسَاءِ يَوْمٍ كَهَذَا الْعَاشِرِ مِن دِيسِمْبِرَ أَطْلَعَ أُسْتَاذُ الْفِيزْيَاءِ التَّلَامِيذَ أَنَّ هُنَاكَ رِحْلَةً دِرَاسِيَّةً عَلَى الْأَبْوَابِ وَ أَنَّهُ عَلَى الْكُلِّ إِحْضَارُ مُلَابِسَ رِيَاضِيَّةٍ مُنَاسِبَةٍ لِأَنَّهُمْ سَيَذْهَبُونَ لِغَابَةٍ كَبِيرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ مَدْخَلِ الْمَدِينَةِ،غَرِقَتْ عَيْنَا سَلْمَى فَرَحًا،جَلَسَتْ فِي السَّاحَةِ فِي كُرْسِيٍّ مَوْضُوعٍ تَحْتَ نَافِذَةِ صَفِّ نَهْلَاءَ تَنْتَظِرُ خُرُوجَهَا

خَرَجَتْ نَـهْلَاءُ مِنَ الصَّفِّ وَهِيَ شَارِدَةٌ تَمَامًا فِي الْمَجْهُولِ قَلِيلًا مَا تَرَى شُرُودَ كَذَاكَ يَعْبَثُ بِتَفَاصِيلِهَا لَعَلَّكَ تَكُونُ أَكْثَرَ دِرَايَةً بِالنَّاسِ لَو لَاحَظْتَ دَقَائِقَ خَلَوْتُهُم لَو رَأَيْتُ الصَّمْتَ فِي أَعْيُنِهِم لَو رَأَيْتَ فَقَط مَا تَحْمِلُهُ تِلْكَ الرُّوحُ الْمُنْهَكَةُ .. نَـهَضَتْ سَلْمَى مِنْ مَكَانِـهَا حَيَّتْ نُـهَلَاءَ ثُمَّ سَأَلَتْهَا إِنْ كَانَتْ سَتَذْهَبُ لِلرِّحْلَةِ أَو إِن كَانَ مُبَرْمَجٌ عَلَيْهِمُ الذَّهَابُ فَأَجَابَتْهَا بِالنَّفْيِ وَفِي نَفْسِ اللَّحْظَةِ كَانَ كَارْمِن مُتَّجِهًا نَحْوَهُم بِحَرَكَةٍ بَطِيئَةٍ نِسْبِيًّا كَسَارِقٍ يَخَافُ أَن يَكْشِفَهُ أَحَدٌ، أَتَى مِن جَانِبِ ظَهْرِ سَلْمَى ،اقْتَرَبَ بِخُطُوَاتٍ غَيْرِ مُلَاحَظَةٍ عِنْدَ أُذُنِـهَا لِيَرْمِيَ كَلِمَاتِهِ بِصَوْتٍ حَانِيٍّ أَقَلَّ وُضُوحًا لِلْعَامَّةِ قَائِلًا

_مَسَاءُ الْخَيْرِ عَلَى وَجْهِ الْمَلَائِكَةِ

تَحَرَّكَت سَلْمَى مِن مَكَانِـهَا مُسْتَغْرِبَةً ذَاكَ الصَّوْتِ الَّذِي دَاهَمَ حُزْنَـهَا لِلتَّوِّ وَدَقَّاتُ قَلْبِهَا تَتَسَارَعُ بِشَكْلٍ مَلْحُوظٍ عَلَى وَجْهِهَا ،وَجَنَتَاهَا احْمَرَّتَا وَكَأَنَّهُ تَمَّ قُرْصُهُمَا حَدِيثًا،

اسْتَدَارَت لِتَرَى وَجْهَ كَارْمِنَ ثُمَّ لَمَحَتْهُ بِنَظْرَةٍ ذَاتِ مَعْنَى وَ بِدُونِ نُطْقٍ أَيِّ كَلِمَةٍ رَحِلَت بِخُطُوَاتٍ سَرِيعَةٍ نِسْبِيًّا تَبِعَهَا بِحَرَكَةٍ مَا بِإِمَالَةِ رَأْسِهِ مُسْتَغْرِبًا تَصَرُّفَهَا مُتَنَاسِيًا تَمَامًا وُجُودَ نَـهْلَاءَ وَوُقُوفُهَا قُبَالَتَهُ حَمَلَتْ نَـهْلَاءَ يَدِهَا مُلَوِّحَةً لَهُ عِنْدَ حُدُودِ عَيْنَيْهِ قَائِلَةٌ:

أَأَصْبَحْنَا لَا نَرَى يَا كَارْمِن، هَاي

رَدَّ قَائِلًا:

عُذْرًا نَـهْلَاءَ لَم أَنْتَبِه_

_لَايَرَوقُنِي حَالَكَ يَا كَارْمِن مَا الَّذِي يَجْرِي لَكَ أَهِيَ حُمَى الْحُبّ

ثُمَّ ضَحِكْتَ

_لَيْسَ الْوَقْتُ الْمُنَاسِبُ لِمُزَاحِكَ يَا نَـهْلَاءُ

_مَا الَّذِي يَجْرِي لَكَ بِاَللَّهِ عَلَيْكَ ،تَتَصَرَّفُ بِغَرَابَةٍ مُؤَخَّرًا وَ أَيّ حَرَكَاتٍ تِلْكَ تَفْعَلُهَا مَعَ الْفَتَاةِ ،سَلْمَى لَيْسَتْ مِنْ نَوْعِكَ مُطْلَقًا أَبْعِدَ نَفْسَكَ عَنْهَا لَا تُدْخِلَهَا فِي قَوْقَعَتِكَ

_لَا أَعْلَمُ فِعْلًا تَائِهٌ وَغَرِيبٌ عَنْ نَفْسِي أَنَا الآخَرُ، دَعِينَا نَذْهَبْ لِمَكَانٍ مَا لِنَتَحَدَّثَ بِأَرْيَحِيَّةٍ أَكْثَرَ

_حَسَنًا

لِأُخْبِرَكَ عَنْ تِلْكَ الشَّخْصِيَّاتِ الَّتِي تَعْبَثُ بِمُخَيِّلَتِكَ نَـهْلَاءَ كَانَتْ تَرْتَدِي سِرْوَالًا أَسْوَدَ اللَّوْنِ مَعَ مِعْطَفٍ أَحْمَرَ مُنْعَكِسٌ عَلَى سُمْرَتِهَا اللَّذِيذَةِ بِصُورَةٍ جَذَّابَةٍ، كَارْمِنْ يَرْتَدِي سِرْوَالًا أَسُودَ مَعَ جَاكِيتِ جِينْز سَوْدَاءَ لَيْسَ مَلِكَ الْأَلْوَانِ عَلَى كُلِّ حَالٍ خِزَانَتُهُ كُلُّهَا أَبْيَضٌ وَأَسْوَدُ وَأَحْيَانًا رَمَادِيًّا تَمَامًا كَقَلْبِهِ، أَمَّا عَنْ سَلْمَى فَتَاتِنَا كَانَت تَرْتَدِي مِعْطَفًا رَمَادِيًّا لَطِيفَ التَّفَاصِيلِ طَوِيلٌ نِسْبِيًّا مَعَ سِرْوَالٍ أَسْوَدَ وَ تَضَعُ قُبَّعَةً قُطْنِيَّةً سَوْدَاءَ فَوْقَ شَعْرِهَا الْقَصِيرِ

لِنَعُد بِالذِّكْرِ لِسَلْمَى، كَانَتْ تَجْتَمِعُ دَقَّاتُ قَلْبِهَا بَعْدَ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ بَعِيدَةً قَلِيلًا عَن الْأَعْيُنِ، تَجْهَلُ تَمَامًا مَا أَصَابَهَا لَا تَدْرِي أَنَّهَا لَعْنَةُ الْحُبِّ وَأَنِّي سَبَبُهَا

مَرَّت الْأَيَّامُ كَانَتْ ثَلَاثَ لَيَالٍ يَحْسِبُهَا كَارْمِن بِالثَّوَانِي عَلَى مَوْعِدِ الرِّحْلَةِ ارْتَدَى مَا اسْتَطَاعَ أَن يُظْهِرَ شَكْلُهُ جَذَّابًا لَم يَفْهَم يَوْمًا أَنَّهُ مُلْفِتٌ فِطْرِيًّا، أَوْ أَنَّكَ فِي أَعْيُنِ مَنْ

يُحِبُّكَ سَتَكُونُ الْأَجْمَلَ وَ لَوْ كُنْتَ فِي أَسُوءِ حَالَاتِكَ، لَمْ تَكُنْ تَدْرِي سَلْمَى بِدَوْرِهَا أَنَّ كَارْمَن سَيَحْضُرُ فَهِيَ رِحْلَةٌ لِصَفِّهِم فَقَط

فِي صَبَاحِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْتَقَى الْجَمِيعَ عِنْدَ بَابِ الْمَدْرَسَةِ كَانَتْ سَلْمَى خَافِضَةَ الرَّأْسِ خَجُولَةَ الْعَيْنَيْنِ لَم تَجْرُؤ عَلَى النَّظَرِ لِكَارِمِنْ مُسْتَغْرِبَةً حُضُورِهِ بِشَكْلٍ لِفَتِهَا عَنْوَةً عَنْهَا هَذِهِ المَرَّةِ، تَرْتَدِي ذَاتُ الْمِعْطَفِ وَ مَلَابِسَ رِيَاضِيَّةٌ بَسِيطَةٌ بِاللَّوْنِ الْكُحْلِيِّ كَانَ كَارْمِن يُرَاقِبُهَا مُتَرَجِّيًا أَنْ تَنْظُرَ فِي جِهَتِهِ لِيَقْتَرِبَ وَ يُلْقِيَ السَّلَامَ لَكِنَّ ذَاكَ مَا لَم تَفْعَلُهُ حَظَرَ كَارْمِن فِي مَكَانِ صَدِيقِهِ الَّذِي أَرْغَمَهُ عَلَى الْمُكُوثِ فِي الْمَنْزِلِ عَنْوَةً و أتَى لِيَكْتُبَ دُرُوسَهُ بَدَلًا مِنْهُ وَ يُقَدِّمُ مُلَاحَظَاتِهِ مُدَّعِيًا أَنَّهُ مَرِيضٌ وفِي الْمُسْتَشْفَى حَظَيَ بتَعَاطُفِ الْجَمِيعِ حَتَّى أُسْتَاذِ الصَّفّ، لَكِنَّ ذَاكَ مَا لَمْ يَدْخُلْ عَقْلُ سَلْمَى فَهِيَ تَفْهَمُ تَمَامًا لِمَ كَارْمِن هُنَا ، صَعِدَ الْجَمِيعُ لِلْحَافِلَةِ جَلَسَت سَلْمَى بِجَانِبِ النَّافِذَةِ كَالْعَادَةِ

جَلَسَ كَارْمِنْ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ بِشَكْلٍ مَرْئِيٍّ لِسَلْمَى بِجَانِبِهَا وَ رَاحَ يَتَأَمَّلُهَا بِشَكْلٍ ظَاهِرٍ تَمَامًا وَكَأَنَّهُ قَصَدَ فِعْلَ ذَلِكَ لَمْ تَرْتَحْ سَلْمَى لِلْوَضْعِ بَل لَم تَرْتَح نِهَائِيًّا لِتَحَرُّكَاتِهِ نَحْوَهَا وَ لِجُرْأَتِهِ غَيْرِ الْمُعْتَادَةِ،كَانَت تُتَابِعُ الطَّرِيقَ لَكِن هَذِهِ الْمَرَّةَ لَم تَكُن شَارِدَةً كَانَت خَائِفَةً لِلْغَايَةِ مِنْهَا مِنْ كَارْمِنْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَوْلَهَا وَ كَأَنَّ الْهَوَاءَ سُحِبَ مِنَ الْحَافِلَةِ وَتُرِكَت مُخْتَنِقَةً هُنَاكَ خَرْسَاءَ كَانَتْ تُشْعُرُ بِرَجْفَةٍ خَفِيفَةٍ وَبِبُرُودٍ فِي يَدَيْهَا لَم تُلَاحِظْهُ يَوْمًا ، حَالَةً غَرِيبَةً جَهِلَتْ مَاهِيَّتَهَا ، وَصَلُوا لِلْمَكَانِ ، كَانَتْ غَابَةً جَمِيلَةً مَلِيئَةً بِالْخُضْرَةِ الْمُشْرِقَةِ لَكِنَّ ذَاكَ مَا لَمْ يُلَاحِظْهُ كَارْمِنُ لِأَنَّ كُلَّ تَرْكِيزِهِ كَانَ عَلَى وَجْهِ سَلْمَى، حَضَّرُوا الْخِيَمَ وَوَزَّعُوا الْأَكْلَ لِيَبْدَأُوا بِلَعِبِ لُعْبَةِ الْإِخْفَاءِ أَوْ أَيًّا يَكُن اسْمُهَا، يَقُومُ الْأُسْتَاذُ بِإِخْفَاءِ الْأَشْيَاءِ فِي الْغَابَةِ وَ يَنْقَسِمُ التَّلَامِيذُ لِمَجْمُوعَتَيْنِ لِيَبْحَثُوا عَنْها

وَعَلَى هذا الأساس يَتِمُّ اخْتِيَارُ الْفَرِيقِ الرَّابِحِ فِي النِّهَايَةِ الَّذِي يَجِدُها أَوَّلًا، جَلَسْت سَلْمَى رَافِضَةً اللَّعِبَ مَعَهُم لَكِنَّ أُسْتَاذَ صَفِّهَا أَرْغَمَهَا عَلَى ذَلِكَ وَلِأَنَّهَا قَلِيلًا مَا تَرْفُضُ طَلَبًا لِأَحَدِهِم خَاصَّةً مِنَ الْأَكْبَرِ سِنًّا بُلِعَتْ حُرُوفُ الرَّفْضِ فِي حُنْجُرَتِهَا ، بِالْمُصَادَفَةِ أَوْ قَصْدًا اخْتَارَ كَارْمِن أَن يَكُونَ بِفَرِيقِ سَلْمَى

تَوَزَّعَ الْفَرِيقَانِ وَفِي كُلِّ فَرِيقٍ تَمَّ اخْتِيَارُ اثنين لِلذَّهَابِ مِن جِهَةٍ مُعَيَّنَةٍ وَبِالْمُصَادَفَةِ أَو بِالْقَصْدِ اخْتَارَ كَارْمِنْ سَلْمَى رَافِضًا رَفْضًا قَاطِعًا أَن يُغَيِّرَ الْوُجْهَةَ وَالرَّفِيقَ، كَانَتْ سَلْمَى تستمدّ قُوَّتَهَا عَلَى الْحَرَكَةِ مِنَ الْأَرْضِ إِذْ أَنَّهَا لَمْ تَرْفَعْ رَأْسَهَا مُذُ تَرَجَّلَتْ مَعَ كَارْمِن فِي الْجِهَةِ الَّتِي اخْتَارُوهَا، كَانَ كَارْمِنْ يَقْتَرِبُ مِنْهَا بِخُطُوَاتٍ ثُمَّ يَبْتَعِدُ قَاصِدًا أَن يَفْتَحَ حِوَارًا مَا خَائِفًا مِن أَن يُلَاقِيَ الصَّمْتَ، تَعِبْتُ سَلْمَى فَجَلَسْتْ لِتَسْتَرِدَّ أَنْفَاسَهَا جَلَسَ كَارْمِنُ بِجَانِبِهَا وَ رَاحَ يُرَاقِبُ وَجْهَهَا بِشَكْلٍ غَرِيبٍ أَخَافَ سَلْمَى، تَبْدُو جَمِيلَةً لِلْغَايَةِ يَنْعَكِسُ النُّورُ الْخَفِيفُ عَلَى وَجْهِهَا نَاصِعِ الْبَيَاضِ عَيَانَاهَا نَاعِسَتَانِ بِشُرُودٍ، حُمَّرَتُهَا ظَاهِرَةٌ مِنْ آثَارِ الْبَرْدِ شَفَتَاهَا زَهْرِيَّتَانِ كَأَنَّهَا مَشْهَدٌ خَيَالِيٌّ يَرْسُمُهُ الشَّخْصُ فِي مُخَيِّلَتِهِ لِيُغَذِّيَ حَمَاسَهُ جَوٌّ هَادِئٌ بَعِيدٌ عَن ضَجِيجِ الْبَشَرِ تَسْتَقِرُّ فِيهِ النَّفْسُ،اقْتَرَبَ كَارْمِنْ مِنْهَا بِحَرَكَةٍ بَطِيئَةٍ غَيْرَ قَاصِدٍ ، جَعَلَهَا تَنْتَبِهُ اقْتَرَبَ أَكْثَرَ حَتَّى قَابَلَ وَجْهَهَا مُرَكِّزًا تَمَامًا عَلَى تَوَرُّدِ شَفَتَيْهَا انْتَبَهَتْ سَلْمَى لَهُ سَحَبَتْ نَفْسَهَا بِحَرَكَةٍ سَرِيعَةٍ وَهَرْولَتْ مُتَرَجِّلَةً لِلْأَمَامِ بِوَجْهٍ مُتَجَهِّمٍ وَعَيْنَينِ مليئتين بِالدُّمُوعِ عَلَى مَرْأَى مِنْ كَارْمِنَ وَ مُلَاحَظَةٌ مِنْهُ تَبِعَهَا كَارْمِنْ طَالِبًا مِنْهَا تخفيضَ سُرْعَتِهَا، ذَاكَ مَا لَم تَفْعَلْهُ لِحِينِ رُجُوعِهَا لِمَكَانِ تَوَاجُدِ الطُّلَّابِ تَوَقَّفَتْ سَلْمَى جَلَسَتْ بِجَانِبِ الْأُسْتَاذِ

طَالِبَةً مِنْهُ إعْفاءَها مِنَ اللَّعِبِ لِحَدِّ قَوْلِهَا إنَّ رِجْلَهَا الْتَوَت وَهِيَ تَمْشِي فِي وَسَطِ الْغَابَةِ .

مَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمُ، ثُمَّ أَصْبَحَت سَلْمَى تَتَحَاشَى كَارْمِن نِهَائِيًّا تُحَاوِلُ كَبْحَ شُعُورِهَا تُحَاوِلُ إبْقَاءَ نَفْسِهَا مُتَيَقِّظَةً لِمَا يَحْدُثُ حَوْلَهَا ،ابْتَعَدَت عَن نَهْلَاءَ وَعَن كَارْمِنَ كَانَ قَصْدُهَا الِابْتِعَادَ عَن كَارْمِنَ ، نَهْلَاءُ وَسِيلَةٌ وَسَطِيَّةٌ فَقَطْ .

لَا أَحَدَ يَعْلَمُ بِمَا يَحْدُثُ فِعْلًا فِي عَقْلِ تِلْكَ الْفَتَاةِ الْمِسْكِينَةِ لَا أَحَدَ يَفْهَمُ بِالتَّحْدِيدِ. سَلْمَى لَا تُحَاوِلُ الْعَبَثَ بِالنَّصِّ لَا تُحَاوِلُ نَعْتِي بِأَيِّ لَقَبٍ فَلَيْسَ سَهْلًا أَنْ تُجَارِي سَلْمَى وَاقِعًا كَذَاكَ وَهِيَ فَتَاةٌ شَرْقِيَّةٌ بِالآلامِ طُفُولَةٌ مَشْئُومَةٌ كَالَّتِي فِي مُخَيلَتِهَا، لِأَكُنْ أَكْثَرَ صِدْقًا مَعَكَ لِأَكُنْ أَكْثَرَ شَفَافِيَّةً لَا تُنْعِتْنِي بِأَيِّ ظَنٍّ فِي مُخَيَّلَتِكَ فَلَسْتُ سِوَى كَاتِبَةٍ تُحَاوِلُ إيصَالَ شُعُورِ مَا لَعَلَّكَ تُدْرِكُ مَاهِيَّتَهُ، سَلْمَى تَعَرَّضْتَ لِحَادِثٍ مَأْسَاوِيٍّ فِي صِغَرِهَا كَانَت لَيْلَةً مُمْطِرَةً تَتَذَكَّرُ سَلْمَى تَفَاصِيلَهَا تِلْكَ الْفَتَاةُ صَاحِبَةُ الثَّمَانِي سَنَوَاتٍ يَتِيمَةُ الأبْوَيْنِ ، بَعْدَ شَهْرٍ تَمَامًا مِن دَفْنِ أَبَوَيْهَا كَانَتْ تَجْلِسُ فِي غُرْفَةِ الْمَعِيشَةِ وَاضِعَةً أَلْعَابَهَا فِي الْأَرْضِ مُحَاوَلَةً أَن تَبْنِيَ عَالَمًا آخَرَ غَيْرَ وَاقِعِهَا غَيْرَ مَا سُلِبَ مِنْهَا ، دَخَلَ خَالِدٌ بِشَكْلٍ غَيْرِ مَلْحُوظٍ بِأَنْفَاسٍ تُشْبِهُ أَنْفَاسَ الْحَيَّةِ وَكَأَنَّهُ أُصِيبَ بِشَيْءٍ مَا ،شَيْءٌ غَرِيبٌ كَانَ يَحْدُثُ لَاحَظَتْهُ سَلْمَى، لَكِنَّ طِفْلَةً كَتِلْكَ كَيْفَ سَتَفْهَمُ مَا يَحْدُثُ حَوْلَهَا ظَنَّا مِنْهَا أَنَّهُ أَحْضَرَ لَهَا الْحَلْوَى كَعَادَتِهِ تَعَرَّضَتْ يَوْمَهَا لِتَحَرُّشٍ مَرْئِيٍّ لَمْ تَفْهَمْ مَاهِيَّتُهُ بَل كُلُّ مَا أَحَسَّتْ بِهِ هِيَ غُصَّةٌ فِي قَلْبِهَا وَ شَيْءٌ مِنَ النُّفُورِ مِن خَالِدٍ ذَهَبَتْ مُسْرِعَةٌ لِحُضْنِ خَالَتِهَا لَكِنَّهَا قَابَلَتْهَا بِالرَّفْضِ وَ هِيَ تِلْكَ الْفَتَاةُ الصَّغِيرَةُ تِلْكَ الرُّوحُ الْهَشَّةُ نُعِتَتْ بِأَبْشَعِ الْأَلْقَابِ وَاتهَمَتْهَا خَالَتُهَا أَنَّهَا تَسْعَى وَرَاءَ أَمْلَاكِ ابْنِهَا

عَنْ طَرِيقِ جَعَلِهِ يَقَعُ فِي حُبِّهَا لَم تَفْهَم سَلْمَى مَا تَقُولُهُ خَالَتُهَا وَقْتَهَا تَرَتَّبَتْ هَذِهِ الْأَحْدَاثُ فِي عَقْلِ سَلْمَى لِحَدِّ اسْتِيعَابِهَا فِي نُضْجِهَا كُلَّ كَلِمَةٍ وَ كُلُّ حَرَكَةٍ، مُؤَكِّدٍ لَن تَنْسَى مَا حَدَثَ لَهَا يَوْمًا أَشْفَقُ عَلَيْهَا وَأَيُّ كَاتِبٍ أَحْمَقَ يَخْتَارُ لِبَطَلَتِهِ قِصَّةً مَأْسَاوِيَّةً كَهَذِهِ، لَا أَدْرِي مَنِ الْكَاتِبُ الَّذِي حَرَّكَ أَحْدَاثَ حَيَاتِهَا ؟ لَكِنَّهُ جَعَلَنِي فِي حَيْرَةٍ مِن أَمْرِي مِن أَن أَنْقُلَ لَكَ الْأَحْدَاثَ لِأَنِّي أَخْبَرْتُكَ مُسْبَقًا أَنِّي أَحْضَرْتُهَا مِنْ كِتَابٍ آخَرَ، لَا أَشْفِقُ عَلَيْهَا كَجُزْءٍ مِنِّي صَرَاحَةً، لِأَنَّهَا جُزْءٌ مِنْ رُوحِ كَاتِبٍ آخَرَ وَلَكِنِّي أَتَعَاطَفُ مَعَهَا بِشَكْلٍ مَا .

كَمَا أَخْبَرْتُكَ سَابِقًا أَصْبَحَت سَلْمَى تَتَحَاشَى كَارْمِنْ نِهَائِيًّا كَانَ الْأَمْرُ ظَاهِرًا ، حَاوَلَ كَارْمِنْ أَكْثَرَ مِن مَرَّةٍ التَّقَرُّبَ مِنْهَا وَمُحَادَثَتَهَا وَلَكِنَّهَا تَجَاهَلَتْهُ بِشَكْلٍ كُلِّيٍّ، حَتَّى ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّتِي كَانَتْ تَجْلِسُ فِيهِ فِي مَقْعَدِهَا بَعْدَ أَنْ أَكْمَلَتْ امْتِحَانَ الرِّيَاضِيَّاتِ كَانَتْ خُطَّةً مُدَبَّرَةً عَلَى كُلِّ حَالٍ لَكِن دَعْنِي أُخْبِرُكَ كَيْفَ حَدَثَ الْأَمْرُ اتَّفَقَ كَارْمِنْ مَعَ مَجْمُوعَةِ تَلَامِيذَ عَلَى حَبْسِ سَلْمَى فِي الْقِسْمِ بَعْدَ انْتِهَاءَ الِامْتِحَانِ،وَلِعَادَةِ سَلْمَى أَنَّهَا آخِرُ مَنْ يَضَعُ وَرَقَةَ الِامْتِحَانِ بَعْدَهَا تَجْلِسُ قَلِيلًا فِي مَكَانِهَا تَرَاجُعُ إِجَابَاتِهَا وتَتَأَكَّدُ مِن صِحَّةِ مَعْلُومَاتِهَا ،بَعْدَ أَن لَاحَظَ كَارْمِن عَادَتَهَا تِلْكَ أُغْلَقَ عَلَيْهَا دَاخِلَ الْقِسْمِ ،نَهَضَتْ سَلْمَى مِن مَكَانِهَا بَعْدَ أَن فَرَغَت مِن مُرَاجَعَةِ مَا كَتَبَت فِي الِامْتِحَانِ اتَّجَهَتْ نَحْوَ الْبَابِ حَاوَلَت فَتْحَهُ مِرَارًا وَ تِكْرَارًا وَلَكِنَّهُ كَانَ مُقْفَلًا، نَادَت بِأَعْلَى صَوْتِهَا وَلِكَوْنِهَا الْأَخِيرَةَ الَّتِي تَبَقَّت فِي الصَّفِّ لَم يَسْتَمِعْ لَهَا أَحَدٌ كَانَت تَرْتَدِي جِيبْ مُدَرَّجِ الطَّبَقَاتِ ذَا أَزْهَارٍ صَغِيرَةٍ صَفْرَاءَ تُعْطِي تَوَهُّجًا لِلَوْنِهِ الْأَبْيَضِ مَعَ قَمِيصٍ أَبْيَضَ بِدَوْرِهِ يَجْعَلُهَا فِي غَايَةِ الطُّفُولَةِ وَالرِّقَّةِ جَلَسَتْ عِنْدَ الْبَابِ خَائِفَةً مِن مُرُورِ الْوَقْتِ كَيْفَ تَعُودُ لِلْمَنْزِلِ

كَيْفَ تُخْبِرُ خَالَتُهَا أَنَّهَا اُحْتُجِزَتْ، حَتْمَا لَنْ تُصَدَّقَ سَيَشُكُّونَ فِي أَمْرِهَا كَانَ ذَاكَ مَا يَدُورُ فِي عَقْلِ الْمِسْكِينَةِ خَاصَّةً أَنَّ مَنْزِلَهَا بَعِيدٌ كِفَايَةٍ لِيَجْعَلَهَا تَقَعُ فِي الْفَخِّ وَأَنَّ خَالَتَهَا تَنْتَظِرُ فَقَط الْفُرْصَةَ لِإِبْعَادِهَا مِن صُورَةِ الْقُرْبِ مِنْهُم وَسَيَكُونُ أَكْثَرَ لَقَبٍ يُقْنِعُ مُجْتَمَعاً شَرْقِيّاً هُوَ الشَّرَفُ، ذَاكَ مَا كَانَتْ تَخَافُ مِنْهُ ، ذَاكَ مَا أَضَاعَتْ سَلْمَى حَيَاتَهَا وَهِيَ تَخَافُ مِن أَن يُلَطَّخَ أَو مِن أَن يُظَنُّ أَنَّهَا عَبَثَتْ بِهِ، كَوَاقِعِ مُجْتَمَعٍ شَرْقِيٍّ يَخَافُ مِنْ الْعَيْبِ الْمُتَعَارَفِ عَلَيْهِ تَفَاهَاتٌ تَقْلِيدِيَّةٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ .

دَعْنِي أُكْمِلُ الْقِصَّةَ قَبْلَ أَن تَكْتَمِلَ أَحْرُفِي فِي وَصْفِ الْمُجْتَمَعِ الشَّرْقِيِّ وَأَفْكَارِهِ الْمُتَحَجِّرَةِ ، بَقِيَتْ سَلْمَى مُحْتَجَزَةً ، بَقِيَ كَارْمِن وَرَاءَ الْبَابِ يَشْعُرُ بِفَرْحَةٍ عَارِمَةٍ ،سَلْمَى وَرَاءَ الْبَابِ لَا يَفْصِلُ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ سِوَى خُطُوَاتٍ هِيَ قَرِيبَةُ الْقُرْبِ الَّذِي لَطَالَمَا أَرَادَهُ دَوْمًا، ارْتَفَعَ صَوْتُ سَلْمَى كَانَتْ تَبْكِي بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ وَتَتَرَجَّى الْفَرَاغَ الْمُدْقِعَ أَنْ يُسَاعِدَهَا ، لَكِن كَانَ ظَنُّ سَلْمَى خَائِبًا هُنَاكَ بِالْفِعْلِ فِي وَسَطِ ذَلِكَ الْفَرَاغِ كَارْمِنْ بَعْدَ أَنْ فَرَغَت مِن الْبُكَاءِ ارْتَعَبَ كَارْمِن مِن فِكْرَةِ أَنَّهُ حَدَثَ لَهَا شَيْءٌ مَا، مَثَّلَ أَنَّهُ فَتَحَ الْبَابَ بِالْقُوَّةِ نَهَضَتْ مِن مَكَانِهَا مُسْرِعَةٌ خَائِفَةٌ مَرْعُوبَةٌ مَلَامِحُهَا مُبَعْثَرَةٌ تُغَطَّى بِبَرَاءَةٍ جَمِيلَةٍ ،سَاعَدَهَا كَارْمِن عَلَى الْخُرُوجِ شَكَرَتْهُ هِيَ الْأُخْرَى عَلَى مَوْقِفِهِ، حَمَلَ عَنْهَا حَقِيبَةَ ظَهْرِهَا وَ رَافَقَهَا مَشْيًا كَانَ فَرِحًا لِلْغَايَةِ لِمَا وَصَلَ لَهُ هِيَ فِعْلًا بِقُرْبِهِ لَيْسَتْ خَائِفَةً مِنْهُ بَل تَشْعُرُ بِكَمٍّ عَالٍ مِنَ الرِّضَا وَالِامْتِنَانِ لَهُ سَأَلَهَا:

_لِمَ لَا تَحْمِلِينَ مَعَكِ هَاتِفًا يَا سَلْمَى ،عَلَى الْأَقَلِّ كُنْتِ اتَّصَلْتِ بِأَحَدٍ مِن أَهْلِكَ لِيَأْتِيَكِ، مَاذَا لَو لَم آتِ

لِأَكُن صَادِقَةً أَكْثَرَ كَارْمِن وَلِيدُ قَلْبِي أَعْرِفُهُ جَيِّدًا هَدَفَهُ مِن سُؤَالٍ كَذَاكَ لَيْسَ فِعْلًا عَائِلَتَهَا بَل لِيَعْرِفَ إذ أَنَّهُ فِي الْإِمْكَانِ أَن تُتَاحَ لَهُ الْفُرْصَةُ لِلتَّقَرُّبِ مِنْهَا فِي الْهَاتِفِ أَو فِي وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ الِاجْتِمَاعِيِّ أَجَابَتْهُ :

_لَيْسَ لِي رَغْبَةٌ فِي ذَلِكَ

_لِمَاذَا ؟

لَا أَهْوَى الْوُقُوعَ فِي فَخِّ الْوَهْمِ يَا كَارِمِن ، الْحَيَاةُ بِدَوْرِهَا لَا نَعِيشُهَا بِالشَّكْلِ الْكَافِي أَأَخْتَارُ رَمْيَهَا فِي وَاقِعِ هَاتِفِ .

_لَمْ أَفْهَمْ تَحْدِيدًا قَصْدَكِ

_لَا يَسْتَهْوِينِي الْعَالَمُ الِافْتِرَاضِي وَلَا تَسْتَهْوِينِي الْمُكَالَمَاتُ الطَّوِيلَةُ لَا يَسْتَهْوِينِي أَيٌّ مِن هَذَا. أَبْحَثُ عَن شَيْءٍ حَقِيقِيٍّ ،حَقِيقِي كِفَايَةً لِجَعْلِي لَا أَهْرِبُ مِنِّي

_كَلَامُكِ عَمِيقٌ لِلْغَايَةِ يَسْتَهْوِي شَغَفِي

_شُكْرًا لَكَ

قَالَتْ جُمْلَتُهَا الْأَخِيرَةُ بِخَجَلٍ وَاضِحٍ حَتَّى قَاطَعَ كَارْمِن تَلَعْثُمِ مَلَامِحَهَا

_أَي أَنَّكِ لَا تَنْوِينَ اقْتِنَاءَ وَاحِدٍ!

_كَلَّا، لَا أَرْغَبُ فِي ذَلِكَ

_أَأَشْتَرِي لَكِ وَاحِدًا هَدِيَّةً؟

_لَا فِعْلًا لَا أَوَدُّ الْغَوْصَ فِي وَهْمٍ لَا أَنْتَمِي إليه .

_وَلَو مُسْتَقْبَلاً

_وَلَو آخِرَ يَوْمٍ أَعِيشُهُ.

_دَعِي كَلَامَكِ يَكُن سَلِسًا أَكْثَرَ مَعِي لِمَاذَا هَذِهِ الْقَوْقَعَةُ ؟

_لَيْسَت قَوْقَعَةً بِالْفِعْلِ كُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ أَنِّي أَعِيشُ حَيَاةً وَاحِدَةً وَأَوَدُّ أَن تَكُونَ حَقِيقِيَّةً كِفَايَةً لَا أَبْحَثُ عَن الْمُجَامَلَاتِ الْمُمِلَّةِ أَو الْمَظَاهِرِ الزَّائِفَةِ تَسْتَهْوِينِي الْحَقَائِقُ وَلَو كَانَتْ نَاقِصَةً وَهَشَّةً لَوْ كَانَتْ تِلْكَ الْقِطَعَ الْمُهْمِلَةَ فِي آخِرِ الرَّصِيفِ.

اسْتَمَرَّ الطَّرِيقُ كَلَامًا شَبِيهًا لِمَ كَتَبْتُهُ فَوْق وَصَلَتْ سَلْمَى لِمَنْزِلِهِمْ وَ قَدْ وَجَدْتْ بِالْفِعْلِ مَا كَانَتْ تَنْتَظِرُ انْهَالَ عَلَيْهَا خَالِدٌ بِسَيْلٍ مِنَ الِاتِّهَامَاتِ وَنَعْتِهَا بِأَنَّهَا قَلِيلَةُ الْحَيَاءِ وَ لَيْسَتْ جَدِيرَةً بِالتَّعْلِيمِ أَو أَن تُكْمِلَ حَيَاتُهَا الدِّرَاسِيَّةَ لِأَنَّهُ لَا يَثِقُ بِهَا، حَاوَلَت أَن تَجْعَلَهُ يَفْهَمُ مِرَارًا وَتَكْرَارًا أَنَّهَا لَم تَكُن مُخْطِئَةً لَكِنَّهُ لَم يَسْتَمِع لَهَا كُلَّ مَا كَانَ عَلَيْهَا فِعْلُهُ هُوَ أَنْ تَذْهَبَ لِعَمَّتِهَا أَنْ تَعُودَ لِمَوْطِنِ قَلْبِهَا لِلشَّخْصِ الْوَحِيدِ الَّذِي يَخَافُ عَلَيْهَا أَن يُبْتَرَ شَيْءٌ مِنْ قَلْبِهَا أَيُّ شَيْءٍ بَقِيَ لِتِلْكَ الْمِسْكِينَةِ أَيُّ جُرْحٍ تَعَالِجُ وَ بِأَيِّ طَرِيقَةٍ تَفْعَلُ، غَابَت عَن الْوَسَطِ أَيَّامٌ لَيْسَت بِالْقَلِيلَةِ اشْتَاقَ لَهَا كَارْمِن كَانَ يَذْهَبُ لِصَفِّهَا صَبَاحًا مَسَاءًا مُتَسَائِلًا أَيْنَ ذَهَبَتْ جَمِيلَتُهُ، يَبْدُو أَنَّهُ كَانَ فِي حُلْمٍ شَهِيّ الْمَذَاقِ فِي آخِرِ مَرَّةٍ الْتَقَى بِهَا مَلَامِحَهَا قَرِيبَةً مِنْ الْأَحْلَامِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، مَاذَا فِعلَا لَوْ كَانَتْ حَيَاتُنَا مُجَرَّدَ حُلُمٍ مَاذَا فِعْلًا لَو كُلُّ مَا مَرَّ لَم يَكُن فِعْلًا وَاقِعًا أَنَّنَا نَعِيشُ فِي حُلُمٍ مَا ..

كَانَ وَاقِعًا لَا تَدَعْنِي أَعْبَثُ بِثَنَايَا عَقْلِكَ ذَلِكَ كُلُّ مَا أُجِيدُهُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الْبَائِسَةِ ،نَسِيتُ أَن أُخْبِرَكَ أَمْرًا مَزَاجِيَتِي مُفْرَطَةً لِلْغَايَةِ لِذَا تَابِعِ الْأَحْدَاثَ فَقَطْ مِنْ دُونِ نَعْتِي بِأَيِّ لَقَبٍ يُشَوِّهُ صُورَتِي أَمَامَ عَقْلِكَ ، كَارْمِن ذَهَبَ لِمَنْزِلِ عَمَّتِهَا كَانَ يُرْجَحُ تَمَامًا أَنَّهُ الْمَكَانُ الْوَحِيدُ الَّذِي قَد تَتَوَاجَدُ بِهِ وَ كَانَ ظَنُّهُ صَائِبًا تَمَامًا كَانَت هُنَاكَ بِالْفِعْلِ

ظَلَّ يُرَاقِبُهَا فِي تِلْكَ الطَّبِيعَةِ الْبَسِيطَةِ ،تَسْتَيْقِظُ صَبَاحًا تَسْقِي الْمَزْرُوعَاتِ الْقَلِيلَةَ الَّتِي عِنْدَ بَابِ الْعَمَّةِ يَرَى كَيْفَ تَلْعَبُ بِالْمِيَاهِ كَطِفْلَةٍ صَغِيرَةٍ تَمَامًا مُنِحَتْ لُعْبَةً جَدِيدَةً

كَيْفَ تَتَحَرَّكُ، كَيْفَ تَبْتَسِمُ ،كَيْفَ تَرْتَدِي، كَيْفَ تَصْنَعُ تِلْكَ الْهَالَةُ حَوْلَهَا، تِلْكَ الْهَالَةُ الرُّوحَانِيَّةُ الْجَمِيلَةُ الَّتِي كَانَتْ تُغَذِّي شَغَفَ كَارْمِن كَانَ يُرَاقِبُهَا مِن بَعِيدٍ يُرَاقِبُ كَيْفَ تَعْبَثُ بِتَفَاصِيلِ تَسْرِيحَاتِهَا كَيْفَ تَخْتَارُ الْمَلَابِسَ الَّتِي تُبْرِزُ رِقَّتَهَا بَل إِنَّ الْمَلَابِسَ تَخْتَارُهَا لِتَنَالَ شَرَفَ مُلَامَسَةِ جَسَدِهَا ، كَيْفَ تَجْعَلُ مِنْ نَفْسِهَا مُلْفِتَةً لِلْغَايَةِ بِشَكْلٍ بَسِيطٍ وَ سَلِسٍ وَ كَأَنَّ بِدَايَاتِ صَبَاحِهَا الرُّوتِينِيَّةِ الَّتِي كَانَ يُشَاهِدُهَا كَارْمِن، مَشْهَدٌ رُوحَانِيٌّ مِنْ حُلُمٍ ضَبَابِيٍّ أَقْرَبَ لِتَمْثِيلِ النَّقَاءِ وَ الصَّفَاءِ فِي فِلَمٍ مَا ، بَعْدَ أُسْبُوعَيْنِ مِن مُرَاقَبَتِهِ الْمُتَكَرِّرَةِ وَضَعَ كِتَابًا آخَرًا فِي نَفْسِ الْمَكَانِ الْأَوَّلِ خَرَجَت سَلْمَى صَبَاحًا الْتَقَطَت أَنْفَاسًا جَدِيدَةً مِن نَسَمَاتِ الصَّبَاحِ كَانَت تَرْتَدِي فُسْتَانًا بُنِيًّا قَاتِمًا يُغَطِّي جَسَدَهَا بِالْكَامِلِ مَعَ تَفَاصِيلٍ نَاعِمَةٍ كَخَيْطٍ رَقِيقٍ مِن السَّاتَانِ عَلَى خِصْرِهَا وَ فِي جَوَانِبِ أَكْمَامِ يَدَيْهَا ذَهَبَت لِمَكَانِ وَضْعِهِ لِلْكِتَابِ ابْتَسَمَت وَ كَأَنَّهَا لَمَحَتْ طَيْفَهُ حَمَلَتِ الْكِتَابَ جَلَسَت فِي الْأُرْجُوحَةِ وَ فَتَحَتْهُ كَانَ كَارْمَنْ يُرَاقِبُهَا، أَتُرَاهُ لَا يَزَالُ هُنَاكَ بِالْفِعْلِ نَفْسُ الْخَطِّ نَفْسُ التَّفَاصِيلِ الْقَلَمُ لَم يَجِف إِنَّهُ كَارْمِن بِالْفِعْلِ قَفَزَ قَلْبَ سَلْمَى وَ رَاحَتْ تَبْحَثُ عَنْهُ فِي الْأَرْجَاءِ لَعَلَّهَا تَجِدُ أَثَرَهُ لَكِنَّهَا لَم تَجِدْهُ

كَانَ كَارْمِن يَوَدُّ لَو أَنَّهُ اسْتَطَاعَ التَقَرُّبَ مِنْهَا فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ أَنْ يُشْعِرَهَا بِوُجُودِهِ الْفِعْلِيّ لَكِنَّ ذَاكَ مَا لَم يَفْعَلْهُ رَغْمَ رَغْبَتِهِ الْمُلِحَّةِ وَتَيَقُّنِهُ مِنْ رَغْبَةِ سَلْمَى بِرُؤْيَتِهِ، كَانَ يَمْنَعُهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَيْسَ إِلَّا أَن تُرَى بِصُورَةٍ سَيِّئَةٍ أَمَامَ أَهَالِ الحَيّ وَ هُوَ حَيٌّ فَقِيرٌ يَتَعَطَّشُ سُكَّانُهُ لِنَشْرِ الْأَخْبَارِ وَ تَضْخِيمِهَا فَأَيُّ حَرَكَةٍ غَيْرِ مَدْرُوسَةٍ قَد تُوقِعُ الْمِسْكِينَةَ فِي فَخِّ الشُّكُوكِ...

يُقَالُ أَنَّ الْحُبَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ اللَّهُ فِي قُلُوبِنَا لَا يَنْزِعُهُ إِلَّا هُوَ لَا غِيَابٌ وَ لَا عِتَابٌ لَا خِذْلَانَ وَلَا خِيَانَاتُ اللَّهِ وَحْدَهُ الْقَادِرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَجْرَى الْأَقْدَارِ وَ عَلَى اللُّطْفِ بِقَلْبِكَ فَقُرْبًا بِرَبِّكَ، ذَاكَ مَا أَنَا مُتَيَقِّنَةٌ مِنْهُ تَمَامًا وَذَاكَ مَا أُرِيدُ لِسَلْمَى اسْتِيعَابَهُ لَسْتُ فِي حَالَةٍ جَيِّدَةٍ بِالْقَدْرِ الْكَافِ لِأَتَحَمَّلَ حَمَاقَةَ كَارِمِنْ وَأَفْكَارَهُ الْمُتَضَارِبَةُ رُوحِي بِالْكَادِ تَسْتَطِيعُ اسْتِجْمَاعَ نَفْسِهَا لَكِنَّ أَيَّ تَبْرِيرٍ سَأَمْنَحُهُ لَكَ أَنْتَ يَا مَن يَقْرَأُ كَلِمَاتِي بِكُلِّ بَسَاطَةٍ أَنِّي مُثْقِلَةٌ أَنَّ قَلْبِي بِالْكَادِ يَتَقَبَّلُ فِكْرَةَ وُجُودِي فَمَاذَا عَن وُجُودِ شَخْصِيَّاتٍ تَدُورُ فِي مُخَيِّلَتِي وَتَمْنَعُ عَنِّي النَّوْمَ وَالرَّاحَةَ، تَجْذِبُنِي بِطَاقَةً مَا ..الْكَلِمَاتُ تَجْذِبُنِي لِأُحَرِّرَ مَا بِي عَلَى كُلِّ حَالٍ دَعْكَ مِنِّي، الْيَوْمَ هُوَ يَوْمُ السَّبْتِ لَابُدَّ أَنَّكَ تَعْرِفُ تَمَامًا مَا يَقْتَضِيهِ يَوْمَ كَهَذَا فِي رُوحَانِيَّاتِ رِوَايَتِي ، أَتَى كَارْمِن فِي ذَاكَ الْيَوْمِ جَلَسَ بِجَانِبِ نَافِذَةِ سَلْمَى فِي لَيْلَةٍ قَمَرِيَّةٍ جَلَسَ أَسْفَلَ النَّافِذَةِ وَ رَاحَ يَتَكَلَّمُ مُتَأَمِّلًا سَوَادَ السَّمَاءِ وَاعْتِصَارُ النُّجُومِ حَتَّى الْقَمَرُ لَا يُجِيدُ الْبَقَاءَ وَحِيدًا يُحِيطُ نَفْسَهُ بِالنُّجُومِ، كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ سَلْمَى جَالِسَةٌ هُنَاكَ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهَا تَجْلِسُ هُنَاكَ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي كُرْسِيٍّ خَشَبِيٍّ تُرَاقِبُ كِتَابَهَا تَلْتَهِمُ الْكَلِمَاتُ وَكَأَنَّهَا وَجَدَتْ ضَالَتَهَا أَخِيرًا كَانَتِ النَّافِذَةُ مَشْرُوعَةً بِالْكَامِلِ

يَتَدَلَّى السِّتَارُ الْأَبْيَضُ الشَّفَّافُ مِن مَكَانٍ لِمَكَانٍ فِي كُلِّ مَرَّةٍ يُرِي جُزْءًا مِنْهَا مِن خَلْوَتِهَا وَ مِن رُوحِهَا الرَّاحِلَةِ بَيْنَ الْفَاصِلَةِ ونِقَاطِ التَّأَمُّلِ نَادَى بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ

_سَلْمَى أَأَنْتَ هُنَا ؟

سَمِعْتُ سَلْمَى صَوْتًا فِي الْخَارِجِ لَم تَكُن مُتَأَكِّدَةً تَمَامًا أَنَّ الصَّوْتَ مُتَوَاجِدٌ وَاقِعِيًّا أَم أَنَّهُ نِتَاجُ شُعُورٍ دَاخِلِيٍّ أَدْنَت بِجَسَدِهَا النَّحِيلَ مِن النَّافِذَةِ بِحَرَكَةٍ طُفُولِيَّةٍ أَجَادَت تَرْكِيبَهَا حَتَّى صَعِقَت لَمَا رَأَت وانْحَنَتْ بِحَرَكَةٍ مَلْحُوظَةٍ لِلْوَرَاءِ

_هَذَا أَنَا يَا سَلْمَى كَارْمِن

_مَا الَّذِي أَتَى بِكَ إِلَى هُنَا

_ أَتَيْتُ لَأَطْمَئِنَّ عَلَيْكَ لِمَ أَرَكَ فِي الصَّفِّ مُنْذُ مُدَّةٍ

_مَا الَّذِي تَفْعَلُهُ سِيرَاكَ أَحَدٌ مَا،اذْهَب مِن هُنَا

_لَيْسَ قَبْلَ أَن أَتَحَدَّثُ مَعَكِ قَلِيلًا

_لَا يَبْدُو أَنَّكَ بِخَيْرٍ يَا كَارْمِن

_رُوحِي مُنْهَكَةٌ لِلغَايَةِ مُتْعَبٌ يَا سَلْمَى...مُتْعَبٌ

يَظْهَرُ ذَلِكَ مِن صَوْتِكَ مَا الَّذِي حَدَثَ مَعَكَ!

_دَعْكِ مِنِّي كَيْفَ حَالُكَ؟

_بِخَيْرٍ

سَادَت دَقَائِقَ صَمْتٍ لَيْسَت بِالْقَلِيلَةِ بَيْنَهُمَا

_كَارْمِن مِن الْمُسْتَحْسَنِ أَن تَذْهَبَ لُطْفًا

_دَعْكِ مِنَ الْكَلَامِ يَكْفِينِي الصَّمْتُ فِي حُضُورِكِ لَا أَحْتَاجُ لِلْكَلِمَاتِ

_لَكِنْ عَلَيْكَ أَنْ تَذْهَبَ الآن ،الْوَقْتُ مُتَأَخِّرٌ .

_قَلِيلًا بَعْدُ وَأَذْهَبُ .

كَانَ يَبْدُو عَلَى مَلَامِحِ كَارْمِن أَنَّهُ مُتْعَبٌ مُثْقَلٌ بِشَيْءٍ تَجْهَلُهُ وَحَتَّى أَنَا أَجْهَلُ مَاهِيَّتَهُ تُرَى مَا الَّذِي جَرَى مَعَهُ عَلَى كُلٍّ كَانَ يَرْتَدِي مَلَابِسَ رِيَاضِيَّةً وَ كَانَ وَجْهُهُ شَاحِبٌ لِلْغَايَةِ قَاطَعَ صَوْتِ كَارْمِن صَمْتِي وَ صَمْتُ سَلْمَى قَائِلًا

_رَاقَكِ الْكِتَابُ الْجَدِيدُ؟

_ أَجَل شُكْرًا لَكَ عَلِمْتَ أَنَّكَ مَن أَحْضَرْتَهُ

لَا بَأْسَ دَعْكِ مِنَ الْمُجَامَلَاتِ بَيْنَنَا

تَبِعَ ذَلِكَ هُدُوءٌ آخَرٌ يَصْحَبُهُ تَأَمُّلُ كَارْمِن لِلسَّمَاءِ بِسَوْدَاوِيَّتِهَا الْعَمِيقَةِ وَالْمُرْبِكَةِ،وَتَأَمَّلَ سَلْمَى لِشُعُورِهَا الْحَيِّ الَّذِي وُلِدَ دَاخِلَهَا نَاحِيَةُ كَارْمِن

_مَا الَّذِي تَرَاهُ يَا كَارْمِن ؟

_ أَرَى نَفْسِي

كَانَ مِنَ الْأَرْجَحِ أَنْ تَقُولَ أَنَّكَ تَرَى الْقَمَرَ الَّذِي يُشْبِهُنِي ذَاكَ مَا كَانَ لَطِيفًا لَو سَمِعْتُهُ

_ أَرَانِي وَأَرَاكِ يَا سَلْمَى

_مَن أَنَا وَمَن أَنْتَ ؟

_ أَنَا السَّوَادُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ بِارْتِبَاكِ عُمْقِهِ وَعُلُوّهِ بِحُزْنِهِ وَسُكُونِهِ

_ مَاذَا عَنِّي

كَالْقَمَرِ تَمَامًا أَنْتِ لَيْسَ لَكِ مَثِيلٌ أَوْ بَدِيلٌ_

أَخْتَارُ أَن أَتَنَاصَفَ مَعَكِ الْقَمَرَ بَدَلاً مِن أَن أَجُولَ فِي السَّوَادِ .

_لَابُدَّ أَن أَكُونَ قَاتِمًا حَتَّى تُرَي،أَخْتَارُ أَن أَدْفِنَ نَفْسِي فِي الْفَضَاءِ الْعَاتِمِ حَتَّى يُرَى نُورَكَ

احْمَرَّتْ وَجَنَتَا سَلْمَى وَ فِي نَفْسِ اللَّحْظَةِ إيَّاهَا نَادَتِ الْعَمَّةُ سَلْمَى

_ سَلْمَى أَيْنَ ذَهَبْتِ مَا الَّذِي جَرَى مَعَكِ تَتَحَدَّثِينَ مَعَ نَفْسِكِ ، أَجُنِنْتِ!!!

نَزَلَتْ بِحَرَكَةٍ سَرِيعَةٍ وَأَغْلَقَت النَّافِذَةَ وَبَقِيَ كَارْمِن فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ لِمَا يُقَارِبُ النِّصْفَ سَاعَةً حَتَّى هَدَأَت أَنْفَاسُ سَلْمَى وَ هَدَأَ ضَجِيجُ الْمَنْزِلِ، حَمَلَ جِسْمُهُ الْمُثْقَلُ وَ ذَهَبَ بَعِيدًا عَن ذَاكَ الْحَيّ

فِي نَفْسِ اللَّيْلَةِ تِلْكَ دَارَت فِي عَقْلِ كَارْمِن الْعَدِيدَ مِن الْأَسْئِلَةِ

لَم أَكُن لِأُطْلِعَكَ عَن مَدَى شُعُورِهِ بِالْحُزْنِ وَ الْكَآبَةِ أَخَافُ أَن تَطْغَى سَوْدَاوِيَّتُهُ عَلَى النَّصِّ فَيَفِيضُ حُزْنُهُ عَلَى حُرُوفِ وَرَقَتِي حَرْفًا حَرْفًا، فَلَا أَجِدُ كَلِمَةً تُرَى أَو مَعْنًى يُتَرْجَمُ بَعْدَ أَنْ تُصْبِحَ الْوَرَقَةُ سَوْدَاءَ بِالْكَامِلِ، لِذَا دَعْهُ فِي صَمْتِهِ وَ دَعْنِي فِي سَرْدِ

الْأَحْدَاثِ ،فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي اتَّجَهَت سَلْمَى صَوْبَ مَكْتَبَةِ الْحَيِّ مُتَعَطِّشَةً لِلْكُتُبِ مُتَعَطِّشَةٌ لِإِيجَادِ رُوحِهَا الضَّائِعَةِ بَيْنَ تِلْكَ الرُّفُوفِ،اسْتَقَلَّت الْحَافِلَةُ لِتَصِلَ لِتِلْكَ الْمَكْتَبَةِ الْمُوَزَّعَةِ بِانْتِظَامٍ وَ الَّتِي تَكُونُ فِيهَا حُرًّا كَطَيْرٍ فِي السَّمَاءِ ، السَّمَاءُ تُخِيفُ الْبَعْضَ أَتَدْرِي لَمْ تُخِفْنِي يَوْمًا

كَانَتْ رَاحَةً لِي دُومًا، الْعَدَمُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يُرِيبُ الْبَشَرَ

لُغَةَ الْأَرْوَاحِ لَا تُخْطِئُ أَأَخْبَرْتُكَ بِذَلِكَ مُسْبَقًا!،

عِنْدَمَا ذَهَبْتَ سَلْمَى لِلْمَكْتَبَةِ تِلْكَ كَانَتْ تَرْتَدِي بِنْطَالًا أَسْوَدَ اللَّوْنِ مَعَ مِعْطَفٍ زَهْرِيٍّ تَوَرَّدُ وَجَنَتَاهَا كَالْعَادَةِ وَتَلْمَعُ عَيْنَاهَا بِلَمْعَةٍ مُثِيرَةٍ لِلِاهْتِمَامِ وَ كَأَنَّهَا فَتَاةٌ صَغِيرَةٌ عَلِمَتْ لِلتَّوِّ بِوُجُودِ عَالَمٍ زَهْرِيٍّ مَلِيءٍ بِالْأَلْعَابِ ، دَخَلَتْ فِي تِلْكَ الصُّفُوفِ تَرْتَحِلُ بِعَيْنَيْهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ اخْتَارَتْ كِتَابًا بِعُنْوَانِ لَا أَحَدَ يَعْلَمُ

كَانَتْ تَسْتَهْوِيهَا تِلْكَ الْعَنَاوِينُ الَّتِي لَا تَشِي بِشَيْءٍ وَ تَقُولُ كُلُّ شَيْءٍ فِي آنٍ وَاحِدٍ ،حَمَلَتْ ذَاكَ الْكِتَابَ وَ رَاحَتْ تَتَصَفَّحُهُ بِتَمَعُّنٍ ظَاهِرٍ، فِي تِلْكَ الزَّاوِيَةِ بَعِيدًا قَلِيلًا عَنْهَا دَخَلَ كَارْمِنْ مِنْ الْبَابِ الْأَمَامِيِّ لِلْمَكْتَبَةِ تَرَجَّلَ قَلِيلًا وُصُولًا لِلصَّفِّ الثَّالِثِ وَجَدَهَا... سَلْمَى، أَسَمِعْتِ قَبْلَ مُدَّةٍ عَنْ التَّخَاطُرِ ذَلِكَ الْعَالَمَ الرُّوحِيَّ الَّذِي تَجُولُ فِيهِ الْأَرْوَاحُ حُرَّةً طَلِيقَةٌ فِي ذَاكَ الْعَالَمِ بِالذَّاتِ عَلَّقَتْ رُوحَانِ تَشَارَكَا الشُّعُورَ وَ التَّفْكِيرَ حَتَّى قَادَتْهُمَا قَدَمَاهُمَا لِنَفْسِ الْمَكَانِ ، جَلَسَ بِجَانِبِهَا بَعْدَ أَنْ قَاطَعَ صَمْتَهَا قَائِلًا:

_صَبَاحُ الْخَيْرِ عَلَى وَجْهِ الْمَلَائِكَةِ

اسْتَدَارَتْ نَاحِيَتُهُ تَعْلَمُ تِلْكَ الْعِبَارَةَ، تَعْلَمُ ذَاكَ الصَّوْتَ وَ تِلْكَ النَّبْرَةُ ، ذَاكَ الْإِحْسَاسُ الْجَارِفُ بِالسَّعَادَةِ تَعْلَمُهُ وَ تَعْلَمُ مَصْدَرَهُ تَمَامًا ،أَلْقَتْ بِنَظَرَاتِهَا صَوْبَهُ

-صَبَاحُ النُّورِ كَارْمِنْ، كَيْفَ حَالُكَ؟

_بِخَيْرِ مَا دُمْتِ كَذَلِكَ

_لَوْ كُنْتُ وَضَعْتُ آلَةً تَتَّبِعُ لأَمَاكِنَ وُجُودِي لَمَا اسْتَطَعْتَ الْوُصُولَ لِمَكَانِي بِنَفْسِ الدِّقَّةِ فِي التَّوْقِيتِ

يَتْبَعُكِ قَلْبِي لَا عَلَيْكِ

_لَسْتُ مِنْ هُوَاةِ الْغَزَلِ الرَّخِيصِ عَلَى كُلِّ حَالٍ

_أَتَدَّعِينَ مَا أَقُولُ غَزَلٌ رَخِيصٌ أَمْ أَنَّ دُودَةَ الْكُتُبِ بَلَعَتْ عَقْلَكَ

أَطْلَقَا الِاثْنَانِ ضَجَّةً عَالِيَةً أَجْبَرَتْهُمَا عَلَى الْخُرُوجِ فَوْرًا بَعْدَ طَلَبِ مَسْئولِ الْمَكْتَبَةِ ذَلِكَ، تَرْجَّلَا الِاثْنَانِ بَعِيدًا عَنْ الْمَكْتَبَةِ عَرَضَ عَلَيْهَا كَارْمِنْ أَنْ تَذْهَبَ مَعَهُ لِتَلْتَقِيَ جَدَّتَهُ فَهِيَ لَطَالَمَا أَرَادَتْ رُؤْيَتَهَا لِحَدِّ قَوْلِهِ،وَافَقَتْ سَلْمَى عَلَى كُلِّ حَالٍ ،لَمْ يُوَافِقْ عَقْلَهَا كَانَ يَقُودُهَا قَلْبُهَا فِي جُلِّ تَحَرُّكَاتِهَا ،ذَهَبَا لِلْمَنْزِلِ وَ قَابَلَا الْجَدَّةَ فِي غُرْفَةِ الْمَعِيشَةِ جَدَّةَ كَارْمِنْ تُدْعَى رُقَيَّةُ شَارَفَتْ عَلَى الثَّمَانِينَ بَسِيطَةُ الْمَلَامِحِ ،التَّجَاعِيدُ تَطْغَى عَلَى مَلَامِحِهَا بَيْضَاءُ الْبَشَرَةِ عَيْنَاهَا تَمِيلَانِ لِلصُّفْرَةِ أَكْثَرَ، كَرِيمَةً أَيُّمَا كَرَمٍ وَ هَادِئَةُ الْوُجُودِ رَحَّبَتْ بِسَلْمَى ودَعَتْهَا لِتَنَاوُلِ الشَّايِ أَتَتْ بِصِينِيَّةِ الشَّايِ الْخَشَبِيَّةِ بِكُوبَيْنِ عَلَى الْأَكْثَرِ شَفَّافَيْنِ وَإِبْرِيق شَفَّاف هُوَ الآخَرُ ، تَبْدُو تَفَاصِيلُ أَوَانِيهَا عَلَى

أَنَّهَا امْرَأَةٌ لَطَالَمَا اعْتَنَتْ بِذَوْقٍ رَاقٍ وَبَسِيطٍ، غُرْفَةُ الْمَعِيشَةِ صَغِيرَةٌ نِسْبِيًّا تُوجَدُ بِهَا مَقَاعِدُ بِنْيَّةِ اللَّوْنِ كَبِيرَةُ الْحَجْم تَتَوَسَّطُهَا طَاوِلَةٌ خَشَبِيَّةٌ بِنَفْسِ الِارْتِفَاعِ،أَمَّا عَنْ كَارْمِنْ فَكَانَ يَرْتَدِي نَفْسَ الْمَلَابِسِ الَّتِي أَخْبَرْتُكَ عَنْهَا الْبَارِحَةَ ، الْجَدَّةُ كَانَتْ تَرْتَدِي فُسْتَانًا أَخْضَرَ اللَّوْنِ ذُو أَزْهَارٍ مُوَزَّعَة

ارْتَشَفَتْ سَلْمَى الشَّايِ بِهُدُوءٍ وَ رِقَّةٍ مُبَالَغٍ فِيهِمَا وَ أَرْجَحَ تَصَرُّفُهَا ذَاكَ عَلَى أَنَّهَا خَجِلَتْ مِنْ وُجُودِهَا فِي مَكَانٍ غَرِيبٍ عَنْهَا، أَرَأَيْتَ الْحُبَّ يُغَيِّرُ الْبَشَرَ يَجْعَلُهُمْ يَفْعَلُونَ مَا لَمْ يَكُونُوا يُجِيدُونَ فِعْلَهُ يَوْمًا وَ فِي آخِرِ مِثَالٍ أَنْ تَلْتَقِيَ سَلْمَى الْبَشَرِ تَوَالَتْ الْأَحْدَاثُ تَعَدَّدَتْ اللِّقَاءَاتُ

كَانَتْ سَلْمَى تَفْعَلُ ذَلِكَ عَمْدًا

تَذْهَبُ لِلْجَدَّةِ رُقْيَةً كُلَّ مَسَاءٍ تَتَحَدَّثُ مَعَهَا تَقُصُّ لَهَا أَخْبَارُ أَهَالِي الْحَيِّ عَنْ قَطَّةِ الْجِيرَانِ أَوْ حَتَّى عَنْ أُخَرِ كَلِمَةٍ تَحَدَّثَتْ بِهَا مَعَ كَارِمِنَ،رُوحُ الْجَدَّةِ الطَّيِّبَةِ انْسَجَمَتْ مَعَ سَلْمَى وَكَأَنَّهَا وَجَدَتْ بِهَا صِفَاتُ أُمِّهَا الرَّاحِلَةِ ،قَصَّتْ لَهَا سَلْمَى عَنْ طُفُولَتِهَا تَعَمَّدَتْ أَنْ تَقْتَرِبَ مِنْهَا أَكْثَرَ لِتُضِيفَ دَقَائِقَ أُخْرَى فِي رَصِيدٍ تَذْكُرُهَا لِوَجْهِ كَارْمِن ... يَأْتِي عِنْدَ تَمَامِ الرَّابِعَةِ

كَانَت تَنْتَظِرُهُ كَالْبَلْهَاءِ

وَ هِيَ تَتَحَرَّكُ حُرَّةً فِي الْمَنْزِلِ كَأَنَّهُ لَهَا ، لَم تَفْهَم أَنَّهَا تَمْتَلِكُ قَلْبَهُ وَ هِيَ حُرَّةٌ تَجُولُ دَاخِلَهُ وَ فِي جَوٍّ مَسَائِيٍّ هَادِئٍ كَالْيَوْمِ تُوجَدُ فِي غُرْفَةِ الْجَدَّةِ رُقَيَّةُ .. الْجَدَّةُ وَ سَلْمَى، تُمْسِكُ يَدَهَا الْمُجَعَّدَةُ الْبَيْضَاءُ مِن انْحِنَاءَاتِ الزَّمَنِ بِحَرَكَةٍ عَفْوِيَّةٍ ، تُخْبِرُهَا كُلُّ مَا

عَلِمَتْهُ مِنْ أَخْبَارٍ جَدِيدَةٍ كَانَتْ الْجَدَّةُ تَحْتَسِي كُوبَ الشَّايِ الذَّهَبِيّ بِلَذَّةٍ بَادِيَةٍ عَلَى مَلَامِحِهَا ، تَتَأَمَّلُ سَلْمَى وَ هِيَ تُحَرِّكُ رَأْسَهَا بِحَرَكَةٍ عَفْوِيَّةٍ

وَفِي الْأَرْجَاءِ بَيْنَمَا سَلْمَى تَتَحَدَّثُ كَارْمِن وَرَاءَ بَابِ الْغُرْفَةِ يُرَاقِبُهُمَا وَ يَتَمَنَّى لَو تَوَقَّفَ الزَّمَنُ لَوُلْهَةٍ لِيَحْفَظَ تَفَاصِيلَ صَغِيرَتِهِ لَم يُصَدِّق وُجُودَهَا ..

دَخَلَ الْغُرْفَةَ بَعْدَ أَن طَرَقَ الْبَابُ

حَسَنًا يُقَابِلُ مَرْأَى كَارْمِن سَرِيرٍ كَبِيرٍ ذُو غِطَاءٍ أَبْيَضَ بِجَانِبِهِ كُرْسِيّ كَانَتْ الْجَدَّةُ تَجْلِسُ فَوْقَ السَّرِيرِ تَرْتَدِي نَفْسَ الْفُسْتَانِ بِلَوْنٍ مُغَايِرٍ بُرْتُقَالِيّ ، أَمَّا عَنْ سَلْمَى فَهِيَ جَالِسَةٌ فِي الْكُرْسِيّ الْخَشَبِيّ تَرْتَدِي فُسْتَانًا أُرْجُوَانِي اللَّوْنِ عَلَى مَا يَبْدُو

تَقَدَّمَ مِنَ الْجَدَّةِ لِيُقَبِّلَ رَأْسَهَا

وَ كَوْنُ أَنَّ سَلْمَى جَالِسَةً بِالْقُرْبِ مِن الْجَدَّةِ عِنْدَ انْحِنَاءِ كَارْمِن نَحْوَهَا أَحَسَّت

بِقُرْبِهِ الظَّاهِرِ مِنْهَا ،ارْتَشَفَت رَائِحَتُهُ ..ارْتَجَفَتْ مُبْتَعِدَةً تُخَفِّفُ مِنْ نَبَضَاتِ قَلْبِهَا

_إِنَّهُ الْأُوكْسِيتُوسِين

حَيَّت الْجَدَّةُ وَ اعْتَذَرَت وَ خَرَجَت مِن بَابِ الْمَنْزِلِ وَ هِيَ تُحَاوِلُ اسْتِرْجَاعَ نَبْضِهَا، مَاذَا عَن كَارْمِن

لَامَسَت السَّعَادَةُ تَفَاصِيلَ وَجْهِهِ أَصْبَحَ كَالْمَسْحُورِ يَدُورُ فِي أَرْجَاءِ الْمَنْزِلِ يَبْتَسِمُ كَالْأَبْلَهِ لِكُلِّ حَائِطٍ يُقَابِلُهُ

فِي نَفْسِ اللَّيْلَةِ كَانَ كَارْمِن جَالِسٌ فِي الْمَطْبَخِ سَارِحًا فِي عَالَمٍ آخَرَ لَا عَلَاقَةَ لِي وَ لَكَ بِهِ جَاءَت الْجَدَّةُ بِحَرَكَتِهَا الْبَطِيئَةِ حَتَّى أَصْبَحْتْ بِقَرَابَةِ كَارْمِنَ رَبَتَتْ عَلَى كَتِفِهِ قَائِلَةً

_جَمِيلَةُ يَا كَارْمِنُ

جَمِيلَةٌ وَ طَيِّبَةٌ ، أَحَادِيثُهَا حُلْوَةٌ كَالسُّكَّرِ لَيْتَهَا مَعِي يَوْمِيًّا ..

فِي الْيَوْمِ التَّالِي

أَوْ بِالْأَحْرَى فِي اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ

اتَّجَهَ كَارْمِن نَحْوَ مَنْزِلِ سَلْمَى بِخُطُوَاتٍ وَاثِقَةٍ وَهُوَ كُلُّهُ ثِقَةٌ أَنَّ تِلْكَ الْمِنْطَقَةَ تَخُصُّهُ كَيْفَ لَا وَقَد وَضَعَ قَلْبُهُ هُنَاكَ ،اتَّجَهَ نَحْوَ مَنْزِلِ سَلْمَى نَادَاهَا لِلْخُرُوجِ قَائِلًا أَنَّ جَدَّتَهُ فِي وَضْعِ حَرَجٍ وَ أَنَّهَا تُرِيدُهَا ،ذَهَبَتْ الْمِسْكِينَةُ بِرُفْقَتِهِ ظَنًّا مِنْهَا أَنَّ الْأُمُورَ تَسُوءُ وَ أَنَّ أُمَّهَا الثَّانِيَةَ فِعْلًا طَلَبَتْهَا وَ لَكِنَّ الْوُجْهَةَ لَمْ تَكُنْ بَيْتَ الْجَدَّةِ تَوَقَّفَت سَلْمَى عَن الْهَرْوَلَةِ وَ وَاجَهَت كَارْمِنْ قَائِلَةً

_ الطَّرِيقُ لَيْسَ مِن هُنَا يَا كَارْمِن إِلَى أَيْنَ نَحْنُ ذَاهِبَانِ

_لِمَكَانٍ قَرِيبٍ لِنَأْخُذَ مَعَنَا الدَّوَاءَ لَهَا

_لِمَا لَا تَتْرُكُنِي مَعَهَا وَتَذْهَبُ لِتَأْتِيَ بِالدَّوَاءِ سَتَكُونُ فِكْرَةً أَفْضَلَ .

_إِنَّ الْمَكَانَ قَرِيبٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ

ذَهَبَا الِاثْنَانِ لَكِن مَا لَاحَظَتْهُ سَلْمَى أَنَّ الْمَكَانَ لَا يُشْبِهُ صَيْدَلِيَّةً عَلَى الْإِطْلَاقِ بَل هِيَ مِسَاحَةٌ خَضْرَاءٌ تُقَابِلُهَا بُحَيْرَةٌ صَغِيرَةٌ

طَبِيعَةٌ هَادِئَةٌ ، عَلَقَ ذَاكَ فِي عَقْلِ سَلْمَى يَبْدُو أَنَّهُ نَفْسُ الْمَكَانِ السِّرِّيِّ الَّذِي أَعْجَبَنِي فِي مَا مَضَى

كَيْفَ عَرَفَهُ!

إِنَّهَا لَيْلَةٌ قَمَرِيَّةٌ

هَادِئَةٌ وَكَأَنَّهَا مَقْطَعٌ مُصَوَّرٌ مِن فِلْمٍ خَيَالِيٍّ جَلَسَ كَارْمِن

فِي تِلْكَ الْمِسَاحَةِ، سَامِحًا لِجِسْمِهِ أَنْ يَرْتَاحَ فَوْقَهَا

رَافِعًا رَأْسَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ

تَوَجَّهَ لِسَلْمَى بِالْحَدِيثِ قَائِلًا:

_اجْلِسِي

_مَا الَّذِي تَقْصِدُهُ! مَاذَا عَن الْجَدَّةِ ؟مَاذَا عَن الدَّوَاءِ؟

لَا اعْلَم بِأَيِّ عَقْلٍ تُفَكِّرِينَ فَقَط، اجْلِسِي عَلَى وُسْعِ الْمِسَاحَةِ الْخَضْرَاءِ

هُنَاكَ كَارْمِن بِجَانِبِ سَلْمَى

مُتَّكِئَانِ بِحَرَكَةِ مَا يُرَاقِبَانِ السَّمَاءَ ، أَتَرَى سَلْمَى ..تَبْدُو الْمَلَابِسُ عَلَى جِسْمِهَا

الْمُتَنَاسِقِ كَأَنَّهَا صُمِّمَتْ خِصِّيصًا لَهَا

فُسْتَانٌ أَحْمَرُ قَانِيٌّ

يَرِي تَنَاسُقَ جِسْمِهَا وَ يَنْعَكِسُ عَلَى صَفَاءِ بَشَرَتِهَا

أَم عَن تِلْكَ الْأَسْوِرَةِ فِي ذِرَاعِهَا الْأَيْسَرِفَقَد أَهْدَاهَا لَهَا كَارْمِن قَبْلَ قَلِيلٍ إِسْوَرَةً مِنَ اللُّؤْلُؤِ الْعَتِيقِ صُمِّمَت خِصِّيصًا لِمِعْصَمِهَا رَقِيقَةً كَتَفَاصِيلِهَا

تَبْدُو مِنَ الْأَعْلَى وَ كَأَنَّهَا لَوْحَةٌ غَذَاهَا صَاحِبُهَا بِالتَّفَاصِيلِ

لِأَجْعَلَكَ تُرَاقِبُ الْحَدِيثَ عَنْ قُرْبٍ سَلْمَى تَتَحَدَّثُ الآنْ أُصْغِي لِمَا تَقُولُهُ

_ أَتَرَى هُنَاكَ عَالِيًا

أَنْظُرُ إِلَى الْيَمِينِ قَلِيلًا بَعْدُ، هُنَاكَ أَتَرَى ذَلِكَ النَّجْمَ إِنَّهُ صَدِيقُ الْقَمَرِ كَشَامَةٍ أَعْلَى شَفَتَيْ حَسْنَاءَ أَوْ كَحَبِيبَةٍ مُخْلِصَةٍ حَتَّى مَعَ عَوَاصِفَ الْقَدْرُ ذَلِكَ النَّجْمُ إِنَّهُ أُمِّيٌّ

_تَوَقَّفَ كَارْمِنْ يُرَاقِبُ

الْفَضَاءَ ، الْفَرَاغَ ، وَ قَلْبَهَا ..حَتَّى قَالَتْ مُتَأَمِّلَةٌ:

_أَرْغَبُ فِي الصُّعُودِ هُنَاكَ لِنَطِرْ الْيَوْمَ فِي أَحْلَامِنَا رُبَّمَا هِيَ الْفُرْصَةُ الْوَحِيدَةُ اسْتَدَارَ نَاحِيَتَهَا يَتَأَمَّلُ تَفَاصِيلَهَا فِي صَمْتٍ حَتَّى قَالَتْ:

_حَسَنًا يَا كَارْمِنُ يَبْدُو أَنَّ الْفِكْرَةَ تُرُوقُكَ، لَكِنْ صِدْقًا أُمِّي سَتَلْمَعُ أَكْثَرَ مِنْ نَجْمَةٍ لِنُوَسِّعِ الصُّورَةِ أَكْثَرَ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ كَارْمِن وَ سَلْمَى جَالِسَانِ فِي ذَاكَ الْمَكَانِ، أَنْتَ تَحْمِلُ الْكِتَابَ فِي هُدُوءٍ وَرُبَّمَا أَنَا فِي مَكَانٍ آخَرَ تَمَامًا بَعْدَ أَن فَرَغْتُ مِن مَلْئِ صَفَحَاتِ الرِّوَايَةِ لِنُوَسِّعِ الصُّورَةَ أَكْثَرَ رُبَّمَا فِي مَكَانٍ آخَرَ

هُنَاكَ فَتَاةٌ عَلَى حَافَّةِ الِانْـهِيَارِ

وَ فِي مَكَانٍ آخَرَ تَمَامًا هُنَاكَ رُوحٌ تُرْفَعُ لِلسَّمَاءِ وَ أُخْرَى تَسْتَقْبِلُ الْحَيَاةَ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ أَكْثَرَ

هُنَاكَ مَن يَسْتَمْتِعُ بِعِشَاءٍ هَادِئٍ قَاطَعَهُ صُرَاخُ الْأَبِ وَ تَدْمِيرُهُ لِجُلِّ الْأَكْلِ الَّذِي فَوْقَ الطَّاوِلَةِ

فِي مَكَانٍ ثَالِثٍ هُنَاكَ فَتًى عِشْرِينِيٌّ يَتَمَشَّى فِي الطُّرُقِ ضَالًّا سَبِيلَهُ تُدَاهِمُ أَفْكَارُهُ الطُّرُقَاتِ ،

فِي مَكَانٍ رَابِعٍ رُبَّمَا هُنَاكَ آخَرُ يَبْكِي بِجَانِبِهِ فِي الْحَيِّ

شَخْصٌ آخَرَ يُشْغِّلُ الْمُوسِيقَى وَ يَرْقُصُ فَوْقَ خَيْبَاتِهِ ، وَكُلُّ مَكَانٍ سَيَرْوِي لَكَ أَلْفَ قِصَّةٍ وَقِصَّةٍ وَأَلْفِ حَقِيقَةٍ خَفِيَّةٍ عَنْ عَيْنِكَ وَإِدْرَاكُكَ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا رَبٌّ وَاحِدٌ

لِتُوَسِّعَ الصُّورَةِ فَقَط عِنْدَمَا تَضِيقُ بِكَ الْحَيَاةُ سَتَرَى أَنَّ الْكَوْنَ وَ الْحَيَاةَ أَوْسَعُ مِنْ لَحْظَةٍ أَوْ مَوْقِفٍ

الفَصْلُ الرَّابِعُ

اِخْتِفَاءُ سَلْمَىٰ

لَقَدْ جَاءَ دَوْرِي فِعْلًا، عَلَيَّ أَن أَنْزِلَ لِلنَّصِ لَيْسَ رَغْبَةً مِنِّي لَكِنِّي عَجَزْتُ عَنْ تَرْتِيبِ الْأَحْدَاثِ عَلَيَّ أَن أَقْتَرِبَ أَكْثَرَ مِنْهُمْ،

أَشْعُرُ بِشُعُورٍ جَارِفٍ نَحْوَ كَارْمِن

فِي كُلِّ لَيْلَةٍ أُرَاهُ فِي مَنَامِي ،يَحْجُبُ عَنِّي النُّورَ أَصْبَحَ يُعَلِّقُ فِي كَوَابِيسِي،عَلَيَّ أَن أَنْزِلَ لِلنَّصِّ بِالْفِعْلِ، ابْقَ أَنْتَ هُنَا تَابِعِ الْأَحْدَاثَ رُبَّمَا سَأَعُودُ وَرُبَّمَا لَا وَلَكِن لِتَبْقَى وَصِيَّتِي قَائِمَةٌ إِيَّاكَ أَن تُصَدِّقَ أَيَّ كَلَامٍ يُقَالُ ، لِكُلِّ غَايَتُهُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ اتَّبِع بَصِيرَتَكَ وَصَوْتَكَ الدَّاخِلِيُّ لَا أَكْثَرَ لَا أَعْلَمُ إِن كَانَ مَا سَأَفْعَلُهُ جَيِّدٌ بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ لِكَارِمِنَ لَكِنِّي فِعْلِيًّا فَقَدْتُ السَّيْطَرَةَ عَلَى النَّصِّ لَا أَعْلَمُ صِدْقًا

كَيْفَ وَصَلَت الْأَحْدَاثُ إِلَى هُنَا ،كُنْتُ أُرَاقِبُ كُلَّ شَيْءٍ عَنْ كَثَبٍ لَكِنْ رُبَّمَا هِيَ مُفْتَرِقُ الطُّرُقِ الْقَدَرُ لَعِبَ دَوْرِهُ مَعِي هَذِهِ الْمَرَّةَ ،لَمْ أَجِدْ سَلْمَى دَعْ الْأَمْرَ بَيْنَنَا أَرْجُوكَ وَ لَكِنَّهَا اخْتَفَت أَيْنَ؟ مَعَ مَن؟ وَكَيْفَ؟ لَا عِلْمَ لِي.. كَانَ عَلَيَّ تَوَقُّعُ ذَلِكَ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ اخْتَرْتُهَا،فِي الْأَسَاسِ هِيَ لَيْسَتْ تَابِعَةً لِهَذَا الْكِتَابِ كَانَ عَلَيَّ تَوَقُّعِ أَنَّهَا سَتَرْحَلُ فِي نُقْطَةٍ مَا وَ تَذْهَبُ لِعَالَمِهَا

لَا أَظُنُّ أَنَّهَا رَغْبَةُ سَلْمَى هِيَ الْأُخْرَى وَ لَكِنَّ الْكَاتِبَ الْمُوَكِّلَ عَلَى أَحْدَاثِ حَيَاتِهَا أَخَذَهَا عَنْوَةً ،لَيْسَ لِي دِرَايَةٌ فِعْلِيَّةٌ بِمَا حَدَثَ مَعَهُ

رُبَّمَا أَوْقَفَ عَمَلَهُ مُدَّةً مُعَيَّنَةً بِحَيْثُ أَصْبَحَت فِيهَا سَلْمَى حُرَّةً فَاسْتَطَعْتُ جَذْبَهَا لِنَصِي بِقُوَّةِ التَّخَاطُرِ وَقد عاد الكاتب الآنَ الْكَاتِبُ إلى نصّهِ .

وَأَعَادَ سَلْمَى لِوَضْعِهَا أَلَن يَسْتَغْرِبُ مَا آلَتْ إِلَيْهِ شَخْصِيَّتُهَا سَيَعْلَمُ أَنَّ هُنَاكَ شَيْءٌ مَا تَغَيَّرَ بِهَا

فَمِن غَيْرِ الْمُمْكِنِ أَن لَا تُؤَثِّرَ أَحْدَاثٌ كَتِلْكَ عَلَى نَفْسِيَّتِهَا أَيْنَ سَأَجِدُهَا صِدْقًا ،لَيْسَ لَدَيَّ مَعْلُومَاتٌ حَتَّى عَن كَاتِبِ النَّصِّ مِن أَيِّ بَلْدَةٍ هُوَ؟ كَيْفَ يَتَعَامَلُ مَعَ نَصِّهِ ؟مَا هِيَ طِبَاعُهُ ؟كَيْفَ لِي أَنْ أَتَخَاطَرَ مَعَ شَخْصٍ فِعْلَيَّ مِنْ بَنِي الْإِنْسِ طَوَالَ حَيَاتِي وَ أَنَا أَتَخَاطَرُ مَعَ الشَّخْصِيَّاتِ الْوَهْمِيَّةِ لَيْسَتْ لِي قُدْرَةٌ فِعْلِيَّةٌ لِلْوُصُولِ لِكَاتِبٍ حَقِيقِيٍّ مِثْلِي سَاعِدْنِي أَرْجُوكَ لَابُدَّ أَنْ أَجِدَ حَلًّا لِلْوَرْطَةِ الَّتِي وَضَعْتُ نَفْسِي بِهَا سَتُسَجِّلُ الْأَحْدَاثُ الْمُشْتَرَكَةُ بَيْنَ كَارْمِنْ وَسَلْمَى فِي نَصِّ الْكَاتِبِ الآخَرِ أَيْ سَيَعْلَمُ أَنَّ هُنَاكَ شَخْصٌ آخَرَ غَيْرَهُ عَبَثَ بِالنَّصِّ فِي غِيَابِهِ ،لَنْ يَجِدَنِي عَلَى كُلِّ حَالٍ

وَ سَلْمَى لَيْسَتْ بِذَكَاءِ كَارْمِنْ أَيْضًا حَلَلَتْ شَخْصِيَّتَهَا لَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا فِي وَسَطِ كِتَابٍ حَتَّى تَشِيَ بِي لِكَاتِبِهَا .

سَيُجنُّ الْمِسْكِينُ ظَانًّا أَنَّهُ مَرِيضٌ نَفْسِيا أَصِيبَ بِالزَّهَايْمَر.. رُبَّمَا ،حَسَنًا دَعْنَا مِنْهُ لِأُخَلِّصَ نَفْسِي مِنْ الْوَرْطَةِ الَّتِي وَضَعْتُ نَفْسِي بِهَا، كَارْمَنْ تَعَلَّقَ بِسَلْمَى بَلْ حَتَّى أَنَّهُ أَحَبَّهَا كَيْفَ سَأَفْعَلُ فِي هَذِهِ الْمُعْضِلَةِ لِأُخْبِرَكَ أَمْرًا أَنَا أَيْضًا أَحْبَبْتُ كَارْمِنَ لِيَبْقَى سِرًّا بَيْنَنَا لَكِنِّي وَاقِعَةٌ فِي غِرَامِ شَخْصِيَّتِهِ فِي غِرَامٍ دَاخِلِيٍّ بِصُورَةٍ أَوْضَحَ فَهُوَ لَيْسَ سِوَى انْعِكَاسٍ آخَرَ لِي عَلَيَّ أَنْ أَجِدَ حَدَثًا يُغَيِّرُ مَجْرَى النَّصِّ لِأَجْعَلَ كَارْمِنْ يَنْتَبِهُ لَهُ حَدَثٌ يُؤَثِّرُ عَلَى نَفْسِيَّتِهِ حَتَّى لَا يُلَاحَظَ غِيَابُ سَلْمَى عَنْ النَّصِّ، حَدَثٌ مِثْلَ مَاذَا؟ لَيْسَ لَدَيَّ حَلٌّ آخَرُ سِوَى أَنْ أَقْتُلَ الْجَدَّةَ الْحَدَثَ الْوَحِيدَ الَّذِي سَيُؤَثِّرُ فِي نَفْسِيَّةِ كَارْمِنْ هُوَ هَذَا

وَهَذَا مَا سَأَفْعَلُهُ بِالْفِعْلِ عُذْرًا مِنْكَ وَمَنْ جَعَلَكَ تَصِلُ لِنُقْطَةٍ كَهَذِهِ مَعَ كَاتِبَةٍ فَشِلَتْ حَتَّى فِي وَضْعِ خُطَّةٍ مُحْكَمَةٍ تَحْمِي بِهَا أَبْطَالَ رِوَايَتِهَا، الْحُبُّ تَضْحِيَةً أَلَيْسَ كَذَلِكَ لِذَا سَأُضَحِّي بِشَخْصِيَّاتٍ أُخْرَى مِنْ الرِّوَايَةِ حَتَّى أُرَتِّبَ حَيَاةَ كَارْمِنْ مَرَّةً أُخْرَى رُبَّمَا

مَعِي، سَأَجْعَلُهُ يَقَعُ فِي غَرَامِي ثُمَّ سَأُغْلِقُ النَّصَّ لِتَكُونَ نِهَايَةٌ أَكْثَرَ دِرَامِيَّةً بَطَلَ الْقِصَّةُ وَقَعَ فِي غِرَامِ الْكَاتِبَةِ

فِكْرَةٌ لَمْ تَخْطُرْ عَلَى بَالِكِ مُسْبَقًا ،سَأُحَاوِلُ لِأُكْمَلَ أَحْدَاثَ الْقِصَّةِ ...

لَا عُمْقِي اسْتَطَعْتُ الْبَوْحَ بِهِ وَلَا عُمْقُكَ اسْتَطَعْتُ مُلَامَسَتَهُ كَارْمَنْ يَأْتِي ويَعُودُ

يَزُورُ الْحَانَةَ وَ دَكَاكِينَ الْحَيِّ كُلَّ يَوْمٍ

_رَحَلَتْ كَمَا جَاءَتْ

رَحَلَتْ جَدَّتُنَا رُقَيَّةً

أَيْضًا أَجَرَّبَتْ

أَنْ تَفْقِدَ يَوْمًا عَزِيزَ قَلْبَكَ

_أَجَرَّبْتْ الِاسْتِيقَاظَ بَعْدَ نَوْمِ الْفُقْدَانِ

_أَجَرَّبْتُ

تُذَكِّرُكَ مَلَامِحَ مَنْ فَقَدْتْ

_أَجَرَّبْتُ حُزْنَ الْأَعْيَادِ وَ دُمُوعَ الْأَفْرَاحِ

_أَجَرَّبْتَ احْتِضَانَهُمْ فِي أَحْلَامِكَ

أَجَرَّبْتَ كُلَّ هَذَا لَيْسَ سَهْلًا أَنْ تَتَلَفَّظَ بِ فَقَدْتُ، بَلْ قُلْ فَقَدْتَ

وَ نِقَاطٍ مُتَتَابِعَةٍ بَعْدَهَا لَسْتُ مِنْ هُوَاةِ تَرْتِيبِ الْأَحْدَاثِ

وَ إِنِّي كَاتِبٌ يَعْجِزُ حَتَّى عَنْ رَفْعِ قَلَمِهِ لَوْلَا أَنَّ كَارْمِنْ يَأْتِي كُلَّ لَيْلَةٍ

يُوقِظُنِي لِأَجْعَلَهُ يَلْتَقِي بِسَلْمَى

لَمَا كُنْتُ إِلَى الآنَ بِجَانِبِكَ الْبَارِحَةُ زَارَنِي كَارْمِنُ فِي مَنَامِي

يَرْجُونِي لِأَنْ لَا أَتَوَقَّفَ عَنْ الْكِتَابَةِ ... لَا تَدْرِي أَنْتَ مَا شُعُورُهُ حِينَمَا أَتَوَقَّفُ،

يَجْلِسُ عِنْدَ الزَّاوِيَةِ حَزِينًا كَوْنِي أَوْقِفَالرِّوَايَةَ فِي هَذَا الْجُزْءِ ،عَلَى الْأَقَلِّ لِأَوَاسِيهِ لِأُرَتِّبَ الْأَحْدَاثَ

لِأَجْعَلَهُ يَرْحَلُ عَنْ حَيِّهِمْ الْبَائِسِ

لَمْ يَعُدْ هُنَاكَ سَبَبٌ وَاحِدٌ لِيَبْقَى

إِنْ تَحَدَّثْنَا عَنْ رُقَيَّةَ فَجَدَّتُهُ تُوُفِّيَتْ عَصْرَ الْبَارِحَةِ

_الْمَوْتُ أَصْبَحَ أَسْهَلَ مَا يُقَالُ

مَاتَ شَخْصٌ عَصْرَ الْبَارِحَةِ، الصَّدْمَةُ الْأُولَى تَأْخُذُ حَقَّهَا

ثُمَّ نَعْتَادُ الْأَمْرَ،كَمَا سَيَعْتَادُهُ الْأُخَرُونَ بَعْدَ مَوْتِنَا

إِنَّهُ يَوْمُ الْأَحَدِ

تُقَارِبُ السَّاعَةَ الْعَاشِرَةَ صَبَاحًا، ذَاكَ مَا لَمَحَهُ كَارْمِنْ عَلَى سَاعَتِهِ الْبَنَفْسَجِيَّةِ الْمُعَلَّقَةِ أَعْلَى بَابِ الْمَطْبَخِ قَرَّرَ الرَّحِيلَ بَلْ قَرَّرْتُ أَنْ يَرْحَلَ عَنْ مَنْزِلِهِمْ،

أَخْبَرَنِي الْبَارِحَةُ فِي خَرْبَشَاتِهِ اللَّيْلِيَّةِ أَنَّهُ مَلَّ أَحَادِيثِي عَنْهُ وَ أَنِّي دَائِمًا أَجْعَلُ الْأَحْدَاثَ تَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ

بَلْ حَتَّى أَنَّ حُضُورَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِالذَّاتِ أَرْعَبَنِي ... كُنْتُ نَائِمَةً فِي غُرْفَتِي حَتَّى أَحْسَسْتُ بِوَقْعِ أَقْدَامٍ بِالْقُرْبِ مِنْ بَابِ الْغُرْفَةِ

فَزِعْتُ مِنْ نَوْمِي ،فَإِذَا بِي أَجِدُ كَارْمِنْ جَالِسٌ عَلَى الْأَرِيكَةِ يَدْرُسُ تَفَاصِيلِي بِنَظْرَةٍ مُرْعِبَةٍ ... لَقَدْ كَانَتْ عَيْنَاهُ مَرْعِبَتَيْنِ فِعْلًا وَ كَأَنَّهُ احْتَسَى

نَبِيذٌ أَوْ شَيْءٌ مَا

ثُمَّ تَذَكَّرْتُ أَنْ آخِرَ حَدَثٍ تَوَقَّفَتْ عِنْدَهُ الْبَارِحَةُ هُوَ جُلُوسُهُ مَعَ الْمَدْعُوِّ كَمَالٍ فِي الْحَانَةِ وَ شُرْبُهُ الْكَأْسَ السَّابِعَ عَلَى التَّوَالِي ،ثُمَّ قُمْتُ وَ تَرَكْتُ حَاسُوبِي جَانِبًا ذَاكَ كُلُّ مَا تَذَكَّرْتُهُ

نَهَضْتُ مِنْ سَرِيرِي مُسْرِعَةٌ قَائِلَةٌ بِاسْتِغْرَابٍ ظَاهِرٍ

_كَارْمِنْ!!!!

لَمْ يَرُدْ ، كُلُّ مَا فَعَلَهُ هُوَ أَنَّهُ اِقْتَرَبَ مِنْ مَكَانِ جُلُوسِي وَهَيْئَتُهُ لَا تَطْمَئِنُ أَبَدًا وَكَأَنَّهُ أَرَادَ خَنْقِي ، ابْتَعَدْتُ عَنْهُ مُسْرِعَةٌ وَأَنَا أَسْحَبُ الْغِطَاءَ نَحْوِي لَمْ يَفْعَلْ شَيئا بَلْ رَفَعَ الْحَاسُوبَ أَعْطَانِي إِيَّاهُ وَانْصَرَفَ فَهِمْتُ أَنَّهُ يُرِيدُنِي أَنْ أُتَابِعَ مَا كَتَبْتُ الْبَارِحَةَ عَلَى الْأَقَلِّ لِأَجْعَلَهُ يَرْتَدِي مُلَابِسَ أُخْرَى وَيَسْتَحِمُّ

فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي خَرَجْتُ مِنْ مَنْزِلِي قَاصِدَةِ الذَّهَابِ لِكَارْمِنَ

كَانَ فِي الطَّرِيقِ السَّرِيعِ جَالِسٌ فِي الزَّاوِيَةِ

حَالَتَهُ تَقِفُ حُرُوفِي لِوَصْفِهَا ... انْهِيَارُ حَادٌّ صَاحَبَهُ شَهِيقٌ مُتَوَاصِلٌ وَكَأَنَّهُ أَرَادَ لِلْأَرْضِ أَنْ تَنْشَقَّ وَتَبْلَعَ أَلَمَهُ لِلَحْظَةٍ تَسَاءَلْتُ أَدَاخِلِي هَشٌّ لِهَذِهِ الدَّرَجَةِ أَحْسَسْتُ أَنِّي مَنْ تَسَبَّبْتُ فِي كُلِّ هَذَا وَلِلَحْظَةِ مَقَتُّ كُونِي كَاتِبَةً بِحُرُوفٍ مُرْتَجِفَةٍ كَتِلْكَ جَلَسْتُ بِجَانِبِهِ أُلَاحِظُ جُلُوسَهُ فِي الْأَرْضِ

حَرَكَتَهُ تِلْكَ وَوَضَعَ يَدَيْهِ فَوْقَ قَلْبِهِ لَمْ يَسْتَطِعْ رَفْعَ عَيْنَيْهِ نَحْوِي إِنَّهُ يَخْتَارُ طَرِيقَةً مُبْتَكَرَةً لِرَفْضِي يَبْتَعِدُ عَنْ لُغَةِ الْأَعْيُنِ ...يَتَحَاشَى النَّظَرَ إِلَيَّ

قُلْتُ لَهُ:

_كَارْمِنْ آسِفَةٌ عُذْرِ كَلِمَاتِي لِوَاقِعِكَ أَكْبَرَ مِنْ كَلِمَةِ آسِفَةٍ

رَفَعَ رَأْسِهِ نَاحِيَتِي بِوَجْهٍ شَاحِبٍ وَاكْتَفَى بِالصَّمْتِ كَانَ الْوَقْتُ مُنَاسِبًا لِأُغَيِّرَ النَّصِّ

ذَهَبْتُ مُسْرِعَةٌ نَحْوَ حَاسُوبِي وَ كَتَبْتُ

_عَادَ صَوْتُ كَارْمِنْ مُجَدَّدًا، أَصْوَاتُ ارْتِطَامِ قَلْبِهِ بِالْوَاقِعِ كَانَ أَكْثَرَ حِدَّةً مِنْ نُطْقِهِ لِكَلِمَتِهِ الْأُولَى

ثُمَّ تَوَجَّهْتُ نَحْوَ كَارْمِنَ قَائِلَةً _تَحَدَّثْ يَا كَارْمِنْ صَمْتَكَ يَزِيدُ الْوَضْعَ سُوءًا

رَفَعَ رَأْسَهُ تَأَمَّلَ الطَّرِيقَ

طَرِيقٌ تَتَسَارَعُ فِيهِ السَّيَّارَاتُ الْمُتَعَاكِسَةُ أَكْثَرَ مِنْ نَبَضَاتِي حِينَهَا

رُبَّمَا كَانَ خَطَئِي أَنِّي جَعَلْتُ شَخْصِيَّتَهُ كَكَاتِبٍ تَطْغَى عَلَى النَّصِّ

أَتَعْلَمُ ذَاكَ الشُّعُورَ ... أَنْ تُصَاحِبَ الْكَلِمَاتُ أَنْ تَكُونَ مُنْجِدَتَكَ وَ خِنْجَرَ قَلْبِكَ .. إِنَّنَا نَرَى الْوَاقِعَ بِتَفَاصِيلَ أَدَقَّ .. بِأَلَمٍ أَكْبَرَ.. بِحُزْنٍ دَفِينٍ

_يَكْفِي أَنْ تَكُونَ بَائِسًا لِتَكُونَ كَاتِبًا

_يَكْفِي أَنْ تَخْتَارَ الْوِحْدَةَ وَ الْكُتُبُ الْعَتِيقَةُ أَنْ تُصَاحِبَ اللَّيْلَ وَ سُكُونَهُ،

أَنْ تَرَى التَّفَاصِيلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَوْلَكَ

التَّفَاصِيلُ أَفْضَلَ مِنْ الصُّورَةِ الْكُلِّيَّةِ صَدِّقْنِي، كُلُّ الْمَشَاعِرِ تَكْتَنِزُ فِي التَّفَاصِيلِ الصُّورَةَ الْكُلِّيَّةَ مُجَرَّدَةٌ وَعَاتِمَةٌ

نَظَرَ إِلَيَّ كَارْمِنْ ثُمَّ قَالَ

_ أُمْنِيَّة أَوْقِفِ هَذَا الشُّعُورَ دَاخِلِي لُطْفًا

_أَيُّ طَلَبٍ هَذَا يَا كَارْمِنْ

مَنْ قَالَ لَكَ أَنِّي أَنَا مَنْ أَخْلُقُ فِيكَ الشُّعُورَ،

أَنَا فَقَطْ أَخْتَارُ الظُّرُوفَ

أَنْتَ مَنْ اخْتَرْتَ أَنْ تُصَاحِبَ الْأَلَمَ

وَ أَنِّي لِأَوَّلِ مَرَّةٍ أَقِفُ أَمَامَ شَخْصِيَّةٍ مِنْ دَاخِلِي وَأَقُولُ كَارْمِنْ أُهْرُبْ ،إِنِ ٱخْتَرْتَ حُزْنَكَ اخْتَرْ أَنْ تَفْرَحَ

وَ إِنْ اخْتَرْتَ دَفْنَكَ

اخْتَرْ أَنْ تَحْيَا

إِنِّي أَتَحَكَّمُ بِوَقْعِ وَاقِعِكَ وَلَيْسَ بِتَصَرُّفِكَ

وَ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى يَا كَارْمِنُ أَطْلِقَ الْحُرِّيَّةَ لِأَحَدٍ انْفِصَامَاتِي وَأَرْوَاحِي الدَّاخِلِيَّةِ، لَمْ أُقَيِّدْكَ ، شُعُورِي بِكَ كَشَخْصٍ يُعَادِلُ تَمَامًا كَوْنَكَ بَطَلَ هَذِهِ الرِّوَايَة

إِنَّكَ جُزْءٌ عَاتِمٌ مِنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ ضَبْطَهُ إِلَى الآنْ

_مَاذَا عَنْ سَلْمَى يَا أَمْنِيَةَ أَيْنَ هِيَ؟

_لَدَيَّ سُؤَالٌ لَكَ

_لَيْسَ لَدَيَّ مَجَالٌ لِأُفَكِّرَ ، أُرِيدُ حُضْنَ أُمٍّ دَافِئٍ سَلَبْتِنِي إِيَّاهُ وَعِنْدَمَا وَجَدْتُ سَنَدًا فِي الْجَدَّةِ وَ فِي حُبِّي لِسَلْمَى اخْتَرْتِ أَنْ تُغِيبِيهُمْ عَنْ نَظَرِي دُفْعَةً وَاحِدَةً، عَاجِزٌ أَمَامَكِ لَكِنْ لُطْفًا بِحَالِي

كَارْمِنْ عَلَيْكَ أَنْ تَفْهَمَ شَيْئًا لَسْتُ سِوَى شَخْصٍ يَقْتَنِي كَلِمَاتٍ مُتَنَاثِرَةٍ يُعَبِّرُ فِيهَا عَنْ ظِلَالِ رُوحِهِ لَسْتُ رَبًّا حَكِيمًا يَا كَارِمِنْ ،اللَّهُ وَحْدَهُ مَنْ يَمْلِكُ الْحِكْمَةَ فِي تَسْيِيرِ خَلْقِهِ، حِكْمَةٌ قَدْ نَعْجِزُ عَنْ فَهْمِهَا وَ مَعْرِفَتِهَا

لَسْتُ مَعْفِيَةً مِنْ الْخَطَأِ أَوْ قَرِيبَةً مِنْ الصَّوَابِ

أَقُولُ فَقَطْ مَا بِدَاخِلِي وَ مَشَاعِرِي أُتَرْجِمُهَا فِيكُمْ لَا أَكْثَرَ .. وَالشَّخْصُ مِنَّا يَلْعَبُ كُلَّ الشَّخْصِيَّاتِ فِي حَيَاتِهِ شَرًّا كَانَ أَمْ خَيْرًا ..طَرِيقُ الْمَالَانْهَايَةِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ يَتُوهُ فِيهِ الْبَشَرُ

مَنْ قَالَ لَكِ يَا أَمْنِيَةُ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ تَضَادٌّ .. إِنَّهُمْ تَكَامُلٌ مُرِيبٌ وَحُلْوُ الْمَذَاقِ أَأَصْبَحْتُ أَخُذُ الْحِكْمَةِ مِنْ أَفْوَاهِ الْمَجَانِينِ

_لَسْتُ مَجْنُونٌ، لَسْتُ سِوَى انْعِكَاسِكَ

_ كَيْفَ تَقُولُ هَذَا

وَأَنَا أَعْرِفُ دَاخِلِي أَكْثَرَ مِنْكَ... أَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ تَقْبَعُ دَاخِلِي وَ دَاخِلِي عَمِيقٌ وَعَاتِمٌ يُلَخِّصُ جُزْءًا مَا فِيكَ فَقَطْ وَرُبَّمَا يَكُونُ جُنُونِي

كَفَى يَا أَمْنِيَةٌ كَفَى

_أَأَنَا مَنْ عَلَيْهَا قَوْلُ هَذَا أَمْ أَنْتَ ... تُصِيبُنِي بِالصُّدَاعِ كُلُّ هَذَا يَحْدُثُ دَاخِلَ جُمْجُمَةٍ مُغْلَقَةٍ مُغَلَّفَةِ الْحَوَافِ

بِنَبَضَاتِ قَلْبٍ أَحْمَقَ ظَنَّ يَوْمًا أَنَّهُ يُمْكِنُهُ تَسْيِيرِي

إِنَّكُمْ تَتَحَدَّثُونَ دَاخِلَ عَقْلِي، أَنْتَ حُرٌّ

أَقُولُهَا فِعْلًا حُرٌّ يَا كَارْمِنْ قَالَ كَارْمِنْ:

_أَأَنْتِ جَادَّةً يَا أَمْنِيَّةْ!

_ أَأَظْهِرُ غَيْرَ ذَلِكَ؟

لَكِنْ انْتَظِرْ سَأَبْدُو غَبِيَةً لِقَارِئِ كَلِمَاتِي كَوْنِي أَطْلَقْتُ سَرَاحَكَ ،أَعْطِنِي وَعْدًا أَوَّلًا مَهْمَا كَانَ مُوَافِقٌ مَا دَامَ يَجْمَعُنِي بِهَا _

أَفِعْلَا أَحْبَبْتَهَا كُلَّ هَذَا

.. أَيُّ حُبٍّ بَائِسٍ هَذَا

..سَأَقْتُلُهَا

لَيْسَ عَدْلًا أَنْ تُحِبَّهَا أَكْثَرَ مِنِّي .. لَيْسَ عَدْلًا يَا كَارْمِنُ

لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا مَا سَيَحْدُثُ لَجَعَلْتُهَا قِطَّةَ الْجِيرَانِ فِي الْقِصَّةِ

_ لَا مَهْرَبَ، أَنْتِ بِالْفِعْلِ أَوْجَدْتِهَا فِي وَاقِعِ رِوَايَتِكِ أَعْلَمُ ذَلِكَ لَكِنِ اسْمَعْ إِيَّاكَ وَ الْعَوْدَةَ مِنْ جَدِيدٍ سَئِمْتُ مَشَاعِرَكَ ، أَتَنَعْتُ نَفْسَكَ رَجُلًا فِعْلًا

_مَنْ قَالَ لَكِ يَا أَمْنِيَّةُ أَنَّ الرَّجُلَ لَا يُحِبُّ ، عِنْدَمَا نُحِبُّ نَكُونُ أَعْمَقَ مِنْكُنَّ فِي الشُّعُورِ أَلْفَ مَرَّةٍ وَ شُعُورُ

_ أَنْتَ طَلِيقٌ أَبْعِدْ عَجْرَفَتُكَ هَذِهِ عَنِّي وَ لَا تَأْتِي لِلْمَنْزِلِ مَرَّةً أُخْرَى

وُجُودُكَ فِيهِ يُرْعِبُنِي

_ قُلْتِ حُرٌّ لَا تُقَيِّدِينِي وَ لَا تُمْلِي عَلَيَّ الْأَوَامِرَ

_فَقَطْ اذْهَبْ ابْتَعِدْ عَنْ نَاظِرِي

_أَخْبِرِينِي شَيْئًا بَعْدُ، أَيْنَ هِيَ؟

لَنْ أُخْبِرَكَ دَعْ حِكْمَتَكِ الزَّائِدَةَ تُوَصِّلُكَ لَهَا أَطْلَقْتُ ضَحْكَةً حَادَّةً فِي الْهَوَاءِ لِكَوْنِي تَخَلَّصْتُ مِنْ ذَاكَ الْمَدْعُوّ كَارْمِنْ

ثُمَّ هَا أَنَا أَتَّجِهُ نَحْوَكَ أَنْتَ تَسْأَلُنِي الآنَ.....

_أَفِعْلًا ظَنَنْتَ أَنَّهُ بِإِمْكَانِكَ سُؤَالِي

لَا أَعْرِفُكَ فِعْلِيًّا لَكِنَّكَ شَخْصٌ رَائِعٌ لِكَوْنِكَ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُرَافِقَ رُوحِي لِحَدِّ هَذِهِ النُّقْطَةِ، احْذَرْ أَنْ يُحَرِّضَكَ كَارْمِنْ عَلَيَّ

كَارْمِنْ يَكْرَهُنِي

اخْتَارَ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنِّي وَعَنْ وِجْدَانِي لَقَدْ انْفَصَلَ عَنْ دَاخِلِي ،أَعْطِنِي الْحَاسُوبَ، وَدَاعًا لَا تَسْأَلْنِي عَمَّا أَنْوِي فِعْلَهُ بَعْدُ هَذَا لِأَنِّي لَا أَعْلَمُ،لَا أَفْهَمُ مَشَاعِرِي ، شُعُورٌ بِخَنْقَةٍ مُرِيبَةٍ دَاخِلِي وَ كَأَنِّي فَقَدْتُ جُزْءًا مِنْ رُوحِي،عَائِلَتِي مُجْتَمِعَةً نَحْوَ مَائِدَةِ الطَّعَامِ

،لَكِنْ مَا اخْتَرْتُهُ هُوَ الذَّهَابُ لِغُرْفَتِي وَ إغْلَاقُ الْبَابِ ، ارْتَمَيْتُ فِي سَرِيرِي وَ شَرَعْتُ فِي الْبُكَاءِ

لَمْ أَفْهَمْ مَا يَجْرِي فِعْلًا ... أَتَفَهَّمُ بِكَائِكِ هَكَذَا بِدُونِ سَبَبٍ .. أَجْرَبْتُ ذَلِكَ الشُّعُورَ

يُقَالُ أَنَّهُ تَرَاكُمَاتُ مَشَاعِرَ لَمْ تُعْطِهَا فُرْصَةً لِتُعَبِّرَ عَنْ نَفْسِهَا دَاخِلَكَ

أَيًّا يَكُنْ غَطَطْتُ فِي نَوْمٍ شِبْهِ مُتَقَطِّعٍ

كَوْنِي مَنْ رَكَّبْتُ شَخْصِيَّتَهُ أَعْلَمُ جَيِّدًا كَيْفَ يُفَكِّرُ إنَّهُ مَرِيضٌ نَفْسِيٌّ أَعْلَمُ ذَلِكَ الْجُزْءَ

مِنِّي قَدْ يَقْتُلُنِي فِعْلِيًّا ، الْقَتْلُ سَهْلًا بِالنِّسْبَةِ لِشَخْصٍ كَتَومٍ صَامِتٍ

حِينَمَا يَحْقِدُ عَلَى أَحَدِهِمْ وَ يَجْمَعُ تِلْكَ الْمَشَاعِرَ السَّوْدَاوِيَّةَ

قَدْ يَكُونُ سَفَّاحًا فِعْلًا.. وَحَصَلَ مَا كُنْتُ أَتَوَقَّعُ أَتَى نَاحِيَتِي لَيْلًا وَجَلَسَ عِنْدَ الْأَرِيكَةِ

فَتَحْتُ عَيْنَيَّ فَوَجَدْتُهُ قُبَالَتِي

_تَبًّا يَاكَارْمِنْ ... أَنْتَ مُجَدَّدًا

_مَاذَا كُنْتِ تَظُنِّينَ يَا أَمْنِيَّةُ ..لَيْسَ لِي سَبِيلٌ غَيْرَكِ .. أَيْنَ سَلْمَى؟

_ وَلِمَا أُخْبِرُكَ!

سَأَنْتَحِرُ يَا أَمْنِيَةُ وَأُفْسِدُ رِوَايَتَكِ

_أَتُهَدِّدُنِي بِانْتِحَارِكَ؟ حُبًّا بِاللَّهِ اخْرُج يَا كَارْمِنُ وَأَغْلِقِ الْبَابَ أَحْتَاجُ أَنْ أَنَامَ

تَوَالَتْ زِيَارَاتُ كَارْمِنْ أَصْبَحَ يُرْعِبُنِي وُجُودَهُ فَلَمْ أَجِدْ سِوَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ هُوَ إخْبَارُهُ مَا حَدَثَ

_اجْلِسْ يَا كَارْمِنْ

_سَتُخْبِرِينَنِي

_ سَلْمَى رَحَلَت لِلْجَنُوبِ

_جَنُوبَ الْمِلْحِ؟

_تِلْكَ رِوَايَةٌ يَا أَحْمَقُ

أَيْنَ هِيَ إِذَن

_ لِأُخْبِرَكَ مُنْذُ الْبِدَايَةِ

تَتَذَكَّرُ خَالِد ابْنَ خَالِ سَلْمَى

_نَعَمْ مَاذَا عَنْهُ

_هُوَ مَنْ أَخَذَهَا ،وَلَيْسَ لِي دِرَايَةٌ فِعْلِيَّةٍ عَنْ مَكَانِ وُجُودِهَا،لَكِن عَلَى حَسَبِ عِلْمِي تَزَوَّجَت ،هِيَ فِي الْجَنُوبِ الآن مَعَ عَائِلَتِهَا تِلْكَ آخِرَ الْأَخْبَارِ الَّتِي وَصَلَتْنِي عَنْهَا إِنَّهَا فِي الصَّحْرَاءِ الرِّمَالُ تَعْكِسُ فَلْسَفَتَهَا الْهَادِئَةَ، وَاسِعَةً تَمَامًا كَمَشَاعِرِهَا نَحْوَكَ ذَهَبَت أُمْنِيَّةٌ

إِنِّي أَتَحَكَّمُ فِي النَّصِّ الآنَ، لَا أَعْلَمُ أَيَّ شَيْءٍ عَنْكَ،مَا الَّذِي جَعَلَكَ تَخْتَارُ هَذَا الْكِتَابَ اخْتَرْتَ الْكِتَابَ حُبًّا بِالْكَاتِبَةِ وَ أَفْكَارَهَا؟

لَا يُهِمُّنِي فِعْلِيًّا أَنْ أَعْلَمَ أَيَّ شَيْءٍ عَنْكَ هِيَ كَاتِبَةٌ خَرْقَاءُ أَمْقُتُ حُرُوبَهَا ، فَلَسَفَتُهَا الْحَزِينَةُ جُمُودُ مَلَامِحِهَا حِينَ التَّحَدُّثِ إِلَيَّ ..

أَكْرَهُهَا كُلَّهَا وَلَيْسَ لَدَيَّ مُتَّسَعٌ مِنْ الْوَقْتِ لَكُنْتُ جَعَلْتُهَا تَدْفَعُ ثَمَنَ مَا جَعَلْتَنِي أُعَانِيهِ الْحَيَاةُ بَيْنَ صَفَحَاتِ كِتَابٍ مُغْلَقٍ بَائِسَةٍ وَمُخِيفَةٍ خَاصَّةٍ فِي اللَّيْلِ حِينَمَا تَأْتِي أَمْنِيَّةٌ وَهِيَ تَقْتَرِبُ مِنْ حَاسُوبِهَا لِتَجْمَعَنَا كُلَّنَا دُفْعَةً وَاحِدَةً تُسَيِّرُنَا كَمَا أَرَادَتْ وَفِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ، تِلْكَ لَمْ تَكُنْ سَلْمَى بَيْنَنَا أَتَعْلَمُ مَا أَخَافُهُ ....

أَنَّهَا جَعَلَتْهَا تَمُوتُ فِي آخِرِ مَرَّةٍ اخْتَارَتْ فِيهَا الْعَبَثَ فِي النَّصِّ الْغَرِيبُ فِي الْأَمْرِ أَنَّهَا أَعْطَتْنِي حُرِّيَّةَ التَّصَرُّفِ فِي، لَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكْفِي لِيَمْلَئَ دَاخِلِي...

بَلْ حَتَّى أَنَّهُ صَعْبٌ أَنْ أَفْهَمَ مَا أُعَانِيهِ ، وُجُودُهَا جَانِبِي كَافٍ لِأَفْهَمَنِي وَوُجُودُ سَلْمَى كَافٍ تَمَامًا لِأَرْوِيَ شَغَفِي ذَهَبْتُ يَوْمَهَا لِلْحَيّ

دَخَلْتُ الْمَنْزِلَ وَكَمْ كَانَ مُوحِشٌ دُخُولَهُ.. فَارِغُ الْأَحَاسِيسِ

كُلُّ جُزْءٍ فِيهِ يَحْمِلُ جُزْءًا مِنْهَا..

كَانَتْ جَدَّتِي تَحْمِلُ الْكَأْسَ الْبُرْتُقَالِيَّ الْمَوْضُوعَ فَوْقَ الطَّاوِلَةِ الْخَشَبِيَّةِ أَمَامَ سَرِيرِهَا بِحَرَكَةٍ لَطِيفَةٍ مُرْتَجِفَةٍ هِيَ هُنَاكَ وَ هُنَا

فِي الْغُرْفَةِ أَمَامَ الْمَطْبَخِ

فِي السَّرِيرِ فِي كُلِّ مَكَانٍ تَتَحَرَّكُ، إِنَّهَا هُنَاكَ تَحْمِلُ الْمِلْعَقَةَ بَعِيدًا قَلِيلًا تَتَحَرَّكُ وَتَفْتَحُ النَّافِذَةَ لِتُتَابِعَ حَرَكَةَ الْجِيرَانِ وَفَوْضَى الْحَيّ..

إِنَّهَا فِي كُلِّ تَفْصِيلٍ وَجْهُهَا مَرْسُومٌ فِي كُلِّ بُقْعَةٍ مُلَطَّخَةٍ فِي هَذَا الْمَنْزِلِ الْبَائِسِ وَفِي كُلِّ رُقْعَةٍ مِنْ قَلْبِي مُصْطَلَحٌ كَالْمَوْتِ صَعْبٌ عَلَيَّ اسْتِيعَابَهُ ، بِالرَّغْمِ أَنِّي كَبِيرُ كِفَايَةً لِتَقَبُّلَ وَاقِعٍ كَهَذَا

لَكِنْ مَنْطِقَ أَنَّ شَخْصٌ كَانَ قُبَالَتِي ثُمَّ رَحَلَ فَجْأَةً يُعِيقُ كِيَانِي

يُوقِفُنِي فِي لَحْظَةِ صَمْتٍ،كَانَتْ جَدَّتِي فِي الْمَنْزِلِ كُلِّهِ ، لَوْ كَانَتْ أُمْنِيَّةً مَعِي

لَكَانَتْ أَوْصَلَت مَكْنُونَاتِ قَلْبِي بِشَكْلٍ أَعْمَقَ مِمَّا سَأَقُولُ .. كَانَ الْمَنْزِلُ

فَارِغًا وَ كَأَنَّ كُلَّ جُزْءٍ حَمَلَ أَنْفَاسَهَا يَبْعَثُ بِخَنَاجِرَ فِي قَلْبِي، عَاقَبْتُ كُلَّ جُزْءٍ مِنْ الْمَنْزِلِ عَلَى حَمْلِ تَفَاصِيلِهَا حَطَّمْتُ الْأَرِيكَةَ وَ الْكُرْسِيُّ

كَانَ كُلُّ مَا يُسْمَعُ فِي فَرَاغِ اللَّيْلِ هُوَ صَوْتُ ارْتِطَامِ الْأَشْيَاءِ عَلَى الْحَائِطِ الرَّمَادِيّ الْبَائِسِ ، ثُمَّ بَعْدَ سَاعَاتٍ مِنْ تِلْكَ الْجَلَبَةِ اقْتَرَبْتُ مِنْ قَطَّةِ الْجِيرَانِ وَمَارَسْتُ جُنُونِي عَلَى كَائِنٍ كَقِطٍّ... صِرْتُ أَصْرُخُ عَلَيْهَا وَكَأَنَّهَا سَرَقَتْ مَا أَمْلِكُ

ثُمَّ وَبَعْدَ صَرَخَاتِي وَانْفِجَارِ مَشَاعِرِي ، صَاحَبَتْنِي ضِحْكَةً هِسْتِيرِيَّةً سَاخِرَةً سَاخِرَةً مِنْ الْقَدْرِ ،نَاقِمَةٌ عَلَى نَفْسِي

جَاءَ كَمَالُ ، فَتَحَ بَابَ الْمَنْزِلِ ، لَمْ تَكُن حَالَتُهُ مُنَاسَبَةً قَطُّ لِمُسَانَدَةِ شُعُورِي .. كَانَ مَغِيبَ الْعَقْلِ تَمَامًا أَخْبَرَتْكَ أَمْنِيَّةً عَنْ كَمَالٍ إِنَّهُ أَحَدُ سُكَّانِ ذَلِكَ الْحَيِّ الَّذِي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ الْكِيفَ الْمُعَالِجَ فِي أَيَّامٍ مَضَتْ ،كَانَ يَتَمَايَلُ فِي خَرَابِ الْمَنْزِلِ، وَيَضْحَكُ بِصَوْتٍ سَاخِرٍ حَانٍ مُتَمَوِّجٍ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَمَقَتُّ حَالَهُ وَحَالِي، فِي أَشَدِّ حَالَاتِي بُؤْسًا يَأْتِي بِحَالَةٍ كَهَذِهِ وَالْغَرِيبُ فِي الْأَمْرِ أَنَّهُ حَمَلَ قَارُورَتَيْنِ فِي يَدِهِ ،يَبْدُو أَنَّ الثَّانِيَةَ لِي اسْتَدَارَ نَاحِيَتِي ثُمَّ قَالَ :

_اشْرَبْ يَا كَارْمِن سَيُوقِّفُ هَذَا الْمَشْرُوبَ الْعَجِيبَ الْأَلَمُ ... الْأَلَمُ يَا كَارْمِنُ

كَانَ يُعِيدُ كَلِمَةَ الْأَلَمِ تِلْكَ وَهُوَ يَضْرِبُ بِيَدِهِ عَلَى قَلْبِهِ بِحَرَكَةٍ عَنِيفَةٍ وَحَرَكَاتِهِ الْمُتَمَايِلَةِ تِلْكَ تَزِيدُ الْوَضْعَ سُوءًا ،حَمَلْتُ تِلْكَ الْقَارُورَةَ وَ تَجَرَّعْتُهَا دُفْعَةٌ وَاحِدَةٌ جَلَسْنَا وَيَكْفِي أَنْ تَتَخَيَّلَ التَّنَاسُقَ الَّذِي حَمَلَهُ خَرَابُ الْمَكَانِ عَلَى خَرَابِ قَلْبَيْنَا قُلْتُ لَهُ:

_أَلَا يَنْبَغِي يَا كَمَالُ فِي هَذِهِ الْمَوَاقِفِ أَنْ أَضُمَّ سَجَّادَتِي وَ أَدْعُو اللَّهَ

_ اللَّهُ مَعَنَا فِي كُلِّ حَالٍ ، إِنَّهُ الْوَحِيدُ الدَّائِمُ

كَانَ يُعِيدُ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ وَ كَأَنَّ كَلِمَاتِهِ لَا تَصِلُ لِمَسْمَعِهِ لِيَهْدِئَ، ثُمَّ اسْتَدَرْتُ لِأَجِدَهُ نَائِمًا عَلَى الأَرْضِ نَظَرْتُ إِلَيْهِ مُطَوَّلًا بَقِيتُ أَنْفُثُ السَّجَائِرَ وَاحِدَةً تِلْوَ الْأُخْرَى لَعَلَّهَا تُهْدِئُ مَا بِدَاخِلِي .. كَانَ احْتِرَاقُ الْأَرْبَعِينَ سِيجَارَةً يَوْمَهَا لَا يُضَاهِي احْتِرَاقَ قَلْبِي،كُنْتُ فِي حَالَةٍ شِبْهِ وَاعِيَةٍ

رَفَعْتُ يَدَيَّ لِلسَّمَاءِ وَبَدَأْتُ بِالدُّعَاءِ رَاجِياً مِنْ نَفْسِي أَنْ تَتَوَقَّفَ رَاجِياً مِنْ

دُمُوعِي أَنْ تَرْحَمَ ضُعْفِي .. وَاللَّهُ هُوَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ،أَخْبَرْتُ اللَّهَ بِكُلِّ مَا حَمَلَهُ قَلْبِي يَوْمَهَا بِصَوْتٍ اقْرَبَ لِلنَّحِيبِ بِشُعُورٍ أَقْرَبَ لِلرَّجَاءِ

وَمَا أَنْ غَفَوْتُ حَتَّى نَهَضْتُ وَإِذَا بِي أَرَى الصَّبَاحَ حَلَّ ، بَلِ الظَّهِيرَةَ ، أَتَذَكَّرُ جَدَّتِي وَيُوضَعُ الْخِنْجَرُ مَرَّةً أُخْرَى فِي قَلْبِي ، رَحَلَتْ يَا كَارْمِنْ ، رَحَلَت وَلَنْ يَكُونَ لَهَا رُجُوعٌ .

بِعْتُ الْمَنْزِلَ وَوَدَّعَتْ الْحَيَّ وَكَمَالٌ لَمْ يَكُنْ مُخْطِئا، اللَّهُ لَا يُحْصَرُ فِي فِعْلٍ أَوْ شُعُورٍ مَهْمَا كَانَتْ حَالَتُنَا فَنَحْنُ أَقْرَبُ لِلَّهِ ، إِنَّهُ الْمُنَجِّدُ وَالْمُنَجِّى لَا يُحْصَرُ لَا بِصَلَاةٍ وَلَا بِتِلَاوَةٍ ، إِنَّهُ أَوْسَعُ مِنْ ذَلِكَ لَا تَتَرَدَّدْ فِي الذَّهَابِ إِلَيْهِ فِي أَيِّ حَالَةٍ كُنْتَ، اللَّهُ أَوْسَعُ مِنْ حَصْرِهِ فِي عِبَادَةٍ

لَا يُخَيِّبُ اللَّهُ عِبَادَهُ يَا صَدِّيقُ..

هَدِّئ بُرْكَانَ مَشَاعِرِي

ذَهَبْتُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ لِمَنْزِلِ فَرِيدَة صَدِيقَةِ سَلْمَى

تَقْطُنُ بِجَانِبِ عَمَّةِ سَلْمَى ، سَأَلْتُهَا عَنْهَا يَوْمَهَا فَأَخْبَرَتْنِي أَنَّهَا تَزَوَّجَتْ بِالْفِعْلِ مِنْ صَدِيقِ ابْنِ خَالِهَا وِفْقًا لِكَلَامِهَا أَنَّهُ نَعَتَهَا بِأَنَّهَا عَاهِرَةٌ وَ يَجِبُ أَنْ تَتَزَوَّجَ حَتَّى لَا تُلَطِّخَ شَرَفَ الْعَائِلَةِ

لَكِنَّهَا أَخْبَرَتْنِي أَنَّهَا لَمْ تُخْبِرْهَا إِلَى أَيْنَ ذَهَبَتْ تَحْدِيدًا عَلَى كُلِّ حَالٍ لَازِلْتُ قُبَالَةَ فَرِيدَةُ الآنَ قُلْتُ لَهَا

_كُلُّهُ مِنْ أَمْنِيَّةِ تِلْكَ الْغَبِيَّةِ لَمْ تُسَطِّرْ الْأَحْدَاثَ بِشَكْلٍ دَقِيقٍ

_مَاذَا دَهَاكَ يَا كَارْمِنْ مَنْ هِيَ أَمْنِيَّةٌ ؟

_أَلَا تَعْرِفِينَهَا ؟

_كَلَا ، مَنْ هِيَ؟

_أَأَنْتِ جَادَّةٌ ؟

_مَا الَّذِي تَقْصدُهُ

_أَيْنَ نَحْنُ يَا فَرِيدَةُ؟

_فِي الْحَيّ

مَا الَّذِي تُهْذِي بِهِ

إِنَّنَا فِي الْحَيّ فِي وَسَطِ غُرْفَةِ الضُّيُوفِ فِي مَنْزِلِي

_لَمْ تَفْهَمِي قَصْدِي،أَيْنَ نَحْنُ مَنْ يَسَيّرُنَا ؟

_مَا الَّذِي جَرَى لِعَقْلِكَ ، عَلَيْكَ أَنْ تَذْهَبَ الآنَ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ عَائِلَتِي

يَكْفِي مَا أَخْبَرْتُكَ بِهِ بِالْفِعْلِ

خَرَجْتُ يَوْمَهَا مِنْ مَنْزِلِ فَرِيدَةَ وَ أَنَا ضَائِعٌ تَمَامًا

ذَهَبْتُ لِدَكَاكِينِ الْحَيّ

مَرَرْتُ عَلَى أَشْخَاصٍ غُرَبَاءَ ، وَ كَالْمَجْنُونِ فِي الطُّرُقَاتِ أَسْأَلُ الْمَارَّةَ عَنْ مَكَانِ وُجُودِنَا

كُلِّهِمْ أخْبَرُونِي أَنَّنَا فِي الْحَيّ الْفُلَانِيّ ، كُنْتُ أَعْلَمُ ذَلِكَ بِالْفِعْلِ، صَدَّقَ الْجَمِيعُ أَنَّهُ حَصَلَ فِي عَقْلِي شَيْءٌ مَا،لَكِنَّ الَّذِي لَا يُصَدّقُ أَنَّنِي الْوَحِيدُ مَنْ أَعْلَمُ أَنّي دَاخِلَ صَفَحَاتِ كِتَابٍ

أَلَمْ تُخْبِرْهُمْ أَمْنِيَّةٌ أَنَّهَا مِنْ تَسَيّرُ حَيَاتَنَا فِي وَقْعِ رِوَايَتِهَا

أَمْ أَنَّهَا فَقَطْ تَخْتَارُنَا لِلْعَبَثِ بِنَا ثُمَّ تَرْمِينَا لِلْوَاقِعِ بَعْدَ أَنْ تَرْوِيَ فَرَاغَ قَلْبِهَا ...

كَانَ عَلَيَّ إِيجَادُهَا ، ذَهَبْتُ لِمَنْزِلِهَا وَلَمْ أَجِدْهَا كَانَتْ تَعْلَمُ أَنّي سَأَعُودُ لِذَلِكَ ذَهَبْتُ

صِرْتُ كَالتَّائِهِ أَرْتَمِي فِي الطُّرُقَاتِ وَ أَضْحَكُ بِشَكْلٍ عَجِيبٍ

حَسِبَهُ الْمَارَّةُ جُنُونًا صَاحِبُ ابْنِ الْعِشْرِينَ رَبِيعًا ، اتَّصَلْتُ بِنَهْلَاءَ يَوْمِهَا كَانَتْ مَنْجِدَتِي الْوَحِيدَةَ

فِي ظِلِّ وَاقِعٍ كَهَذَا ذَهَبْتُ لِمَنْزِلِهَا

جَلَسَتُ فِي تَوَهَانِي وَ لَمْ أُحَدِّثْهَا رَغْمَ أَسْئِلَتِهَا الْمُتَوَاصِلَةِ

كُلَّ مَا فَعَلْتُهُ هُوَ الضَّحِكُ

وَسَأَلْتُهَا مُجَدَّدًا

_أَيْنَ نَحْنُ يَا نَهْلَاءُ؟

_ فِي مَنْزِلِي يَا كَارْمِنْ مَا الَّذِي يَجْرِي مَعَكَ غَطَطْتُ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ وَتَوَالَتِ الْأَيَّامُ وَأَنَا أُعَانِقُ الْوِسَادَةَ وَحَرْبُ أَفْكَارِي لَا تَكَادُ تَتَوَقَّفُ ، لَمْ أَسْتَطِعْ الْوُصُولَ لِأَمْنِيَّةَ وَلَا لِسَلْمَى كُلَّ مَا كَانَ قُبَالَتِي تِلْفَازٌ يَحْوِي مَشَاهِدَ لَسْتُ أَدْرِي تَرْتِيبَهَا وَ نَهْلَاءُ تَذْهَبُ لِعَمَلِهَا وَ تَأْتِي كُلُّ مَسَاءٍ حَامِلَةً مَعَهَا كِيسًا مُمْتَلِئًا بِالْأَكْلِ وَ أَشْيَاءَ أُخْرَى وَ لَعَلَّ مِنْ ضِمْنِ الْأَشْيَاءِ الْأُخْرَى الْيَوْمَ مَلَابِسَ جَدِيدَةٌ لِي، دَخَلَت غُرْفَةُ الْمَعِيشَةِ وَ صَرَخْتُ فِي وَجْهِي

_كَارْمِنْ مَا الَّذِي يَجْرِي لَكَ

وَمَا هَذِهِ الْفَوْضَى الَّتِي تَعِيشُ وَسَطَهَا

_لَمْ تَرَي بَعْدُ الْفَوْضَى الَّتِي بِدَاخِلِي يَا نَهْلَاءُ

_ابْتَعَدْ عَنْ مُعَانَقَةِ سَرِيرِكَ وَوَاجِهِ الْوَاقِعَ

_أَيْ وَاقِعَ يَا نَهْلَاءُ ...

_انْهَضْ

أَرْجُوكَ، لَا أَسْتَطِيعُ قَوْلَ كَلِمَةِ غَيْرِ هَذِهِ ،الْهُرُوبُ مِنْ الْوَاقِعِ لَيْسَ حَلًّا يَا كَارْمِن

وَلَا مُشَاهَدَةَ التِّلْفَازِ طَوَالَ الْيَوْمِ .. أَتَعْلَمُ كَمْ مَرَّ وَأَنْتَ عَلَى هَذَا الْحَالِ

.. شَهْرٌ يَا كَارْمِنْ شَهْرٌ بِكَامِلِهِ

أَنْتَ مَيِّتٌ دَاخِلَ أَرْبَعَةِ جُدْرَانٍ بَلْ أَنَّكَ حَتَّى لَا تَقْبَلَ الْحَدِيثَ مَعِي

... اسْتَفِقْ لِوَاقِعِكَ يَا كَارْمِنُ

وَلَدَيَّ خَبَرٌ لَكَ ،قُبِلَت رِوَايَتُكَ فِي الْمُسَابَقَةِ الْوَطَنِيَّةِ

_ لَا أُبَالِي

أَخْبِرِيهِمْ أَنِّي أَنْسَحِبُ

_مَا الَّذِي تَقُولُهُ أَقُولُ لَكَ قُبِلَت رِوَايَتَكَ أَنْتَ تَتَّجِهُ نَحْوَ الْعَالَمِيَّةِ ،اسْتَفِق

_ لَا أُبَالِي بِالْفِعْلِ ..لَا أَرْغَبُ فِي رُؤْيَةِ النُّورِ حَتَّى.. تَوَجَّهَتْ نَهْلَاءُ نَحْوَ السَّتَائِرِ وَفَتَحَتْهَا بِالْكَامِلِ ثُمَّ ذَهَبَت، تَنَفَّسَتِ الصُّعَدَاءَ ظَنًّا مِنِّي أَنَّهَا سَتَتْرُكُنِي و َشَأْنِي وَ أَخِيرًا، وَ لَكِنَّهَا عَادَتْ بِدَلْوِ مَاءٍ كَبِيرِ الْحَجْمِ وَصَبَّتْهُ فَوْقَ رَأْسِي كُلَّهُ...

الفَصْلُ الخَامِسُ

لعَلِّي أجِدُك..

لَمْ أَسْتَطِعْ الْبَقَاءَ مَكْتُوفَ الْيَدَيْنِ لِأَكُن صَرِيحًا مَعَكَ صُورَتَهَا لَمْ تُفَارِق خَيَالِي يَوْمًا، أَرَاهَا فِي الْمَارَّةِ، أَتَعَثَّرُ بِتَفَاصِيلِهَا بَحَثْتُ عَنْ نَبْرَةِ صَوْتِهَا فِي كُلِّ امْرَأَةٍ أُقَابِلُ ،حَاوَلْتُ رَسْمَ صُورَتِهَا فِي كُلِّ الْفَتَيَاتِ حَوْلِي حَاوَلْتُ مُلَامَسَةَ تَفَاصِيلِهَا فِيهِنَّ لَكِنِّي لَمْ أَجِدْهَا كَانَتْ كَالسَّرَابِ تَتَبَخَّرُ بِمُجَرَّدِ لَمْسِهَا فِي إِحْدَاهُنَّ

صِرْتُ شَارِدَ التَّفَاصِيلِ أَجُوبُ شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ بَاحِثًا عَنْ شَيْءٍ أَجْهَلُهُ أَهْرَبُ مِنْ شَيْءٍ أَعْلَمُهُ ،فِي الْحَقِيقَةِ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي أَبْحَثُ عَنْهَا فِي كُلِّ خُطْوَةٍ أَخْطُوهَا وَ كُنْتُ أَعْلَمُ أَيْضًا أَنِّي أَجْهَلُ حَقِيقَةَ رَغْبَتِي فِي الْهُرُوبِ مِنْ نَفْسِي، كُنْتُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ أَشْعُرُ بِشُعُورٍ مُمَاثِلٍ بِرَغْبَتِي الْمُلِحَّةِ فِي الْهُرُوبِ مِنْ الْأَشْخَاصِ مِنَ الْكَلَامِ

أَقْتَرِبُ أَكْثَرَ مِنْ ذَاتِي ابْتَعَدَ عَنْ كُلِّ مَكَانٍ يَحْمِلُ هَيْئَةَ بَشَرٍ كُنْتُ أَفْعَلُ ذَلِكَ دَوْمًا لَكِنْ أَتَعْلَمُ شَيْئًا، تَيَقَّنْتُ مُؤَخَّرًا أَنَّ الشَّيْءَ الْوَحِيدَ الَّذِي كُنْتُ أُرِيدُ الْهَرَبَ مِنْهُ هُوَ نَفْسِي الشَّيْءُ الْوَحِيدُ الَّذِي كُنْتُ أُرِيدُ اسْتِئْصَالَهُ مِنِّي هُوَ الذِّكْرَيَاتُ

لَكِنْ بِنَفْسِ الرَّغْبَةِ الْمُلِحَّةِ فِي مَحْوِ كُلِّ مَا مَضَى بِنَفْسِ حَجْمِ الرَّغْبَةِ فِي مَحْوِ الْمَاضِي لَدَي التَّشَبُّثُ بِهِ هُوَ مَنْ صَنَعَنِي لِحَدِّ هَذِهِ الْخُطْوَةِ بِالرَّغْمِ مِنْ

أَنِّي لَمْ أَعُدْ كَمَا كُنْتُ صِرْتُ شَاحِبًا أَكْثَرَ

شَارِدًا أَكْثَرَ حَزِينًا أَكْثَرَ مِمَّا كُنْتُ لَكِن هَذَا هُوَ أَنَا وَ لَا هُرُوبَ مِنْ الْوَاقِعِ ،أَبْحَثُ عَنْ الْحَقِيقَةِ الشَّيْءَ الْوَحِيدَ الَّذِي أَبْحَثُ عَنْهُ فِي هَذَا الْعَالَمِ هُوَ الْحَقِيقَةُ فَقَط،

لَكِنِّي أَدْرَكْتُ مُؤَخَّرًا أَنَّهُ لَا وُجُودَ لِحَقِيقَةٍ ثَابِتَةٍ كُلِّيَّةٍ هُنَاكَ مَجْمُوعَةٌ مُجَزَّأَةٌ مِنْ الْحَقَائِقِ نَسْتَطْعِمُهَا مَعَ كُلِّ خُطْوَةٍ لَنَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ فِي التَّوْقِيتِ الْمُنَاسِبِ مَعَ الْأَشْخَاصِ الْمُنَاسِبِينَ تَمَامًا بِدُونِ صُدْفَةٍ كُلَّ شَيْءٍ مُخَطَّطٍ لَهُ سَابِقًا

بِقُدْرَةٍ عَظِيمَةٍ لَنْ تَصِلَ عُقُولُنَا لِاسْتِيعَابِهَا لِأَنَّنَا لَمْ نَخْلُقْ لِاسْتِيعَابِهَا

فَقَطْ بِهَذِهِ السُّهُولَةِ... أَتَعْلَمُ مَا قَرَّرْتُهُ سَأَبْحَثُ عَنْ سَلْمَى مَهْمَا كَلَّفَنِي الْأَمْرَ سَأُحَاوِلُ، أيُّ حُبٍّ بَائِسٍ هَذَا يَجْعَلُنِي لَا أخْطُو خُطْوَةً نَحْوَهَا إنْ لَمْ أفْعَلْ شَيْئا لأُرِيَهَا أَنِّي لَا أُرِيدُ خَسَارَتَهَا فَذَلِكَ يَعْنِي أَنِّي لَمْ أُحِبَّهَا أَبَدًا قَرَّرْتُ أَنْ أَبْحَثَ عَنْهَا فِي الصَّحْرَاءِ لَا أَعْلَمُ فِي أَيِّ اتِّجَاهٍ هِيَ ، لَمْ تَرْضَى أُمْنِيَّةٌ اطِّلَاعِي عَلَى مَكَانِ وُجُودِهَا هِيَ تَعْلَمُ أَيْنَ هِيَ، أَنَا بِالْفِعْلِ الآنَ أوَضِّبُ حَقِيبَتِي لَا أَعْلَمُ أَيْنَ وُجْهَتِي لَكِن مَا أَعْلَمُهُ أَنِّي أُرِيدُ بِشِدَّةٍ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ، لَا يُهِمُّنِي فِعْلِيًّا مَا قَدْ أَفْعَلُهُ بِقَدْرِ مَا يُهِمُّنِي أَنَّهُ سَيَكُونُ اتِّصَالٌ فِعْلِيٌّ بَيْنَنَا

أُرِيدُ أن أَشْعُرَ بِوُجُودِهَا فِي حَيَاتِي بَأي طَرِيقَةٍ، كَانَت السَّاعَةَ الثَّانِيَةَ فَجْرًا حَمَلْتُ حَقِيبَتِي مَشِيْتُ بِخُطُوَاتٍ خَفِيفَةٍ ، نَهْلَاءُ نَائِمَةٍ مَرَرْتُ عَلَى غُرْفَتِهَا تَقَدَّمْتُ بِخُطُوَاتٍ كَمُتَسَوّلٍ تَمَامًا أَخَافُ إصْدَارَ صَوْتٍ يُوقِظهَا تَبْدُو جَمِيلَةً وَهَادِئَةً حَزِينَةً وَ بَرِيئَةً فِي آنٍ وَاحِدٍ، تَرْتَدِي فُسْتَانًا قَصِيرًا أَزْرَقَ اللَّوْنِ مِنْ السَّاتَانِ أَعْلَى رُكْبَتَيْهَا مَرْفُوعا بِخَيْطَيْنِ رَقِيقَيْنِ يَبْرِزَانِ عَظَمَتَا عُنُقَهَا وَ هِيَ تَتَنَفَّسُ بِحَرَكَةٍ بَطِيئَةٍ هَادِئَةٍ تَبْدُو فِيهِ بَالِغَةَ الْأُنُوثَةِ مَعَ سُمْرَتِهَا الْمُلْفِتَةِ

نَحِيفَةً هِيَ تَحْمِلُ أُنُوثَةً فِي تَفَاصِيلِهَا تَسْتَدِيرُ عَلَى الْجِهَةِ الْيُمْنَى بِوَضْعِيَّةٍ أَشْبَهَ بِوَضْعِيَّةِ الْجَنِينِ ويَنْسَدِلُ شَعْرُهَا الْأَسْوَدُ الْمُمَوّجُ الْكَثِيفُ عَلَى ذِرَاعَيْهَا

بِطَرِيقَةٍ عَشْوَائِيَّةٍ تَأَمَّلْتُهَا مُطَوَّلًا ثُمَّ خَرَجْتُ مِنَ الْغُرْفَةِ ثُمَّ مِنْ بَابِ الْمَنْزِلِ وُصُولًا لِآخِرَ دَرَجَ فِي الْعِمَارَةِ ،اسْتَقَلَّيْتُ سَيَّارَةَ أُجْرَةٍ أَغْمَضْتُ عَيْنَايَ بِشَكْلٍ بَطِيءٍ حَتَّى غَطَطْتُ فِي نَوْمٍ عَمِيقِ الْمَنْظَرِ الْأَخِيرِ الَّذِي فُتِحَت عَيْنَيْهِ عَلَيْهِ هِيَ فَتَاةٌ شَابَّةٌ بَسِيطَةُ الْمَلَامِحِ بَيْضَاءُ الْبَشَرَةِ خَضْرَاءُ الْعَيْنَيْنِ تَرَانِي بِنَظْرَةٍ مُرِيبَةٍ لَمْ افْهَم مَاهِيَّتَهَا وَذَلِكَ عِنْدَمَا تَقَدَّمْتُ مِنَ السَّائِقِ لِأَسْأَلَهُ عَنِ الْوُجْهَةِ

ثُمَّ قَالَ لِي نُكْتَةٌ سَخِيفَةٌ وَ ضَحِكْنَا عَلَيْهَا سَوِيًّا، لَمْ أَفْهَمْ مَا الَّذِي خَطَرَ بِبَالِ الْفَتَاةِ لَمْ يَكُنْ بِتَفْكِيرٍ جَيِّدٍ عَلَى كُلِّ حَالٍ، تَبْدُو خَائِفَةً لِلْغَايَةِ وَ مُرْتَبِكَةٍ

فَهِمْتُ بِالْفِعْلِ مَا الَّذِي يَدُورُ فِي هَذَا الْمَكَانِ الْمُغْلَقِ السَّائِقُ بِالْفِعْلِ يُرَاقِبُهَا بِنَظَرَاتٍ شَيْطَانِيَّةٍ يَمْلِكُ لِحْيَةً بَارِزَةً وَتَفَاصِيلَ مُقَزِّزَةً، فَتَحَتِ الْفَتَاةُ بَابَ سَيَّارَةِ الْأُجْرَةِ وَرَمَتْ نَفْسَهَا عَلَى الطَّرِيقِ فَزِعْتُ فَجْأَةً تَوَقَّفَتِ السَّيَّارَةُ اسْتَدَرْتُ وَرَائِي فَوَجَدْتُ أَنَّهَا نَسَتْ حَقِيبَتَهَا صَفْرَاءَ اللَّوْنِ حَمَلْتُ الْحَقِيبَةَ وَرَكَضْتُ خَلْفَهَا لَكِنِّي فَقَدْتُهَا فِي الظَّلَامِ فَعُدْتُ أَدْرَاجِي

تَشَاجَرْتُ مَعَ السَّائِقِ لِأَنِّي عَلِمْتُ بِالْفِعْلِ مَا كَانَ يَنْوِي فِعْلَهُ مَعَ الْمِسْكِينَةِ لَوْلَا هُرُوبُهَا السَّرِيعُ وَ عَلَقَت الْفِكْرَةُ فِي عَقْلِي مَا الَّذِي أَتَى بِفَتَاةٍ شَابَّةٍ مِثْلَهَا لِمَكَانٍ كَهَذَا وَلِوَحْدِهَا ثُمَّ عَلِمْتُ بِالْفِعْلِ أَنَّ الْأَمْرَ لَا يَخُصُّنِي

فَأَبْعَدْتُ تِلْكَ الْأَفْكَارُ عَنْ رَأْسِي ،فَتَحْتُ الْحَقِيبَةَ وَجَدَتْ فِيهَا مَبْلَغًا مُعْتَبَرًا مِنْ الْمَالِ أَخَذْتُهُ بِالْفِعْلِ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلِكُ الْمَالَ الْكَافِ لِمُتَابَعَةِ رِحْلَتِي أَظُنُّهُ تَدْبِيرَ الْمَوْلَى كُلَّ شَيْءٍ مُخَطَّطٍ لَهُ سَابِقًا بِالْفِعْلِ أَنَا أَسْتَمِرُّ فِي مُتَابَعَةِ الطَّرِيقِ لَا أَكْثَرُ ، بَعْدَ خُطُوَاتٍ مِنْ التَّرَجُّلِ

عَلَقَ ذَلِكَ فِي ذِهْنِي تَحَرُّكَاتِ الْأَشْخَاصِ هُنَا الْجَوُّ لَا يُشْبِهُ أَجْوَاءَ مَدِينَتِي دَائِمًا مُمْطِرَةً وَ غَائِمَةً

الْجَوُّ هُنَا مُعْتَدِلٌ رَغْمَ أَنَّنَا فِي نَفْسِ الْوَقْتِ مِنْ السَّنَةِ كَيْفَ يَكُونُ هُنَاكَ الشِّتَاءُ وَهُنَا الصَّيْفُ بِالرَّغْمِ أَنِّي لَمْ أَبْتَعِدْ سِوَى كِيلُومِتْرَاتٍ قَلِيلَةٍ

هُنَاكَ شَيْءٌ غَرِيبٌ بِالْفِعْلِ وَ مُرِيبٌ اشْعُرُ بِهِ أَنَا لَسْتُ فِي ذَاتِ الْمَكَانِ بِالْفِعْلِ أَوْقَفْتُ رَجُلًا فِي الطَّرِيقِ لِأَسْأَلَهُ لَكِنَّهُ تَجَاهَلَنِي بِالْفِعْلِ

مَا الَّذِي يَجْرِي بِحَقِّ الْجَحِيمِ الظَّلَامُ يُسَيْطِرُ عَلَى الْأَجْوَاءِ شُعُورٌ مُرِيبٌ يَعْتَلِينِي بَوْصَلَتِي فِي الْإِحْسَاسِ قَلِيلًا مَا تُخْطِئُ

جَلَسْتُ فِي حَافَّةِ الطَّرِيقِ أُرَتِّبُ أَفْكَارِي ثُمَّ فَجْأَةً أُعِيدَ فِي مُخَيِّلَتِيْ كَلَامَ أَمْنِيَّةٍ أَنَّنَا نَعِيشُ فِي مَدِينَةٍ لِلْكُتُبِ كُنْتُ أَعْلَمُ ذَلِكَ لِأَنِّي اسْتَوْلَيْتُ عَلَى النَّصّ

فَفَهِمْتُ أَنَّنِي فِي مَدِينَةٍ لِلْكُتُبِ لَكِنْ مِنْ غَيْرِ الْمَنْطِقِيِّ أَنِّي الآنَ انْتَقَلْتُ لِمَكَانٍ آخَرَ تَبًّا ...أَنَا بِالْفِعْلِ فِي كِتَابٍ آخَرٍ مَا نَوْعُهُ يَا تُرَى

عَلَيَّ أَنْ أُتَابِعَ سِيرِي لَعَلِّي أَعْلَمُ نَوْعَهُ وَ بِالْفِعْلِ الْتَقَيْتُ بِشَخْصِيَّةٍ فِي كِتَابِ مَا تِلْكَ الْفَتَاةُ الْهَارِبَةُ وَ سَائِقِ الْأُجْرَةِ

هُنَاكَ فَهَرَسٌ فِي مُنْتَصَفِ الْمَدِينَةِ عَلَيَّ أَنْ أَجِدَهُ لِأَعْلَمَ فِي أيِّ كِتَابٍ أَغُوصُ قَبْلَ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا أُنْدَمُ عَلَيْهِ فِيمَا بَعْدُ لِأَنِّي لَن أَتَعَامَلَ مَعَ أَشْخَاصٍ مِثْلِي كُتَّابُ هَذِهِ الْكُتُبِ هُمْ مِنَ الْبَشَرِ وَ أَنَا لَا أَعْلَمُ طِبَاعَهُمْ يَسْتَطِيعُونَ قَتْلِي بِكُلِّ سُهُولَةٍ ذَاكَ مَا لَمَّحَت لَهُ أُمْنِيَّةٌ لِذَا عَلَيَّ أَنْ أَعْرِفَ، طَالَت الطَّرِيقَ كَثِيرًا لِحِينِ وُصُولِي لِلْقَبْوِ هُوَ قَبْوٌ ذُو أَدْرَاجٍ مُتَّجِهَةٌ لِلْأَسْفَلِ نَزَلْتُ بِبُطْيءٍ وَ فِي كُلِّ دَرَجٍ أَنْزَلَهُ أَعْطَس كَادَت رُوحِي تُقْلَعُ لَدَيَّ حَسَاسِيَةٌ مِنْ الْغُبَارِ،شَعَرْتُ بِعَدَمِ الْأَمَانِ أَنَا لَسْتُ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَنْتَمِي لَهُ الآن لَا أَشْعُرُ بِالْأَمَانِ لَسْتُ فِي دِيَارِي

قَد أَلْقَى حَتْفِي فِي أيِّ دَقِيقَةٍ، نَزَلْتُ لِلْأَسْفَلِ وَجَدْتُ فَتَاةً تَرْتَدِي الْأَسْوَدَ بِالْكَامِلِ تَسْتَدِيرُ بِظَهْرِهَا شَعْرَهَا أَسْوَدَ طَوِيلٌ حَرِيرِي

نَحِيفَةٌ وَ تَبْدُو يَدَاهَا بَيْضَاءَ لِلْغَايَةِ لَمْ تَسْتَدِرْ نَحْوِي اسْتَمَرَّتْ فِي تَجَاهُلِهَا لِي رَغْمَ أَنِّي أَلْقَيْتُ السَّلَامَ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ ،يَبْدُو أَنَّهَا لَا تَسْمَعُنِي أَوْ هِيَ تَائِهَةٌ مِثْلِي، غَرِيبَةٌ

تَبْدُو شَخْصِيَّتُهَا وَكَأَنَّهَا هَرَبَتْ مِنْ كِتَابٍ خَيَالِيٍّ مَا ،لَنْ أَتَحَدَّثَ مَعَهَا أَكْمَلْتُ نُزُولِي لِحِينِ الْوُصُولِ لِآخِرِ دَرَجٍ

بَقِيَتُ أُسْبُوعَيْنِ فِي ذَلِكَ الْقَبْوِ وَأَنَا أَبْحَثُ عَنْ خَرِيطَةِ عَالَمِ الْكُتُبِ لِأَعْرِفَ فِي أَيِّ كِتَابٍ أَنَا ، بَحَثْتُ فِي رُكْنِ الْكُتُبِ الْبُولِيسِيَّةِ

قَرَأْتُ الْعَدِيدَ مِنْ الْكُتُبِ لِأَجِدَ شَخْصِيَّةَ الْفَتَاةِ الْهَارِبَةِ الَّتِي الْتَقَيتُ بِهَا سَتَكُونُ مِفْتَاحَ الْخَرِيطَةِ لِأَجِدَ سَلْمَى ،دَعْنِي لَا أُطِل أَكْثَرَ وَجَدْتُهَا فِي قِسْمِ الرِّوَايَاتِ بَعْدَ عَنَاءٍ طَوِيلٍ رِوَايَةٍ تَحْتَ عُنْوَانِ (لَيْتَنِي كُنْتُ أَنَا)

وَالَّتِي سَتُفِيدُنِي حَتْمًا فِي تَحْدِيدِ وُجْهَتِي عَرَفْتُ أَنِّي فِي رِوَايَةِ الآن صَعِدْتُ السَّلَالِمَ أَبْحَثُ عَنْ طَرِيقَةٍ لِلِانْتِقَالِ لِكِتَابٍ آخَرَ قَدْ أَجِدُ فِيهِ سَلْمَى، كُنْتُ أَذْهَبُ ، وَأَعُودُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ أَبْحَثُ فِي الْقَبْوِ قَرَأْتُ جُلَّ الْكُتُبِ

لَكِنِّي لَمْ أَجِدْ شَخْصِيَّةً سَلْمَى .

يَمُرُّ الْوَقْتُ سَرِيعًا كُنْتُ أَنْتَقِلُ بَيْنَ الْكُتُبِ كَسَاعِي الْبَرِيدِ أَبْلِغُ رَسَائِلَ مَحَاهَا الْقَدَرُ ، وَأُحَاوِلُ إِطْلَاعَ الْقُرَّاءِ عَلَى الْوَجْهِ الآخَرِ لِلْكُتَّابِ .

فَقَدْ تَكُونُ نَفْسُ الْكَلِمَاتِ تُقْرَأُ بِطَرِيقَةٍ مُخْتَلِفَةٍ وَبِفَهْمٍ مُخْتَلِفٍ حَسْبَ شَخْصِيَّةِ كُلِّ قَارِئٍ ، مَرَّ شَهْرٌ عَلَى وُجُودِي هُنَا ، كُنْتُ أَذْهَبُ لِدُكَّانٍ بَعِيدٍ لَم اعْلَم لِحَدِّ الآن مِنْ أيِّ كِتَابٍ هُوَ آتِيَ بِخُبْزِ الشَّعِيرِ ذَاكَ كُلُّ مَا أَسْتَطِيعُ أَكْلَهُ كَانَ مَتْجَرًا مِنَ الْحَطَبِ الْعَتِيقِ مُزَيَّنٌ بِأَزْهَارٍ يَابِسَةٍ اعْتَنَى بِهَا صَاحِبُهَا

وَدَلَّلَهَا رُبَّمَا هِيَ مِنْ حَبِيبَتِهِ لِذَلِكَ مَنَحَهَا كُلُّ ذَلِكَ الِاهْتِمَامَ وَ يَبْدُو شَخْصًا مُهْتَمًّا بِالتَّفَاصِيلِ أَيْضًا

كَانَ يَبِيعُ خُبْزَ الشَّعِيرِ مُقَابِلَ دُرَيهِمَاتٍ قَلِيلَةٍ كُنْتُ أَتَجَاذَبُ مَعَهُ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ كُلَّ صَبَاحٍ كَانَ مُبْتَسِمًا دَومًا طَيِّبًا مُفْعَمًا بِالْحِكْمَةِ شَيْخُ سَبْعِينِي حَانِي الْمَلَامِحِ ذُو لِحْيَةٍ بَيْضَاءَ رُبَّمَا نَعْتِي لَهُ أَنَّهُ بَالِغُ الْحِكْمَةِ كَوْنُهُ يَمْلِكُ لِحْيَةً بَيْضَاءَ فَقَطْ تَمَّ رَبْطُهَا دَوْمًا بِالْحِكْمَةِ وَالْوَقَارِ لَكِنَّ ذَاكَ مَا كَانَ يَبْدُو عَلَيْهِ فِعْلًا،كُنْتُ ارْتَاحَ فِي الْحَدِيثِ مَعَهُ أَخْبَرْتُهُ عَنْ سَلْمَى عَنْ التَّفَاصِيلِ الَّتِي لَمْ أَسْتَطِعْ سَرْدَهَا يَوْمًا وَ الَّتِي لَا تُحْكَى سِوَى لِغَرِيبٍ، الْغُرَبَاءُ الْمَارُّونَ فِي حَيَاتِنَا نَسْتَطِيعُ إِخْبَارَهُمْ بِأَيِّ تَفْصِيلٍ كَوْنَهُمْ لَنْ يَأْخُذُوا أَحْكَامًا عَلَيْنَا لِأَنَّهُمْ بِبَسَاطَةٍ لَا يَمْلِكُونَ مَشَاعِرَ نَاحِيَتَنَا أَوْ فَائِدَةً مَا

لَا يُهِمُّ أَمْرُكَ

فَأَنْتَ لَسْتَ مُسْتَمِرًّا فِي حَيَاتِهِمْ لَنْ تُفِيدَهُمْ بِشَيْءٍ و لَنْ تَضُرَّهُمْ أَيْضًا

.... تَغَيَّرَ شَكْلِي طَالَ شَعْرِي صِرْتُ فَتَى الْأَدْغَالِ، تَغَيَّرَتْ نَوْعِيَّةُ مَلَابِسِي صِرْتُ أَرْتَدِي السَّرَاوِيلَ الْوَاسِعَةَ الَّتِي أَهْدَاهَا لِي أَحَدُهُمْ تَعَرَّفْتُ عَلَيْهِ فِي كِتَابٍ تَارِيخِيٍّ وَكَونِي لَا أَمِيلُ لِلتَّارِيخِ مَا إِن أَخَذْتُ مَا احْتَجْتُ إِلَيْهِ، حَتَّى خَرَجْتُ مِن الرِّوَايَةِ فَلَم أَفْهَم مَا جَرَى فِعْلًا وَكَونِي أَشُكُّ فِي صِحَّةِ التَّارِيخِ دَوْمًا كَوْنَهُ يُلَوَّثُ فِي طَرِيقِهِ لِلْوُصُولِ إِلَيْنَا وَكَوْنُ الْآرَاءِ دَوْمًا مُتَضَارِبَةً نَحْوَهُ ،فَقَد اخْتَرْتُ الِابْتِعَادَ عَنْهُ ، وَقَدْ أَغَيِّرُ رأي يَوْمًا مَا ،لا قَوَانِينَ ثَابِتَةً فِعْلِيًّا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ ، مَرَّ شَهْرٌ بِالْفِعْلِ كُنْتُ أَنَامُ فِي الْقَبْوِ وَأُقَلِّبُ الْكُتُبَ ثُمَّ إِن أَعْجَبَنِي كِتَابٌ مَا نِمْتُ وَغَصْتُ فِي عُمْقِهِ فِي أَحْلَامِي لِحَدِّ دُخُولِي بَيْنَ شَخْصِيَّاتِهِ

وَالْيَوْمَ يَبْدُو أَنَّهُ يَوْمَ السَّبْتِ تَذَكَّرْتُ ذِكْرَى عَزِيزَةً عَلَى قَلْبِي ذَرَفْتُ دُمُوعًا لَيْسَتْ بِالْقَلِيلَةِ اخْتَرْتُ أَنْ أَبْتَعِدَ بِتَفْكِيرِي عَنْ سَلْمَى قَلِيلًا لِذَلِكَ قَرَّرْتُ الدُّخُولَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى (سَاكُورَا) بَدَا لِي الِاسْمُ جَذَّابًا بِطَرِيقَةٍ مَا وَعُمْقِ كَلِمَاتِهِ دَعَتْنِي لِاكْتِشَافِهِ

فَتَحْتُ عَيْنَايَ وَجَدْتُ نَفْسِي فِي مَكَانٍ غَرِيبٍ عَنِّي مَدِينَةً مُمْطِرَةً أَحْسَسْتُ بِالِانْتِمَاءِ أَخِيرًا أَحْسَسْتُ بِوَقْعِ الْمَطَرِ عَلَيَّ رَفَعْتُ رَأْسِي صَوبَ النَّافِذَةِ رَأَيْتُ امْرَأَةً جَمِيلَةً صَهْبَاءَ زَرْقَاءَ الْعَيْنَيْنِ رُمُوشُهَا مُوَزَّعَةً بِعِنَايَةٍ وَشَعْرُهَا مُنْسَدِلٌ عَلَى فُسْتَانِهَا الْأَزْرَقِ السَّمَاوِيّ بِطَرِيقَةٍ حَالِمَةٍ تُطِلُّ مِن النَّافِذَةِ تُرَاقِبُ الْفَرَاغَ ،تَبْدُو حَائِرَةً تَبْدُو بِطَرِيقَةٍ أَوْ بِأُخْرَى تَائِهَةٍ تَأَمَّلْتُهَا قَلِيلًا ثُمَّ أَيْقَنَتْ أَنَّهَا بَطَلَةُ الرِّوَايَةِ، ذَلِكَ كُونِي بَطَلَ رِوَايَتِي الْأَصْلِيَّةُ يَجْعَلُنِي مُفَضَّلًا عَلَى الشَّخْصِيَّاتِ الثَّانَوِيَّةِ الْأُخْرَى فَالْأَشْخَاصُ الَّذِينَ أَلْتَقِي بِهِمْ سَيَكُونُونَ بِذَاتِ الْمَرْتَبَةِ مِنْ الْأَهَمِّيَّةِ تِلْكَ مِنْ قَانُونِ عَالَمِ الْكُتُبِ الَّتِي لَمْ أَفْهَمُهَا والَّتِي قَرَأْتُهَا فِي كِتَابٍ عَشْوَائِيٍّ مَا أَثْنَاءَ رِحْلَةِ بَحْثِي، تَجَوَّلْتُ فِي شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ تَرَجَّلْتُ قَلِيلًا وَأَنَا مُسْتَمْتِعٌ بِتِلْكَ الْأَجْوَاءِ الْمُمْطِرَةِ إِلَى أَنْ وَجَدَتْ حَدَثًا مَا يُقَامُ فِي دَارِ الثَّقَافَةِ وَ كُونِي كَاتِبٌ أَنَا الآخَرُ فَأَكْثَرُ مَا يُثِيرُ شَغَفِي هُوَ الْحَدِيثُ عَنِ الْكُتُبِ وَخَاصَّةً فِي أُمْسِيَّاتٍ مُمْطِرَةٍ كَهَذِهِ دَخَلْتُ الْقَاعَةَ وَجَدَتْ حَشْدًا لَيْسَ بِالْقَلِيلِ وَرَجُلا يَبْدُو أَنَّهُ هُوَ الْكَاتِبُ لَيْسَ ذَكَاءً مِنِّي كُوْنِي عَرَفْتُ ذَلِكَ ، فَذَلِكَ وَاضِحٌ كَوْنُهُ يَحْمِلُ الْكِتَابَ وَيُلْقِي خِطَابَ مَا وَاثِقًا بِغَطْرَسَةٍ يُجِيدُ تَمْثِيلَهَا كُلَّ كَاتِبٍ يَعْتَلِي الْخَشَبَةَ حَتَّى مِنْ دُونِ مُحَاوَلَةٍ مِنْهُ لِذَلِكَ لَكِنَّهُ تَبْدُو كَسْرَةً فِي عَيْنَيْهِ جَهِلْتُ مَصْدَرَهَا كَانَ يَقُولُ:

_تَتَذَكَّرُونَ الْمَرْأَةَ الَّتِي كَانَتْ تَأْتِي مَعِي دُومًا وَ الَّتِي ظَنَنْتُمْ جَمِيعًا أَنَّهَا مُعْجَبَتِي تِلْكَ زَوْجَتِي ورَفِيقَةُ دَرْبِي

عَلَقَ ذَلِكَ فِي ذِهْنِي أَيُّ رَجُلٍ أَحْمَقَ هَذَا الَّذِي يَخَافُ الظُّهُورَ مَعَ زَوْجَتِهِ رُبَّمَا كَوْنُهُ خَائِفٌ مِنْ أَنْ يُعْجَبَ بِهَا أَحَدُهُمْ وَ يَخْطِفَهَا مِنْ يَدَيْهِ وَ لَكِنَّ ذَلِكَ احْتِمَالٌ ضَئِيلٌ فَاعْتِرَافُهُ بِوُجُودِهَا الْفِعْلِيّ سَيُبْعِدُ أَيَّ عَيْنٍ مُتَرَقِّبَةٍ لَهَا

لَكِن مَا كَانَ إيجَابِيًّا فِي الْأَمْرِ أَنَّهُ اعْتَرَفَ بِذَلِكَ، تَبِعْتُهُ بِالْفِعْلِ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْ الْقَاعَةِ وَهُوَ يَحْمِلُ حَقِيبَتَهُ الْجِلْدِيَّةَ الْمُمَيَّزَةَ وَ يَمْشِي بِخُطُوَاتٍ سَرِيعَةٍ

كُنْتُ فُضُولِيًّا يَوْمَهَا وَأَرَدْتُ مَعْرِفَةَ مَا يَدُورُ فِي الْأَرْجَاءِ وَالْخَوَاطِرِ لَيْسَ بِفِعْلِ الْفُضُولِ الْفِعْلِيّ لَكِن لَيْسَ لَدَيَّ شَيْءٌ أَفْعَلُهُ وَعَلَيَّ أَنْ أُبْعِدَ التَّفْكِيرَ عَنْ سَلْمَى لِأَنّي إِنْ لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ سَيُصِيبُ عَقْلِي خَلَلٌ مَا وَأُصْبِحُ مَرِيضًا نَفْسِيًّا يَصْعُبُ شِفَائُهُ ،تَبِعْتُهُ وَصَعِدْتُ السَّلَالِمُ بَعْدَهُ لَم يَنْتَبِه كَوْنِي وَرَائِهِ كَانَ شَارِدًا وَسَرِيعًا لِلْغَايَةِ وَكَأَنَّهُ يَلْحَقُ آخِرَ قِطَارٍ قَبْلَ أَن يَذْهَبَ وَيَتْرُكُهُ لِلْبَرْدِ وَالْجُوعِ وَالْحَنِينِ دَخَلَ لِلْمَنْزِلِ وَأَغْلَقَ الْبَابَ سَمِعْتُ الْحِوَارَ الَّذِي دَارَ بِالْفِعْلِ وَوَجَدْتُ أَنَّ نَفْسَ الْمَرْأَةِ الصَّهْبَاءِ الَّتِي رَأَيْتُهَا قَبْلَ قَلِيلٍ هِيَ زَوْجَتُهُ وَتَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُطَلِّقَهَا سَمِعْتُ صُرَاخَهُ وَرَفْضَهُ التَّامَّ لِذَلِكَ وَأَيْقَنْتُ بِالْفِعْلِ أَنَّهُ(إِنْ دَامَ الشَّيْءُ فِي يَدِنَا فَإِنَّنَا نَفْقِدُ الْإِحْسَاسَ بِهِ) قَرَأْتُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ (مُصْطَفَى مَحْمُودٍ) خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ الْمَنْزِلِ حَزِينًا مُكَهْرَبَ الْحَرَكَاتِ وَ سَمِعْتُ تَلَفُّظُهُ بِكَوْنِهِ قَدْ كَتَبَ الْبَيْتَ بِاسْمِهَا لِأَنَّهُ يُخَافُ عَلَيْهَا ، أَلَا يَعْنِي خَوْفَكَ عَلَى أَحَدِهِم أَنَّكَ تُحِبُّهُ، لَا أَعْلَمُ لَا افْهَمُ ذَاكَ الْمُصْطَلَحَ الْمَدْعُوَّ حُبًّا ،لَكِنْ مَا أَنَا مُتَيَقِّنٌ مِنْهُ تَمَامًا أَنَّ شُعُورِي نَحْوَ سَلْمَى لَنْ يَكُونَ سِوَى حُبًّا فَمَا الَّذِي سَيَجْعَلُنِي أَقْطَعُ كُلَّ هَذِهِ الْمَسَافَةِ لِلْبَحْثِ عَنْهَا ، كَانَ عَلَيَّ فِعْلُ شَيْءٍ مَا لَمْ أَعْلَمُ دَقِيقَتَهَا مَا هُوَ لَكِنّي عِفْتُ مَا خَطَرَ عَلَى بَالِي انْتَظَرْتُ خُرُوجَ الْفَتَاةِ مِنَ الْمَنْزِلِ بَعْدَ أيَّامٍ مِنْ مُرَاقَبَتِهَا وَتَتَبُّعِ تَحَرُّكَاتِهِ وَكَانَتْ الْفُرْصَةُ سَانِحَةً حِينَ خُرُوجِهَا مِنْ الْمَنْزِلِ صَبِيحَةَ الاثْنَيْنِ الْفارِطِ، لَكِنَّهَا فِعْلًا رَائِعَةُ الْجَمَالِ أَيُّ رَجُلٍ أَبَلَهٍ لَا يَنْتَبِهُ لِتَفَاصِيلَ كَتِلْكَ كَانَت تَرْتَدِي مِعْطِفًا صُوفِيًّا أَحْمَرَ اللَّوْنِ يُضِيفُ عَلَى لَوْنِ بَشَرَتِهَا الْأَبْيَضِ تَنَاسُقٌ عَجِيبٌ تَسْدِلُ شَعْرَهَا الذَّهَبِيَّ الْمُمَوَّجَ عَلَيْهِ كَانَتْ بِالْفِعْلِ آيَةً فِي الْجَمَالِ عَلَى كُلِّ حَالٍ صَعَدْتُ لِلْمَنْزِلِ حَاوَلْتُ

فَتْحَ الْبَابِ لَكِنْ لَمْ أَسْتَطِع وَلِحُسْنِ حَظِّي وَجَدْتُ النَّافِذَةَ مَفْتُوحَةً فَمَا كَانَ عَلَيَّ سِوَى أَن أَدْخُلَ مِنْ هُنَاكَ كَسَارِقٍ تَمَامًا أَرَدْتُ جَمْعَهُمَا ،عَلَى الْأَقَلِّ لِأَفْعَلَ شَيْئًا مُفِيدًا وَاحِدًا فِي حَيَاتِي الْبَائِسَةِ الَّتِي لَمْ تَسْتَطِعْ أُمْنِيَّةً أَنْ تَجْعَلَهَا مُنَاسَبَةً لِي مُطْلَقًا ،حَاوَلْتُ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا مَا ،دَخَلْتُ لِلْمَطْبَخِ أَكَلْتُ مَا وَجَدْتُهُ بِسُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ ثُمَّ تَوَجَّهْتُ لِغُرْفَةِ الْمَكْتَبِ ،مَكْتَبٌ لَطَالَمَا تَمَنَّيْتُ صُنْعَهُ حَطَبِي بِآلَةِ كِتَابَةٍ قَدِيمَةٍ تَفُوحُ مِنْهَا رَائِحَةُ الإِبْدَاعِ وَالْكَلِمَاتِ كُلُّ مَا اسْتَطَعْتُ فِعْلَهُ هُوَ أَن أُخْرِجَ وَرَقَةَ مَا بَعْدَ قِرَاءَتِي لِلرِّوَايَةِ الْمَوْضُوعَةِ لِأُنَبِّهَهَا لِقِرَاءَتَهَا وَضَعْتُ الْوَرَقَةَ تَحْتَ الطَّاوِلَةِ بِشَكْلٍ ظَاهِرٍ وَكَأَنَّهُ تَمَّ تَحْوِيلُهُ إِلَى هُنَاكَ بِفِعْلِ الرِّيَاحِ وَكَوْنُ النَّافِذَةِ مَفْتُوحَةً فَذَاكَ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ سَمِعْتُ خُطُوَاتٍ وَصَوْتُ فَتْحَ الْبَابِ ذَهَبْتُ مُسْرِعًا وَاخْتَبَأْتُ وَرَاءَ بَابِ الْغُرْفَةِ، دَخَلَت لِلْغُرْفَةِ نَزَعَت مِعْطَفَهَا تَلَتْهُ فُسْتَانُهَا كَانَ جِسْمُهَا مُتَنَاسِقًا وَ شَدِيدَ الْإِحْكَامِ يُظْهِرُ فِعْلِيًّا أَنَّهَا رِيَاضِيَّةٌ بِامْتِيَازٍ أَشَحْتُ نَظَرِي بَعِيدًا عَنْهَا بِصُعُوبَةٍ بَالِغَةٍ ارْتَدَت فُسْتَانَهَا الْوَرْدِيَّ فَتَحَتِ الْخِزَانَةَ الْبَيْضَاءَ وَرَتَّبَت بِهَا الْمَلَابِسَ وَأَنَا مُمْسِكٌ بِأَنْفَاسِي بِصُعُوبَةٍ كَيْ لَا تَكْتَشِفَ وُجُودِي، اسْتَغَلَّيْتُ دُخُولَهَا لِلْمَطْبَخِ وَهَرَعْتُ مُسْرِعًا لِلنَّافِذَةِ ثُمَّ هَرَبْتُ بَعِيدًا ،رَاقَبْتُهَا مِنْ بَعِيدٍ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ انْتَبَهَت بِالْفِعْلِ لِتِلْكَ الْوَرَقَةِ وَهِيَ تُنَظِّفُ الْبَيْتَ قَرَأَتْهَا ثُمَّ تَابَعَت قِرَاءَةَ الرِّوَايَةِ بَكَتْ كَثِيرًا حَمَلَتِ الْهَاتِفَ عِنْدَ الثَّالِثَةِ صَبَاحًا أَجْرَت اتِّصَالًا بِزَوْجِهَا، سَمِعْتُ مَا دَارَ مِن حَدِيثٍ وَتَيَقَّنْتُ فِعْلِيًّا أَنَّهُ بَعْدَ تِلْكَ الِاعْتِرَافَاتِ الصَّادِقَةِ سَتَكُونُ نِهَايَةُ الرِّوَايَةِ سَعِيدَةً، رُبَّمَا بِفَضْلِي خَرَجْتُ مِنْ تِلْكَ الرِّوَايَةِ تَرَكَت قِصَّتَهَا فِي قَلْبِي شُعُورًا غَرِيباً جَهِلْتُهُ وَ كَأَنِّي أَصْبَحْتُ بِهَا نَاضِجًا أَكْثَرَ حَزِينًا أَكْثَرَ، صَنَعْتُ لِقَاءًا بَيْنَ حَبِيبَيْنِ وَحَبِيبَتِي مَبْتُورَةً مِنِّي ،بَعْدَ مُدَّةٍ اكْتَشَفْتُ مَا جَرَى الْكِتَابُ لَمْ يُنْشَر بَعْدُ ،سَلْمَى قَيْدَ الطِّبَاعَةِ أَو قَيْدَ الْكِتَابَةِ لَنْ أَجِدَهَا فِي عَالَمِ الْكُتُبِ الآن لِأَنَّهَا

لَم تَرَى النُّورَ ،كَاتَبَهَا بِالْفِعْلِ لَا يَمْلِكُ ضَمِيرًا أَوْقَفَ الرِّوَايَةَ رُبَّمَا الآن يُكْمِلُ كِتَابَتُهَا، لَا أَعْلَمُ الْأَفْكَارَ تَتَخَبَّطُ فِي عَقْلِي فَقَدْتُ الْأَمَلَ فِي إِيجَادِهَا بِالْفِعْلِ عُدْتُ أَدْرَاجِي عُدْتُ لِرِوَايَتِي الْأَصْلِيَّةِ.

عُدْتُ لِنَهْلَاءَ بِخَيْبَةٍ كَبِيرَةٍ وَبِشَكْلٍ مُخْتَلِفٍ وَبِشَخْصِيَّةٍ أَكْثَرَ اخْتِلَافًا عُدْتُ بِصُعُوبَةٍ بَالِغَةٍ بِلَا مَلَابِسَ،

بِلَا شَكْلٍ مُمَيَّزٍ كَالَّذِي امْتَلَكْتُهُ يَمْلَئُنِي الْغُبَارُ بِلَا أَحْلَامٍ ، بِلَا شَغَفٍ ،حَزِينًا ضَائِعًا وَ الْأَهَمُّ مِنْ كُلِّ هَذَا بِلَا حُبِّي الْأَوَّلِ (سَلْمَى).

الْفَصْلُ السَّادِسُ

تَحْتَ ظِلَالِ الْحَنِين

لَيْسَ بِمَقْدُورِ شَيْءٍ أَوْ شَخْصٍ أَوْ أَيًّا كَانَ أَن يَجْعَلَ قَرِيبًا لِقَلْبِكَ بَعِيدًا، لَسْتُ مُعْتَادَةً عَلَى الْوَضْعِ رَغْمَ مُرُورِ سَنَتَيْنِ كَامِلَتَيْنِ تَغَيَّرَت بِهِم الْعَنَاوِينُ تَعَرَّفْتُ عَلَى أَشْخَاصٍ آخَرِينَ جَرِّبْتُ أَن أُجَارِيَ الْوَاقِعَ لَكِنَّنِي اشْتَقْتُ لَكَ بِعَدَدِ اللَّيَالِي الطِوَالِ، بِعَدَدِ انْقِبَاضِ قَلْبِي حِينَ ذَكَرَ اسْمَكَ بِعَدَدِ مَا حَمَلَتْهُ عَيْنَايَ مِنْ رَكْدِ الدُّمُوعِ اشْتَقْتُ لِتَفَاصِيلِكَ ، الْفَرَاغُ بَعْدَكَ مُدَوِّي يَحْمِلُ خَيْبَاتِي ، أَتَذَكُرُ حِينَمَا أَخْبَرْتُكَ أَنَّ الْفَرَاغَ يَحْمِلُ عَدَدًا كَبِيرًا مِنَ الْمَشَاعِرِ إِنَّهُ يَحْتَضِنُنِي وَهُنَاكَ دَومًا مَكَانٌ شَاغِرٌ يَنْتَظِرُ قُدُومَكَ تَجَرَّعْتُ مَرَارَةَ صُورَتِكَ الْأَخِيرَةِ رَشْفَةً رَشْفَةً، لَمْ أَطْوِي الصَّفْحَةَ بَلْ مَزَّقْتُهَا وَانْتَقَلْتُ، كَيْفَ أَنْتَقِلُ؟ كَيْفَ يَكُونُ الْهُرُوبُ مِنْ قَلْبِي مُمْكِنًا تَعِبْتُ، مُرْهِقَةً مِنْ الِاسْتِمْرَارِ وَرُوحِي تَتَرَجَّانِي لِأَقِفَ ، أَنْ أُجَارِيَ الْأَحْدَاثَ فَقَطْ بِنِصْفِ رُوحٍ تَفْتَقِدُ شُعُورٌ حَقِيقِيٌّ نَابِعٌ مِن دَاخِلِي، أَن أَضْحَكَ، أَن أَسْمَحَ لِرُوحِي بِالتَّحَرُّرِ، عُدْتُ لِلْأَمَاكِنِ بَعْدَكَ عُدْتُ لِلْأَمَاكِنِ الَّتِي جَمَعَتْنَا وَ لَكِن مَنْ يُعِيدُكَ؟

إِنِّي كَرُوحٍ هَائِمَةٌ فِي جَسَدٍ لَا أَعْرِفُهُ أَمْنَحُهُ مُبَارِكَةً لِشَخْصٍ لَمْ يَمْلِكْ يَوْمًا مَكَانًا فِي قَلْبِي ... أَأَتَذَكَّرُ حِينَمَا الْتَقَيْنَا فِي شَارِعِ الثَّوْرَةِ فِي أَيَّامِ الدِّرَاسَةِ نَادَيْتَنِي يَوْمَهَا اسْتَدَرْتُ نَاحِيَتَكَ بِنَظْرَةٍ ذَاتِ مَعْنًى وَ لَو شَخْصٌ مَا رَاقَبَ عَن كَثَبٍ مَا يَحْصُلُ لِفَهِمَ أَنَّ لُمْعَةَ عَيْنَايَ يَوْمَهَا لَمْ تَكُن سِوَى إِعْلَانٍ آخَرَ لِتَشَبُّثِي بِشَخْصِكَ قُلْتَ لِي:

_سَلْمَى .. مَا الَّذِي أَتَى بِكِ لِهَذَا الشَّارِعِ ،تَعْلَمِينَ أَنَّهُ مَعْزُولٌ عَنْ الْحَرَكَةِ..

أَجَبْتُكَ

_أَكْرَهُ الْفَوْضَى، أَصْوَاتُ الْبَشَرِ .. ضَجِيجُ الْأَرْوَاحِ يُخِيفُنِي ،أَرْتَاحُ فِي الشَّوَارِعِ الْفَارِغَةِ

قُلْتَ لِي:

_لَكِنَّهَا خَطِرَةٌ .. لِمَا لَمْ تَتَّصِلِي بِأَحَدٍ مِن أَهْلِكَ لِيَقِلَّكِ

أَجَبْتُكَ:

_لَيْسَ لَدَيَّ هَاتِفٌ..

فَقُلْتُ لِي:

_تَرَجَّلِي أَمَامِي .. سَأَكُونُ خَلْفَكَ لِحَدِّ وُصُولِكِ .. لَا تَخَافِي

أَجَبْتُكَ بِثِقَةٍ ظَاهِرَةٍ

_ لَكِنِي لَسْتُ خَائِفَةً .. حَسَنًا أَنْتَ أَدْرَى..

تَرَجَّلْتَ وَرَائِي يَوْمَهَا لِحِينِ وُصُولِي لِمَوْقِعِ سَكَنِنَا ، كُنْتَ دَوْمًا تَحْمِي ظَهْرِي ذَهَبْتَ وَ تَرَكْتَ الرُّوحَ هَائِمَةً بَيْنَ أَلْفِ لِمَاذَا وَ لِمَاذَا ..

أَتَذَكَّرُ أَيْضًا يَوْمَ شِجَارِكَ مَعَ خَالِدٍ ، ذَاكَ يَوْمٌ لَنْ أَنْسَاهُ أَبَدًا ،كَانَ لَابُدَّ مِن تَصْدِيقِ أَنَّ النِّهَايَاتِ السَّعِيدَةِ لَيْسَت سِوَى فِي قِصَصِ الْأَطْفَالِ حَسَنًا أَتَتَذَكَّرُ يَوْمَ أَخَذْتُ كِتَابَاتُكَ خِلْسَةً لَمْ أَعِي يَوْمَهَا كَمَّ الْمَشَاعِرَ الَّتِي مُنِحَت لِفَتَاةٍ لَا تَهْوَى الْكَلِمَاتُ صِرْتُ أُجِيدَ اللَّعِبَ بِهَا لَا عَلَيْكَ هَوَيْتُ مَا هَوَيْتُ وَ لَكِنِّي لِهَذَا الْحَدِّ وَارْتَوَيْتُ قَرَأْتُ كِتَابَاتِكَ حَرْفًا حَرْفًا يَوْمَهَا وَأَنَا مُحْتَارَةٌ فِي وَصْفِ صَاحِبَتِهَا لَكِنِّي أَرْجَعْتُهَا لَا تَخَف، فِي الصُّنْدُوقِ الْخَشَبِيّ بِجَانِبِ سَرِيرِ الْجَدَّةِ لَمْ يَكُنْ مَكَانَهَا الَّذِي أَخَذْتُهَا مِنْهُ ، لَكِنَّكَ كُنْتَ نَائِمًا يَوْمَهَا فِي غُرْفَتِكَ كَيْفَ لِي الصُّمُودُ أَمَامَ تَعَالِيمِ وَجْهِكَ أَرْجَعْتَهُ بِخَتْمٍ أَصْفَرِ اللَّوْنِ سَأَلَتْنِي الْجَدَّةُ يَوْمَهَا عَمَّا وَضَعْتُ فِي الصُّنْدُوقِ فَابْتَعَدْتُ مُرْتَجِفَةً وَأَمْسَكْتُ خِنْصَرِي بِسَبَّابَتِي بِحَرَكَةٍ كُنْتَ تَعْرِفُهَا جَيِّدًا لَوْ رَأَيْتَنِي لَعَلِمْتَ أَنِّي خَائِفَةً كَتَبْتُ ذَلِكَ فِي الصَّفْحَةِ الْعِشْرِينِ وَذَلِكَ مَا جَعَلَنِي مُتَيَقِّنَةٌ أَنَّكَ تَحْفَظُنِي كُلِّي وَكُلِّي الآخَرُ أَنْتَ...لَا عَلَيْكَ لِلْقَدْرِ رَأْيٌ آخَرُ ، آسِفَةٌ لَنْ أَكْتُبَ لَكَ غَدًا، سَلِيمٌ نَادَى رِفَاقَهُ لِحُضُورِ طَعَامِ

الْعِشَاءِ مَعَ سَهْرَةٍ لِمُبَارَاةِ كُرَةِ الْقَدَمِ عُمُومًا سَلِيمٌ يَكْرَهُ الْكُتُبَ وَلَا يُشَارِكُنِي الْحَدِيثَ عَنْهَا، سَأَنْهَمِكُ فِي الْمَطْبَخِ نَسِيتُ أَمْرًا سَتَجِدُ صَفْحَةً نَاقِصَةً 87 لَم أَسْتَطِع تَرْكَهَا لِذَلِكَ أَخَذْتُهَا ..وَعَدْتَنِي دَوْمًا أَنْ تَبْقَى أَكْمَلْتُ الْيَوْمَ وَأَحْضَرَ سَلِيمٌ هَدِيَّةً لِي ... أَتَعْلَمُ ذَلِكَ الشُّعُورَ أَن يَلْمِسَ قَلْبَكَ أَحَدُهُم وَالآخَرُ يَسْكُنُ فِيهِ، أَصْبَحَت كُلُّ اللَّيَالِي بَيْنَنَا كَحَفْلَةِ عَزَاءٍ أَحْضَرُ فِيهَا بِمَلَابِسِ عُرْسٍ .. جَرَّدَتْنِي مِن الشُّعُورِ مِن الْكَلَامِ .. أَحُبُّ هَذَا الَّذِي يَجْعَلُكَ تَنْضُجُ ،بُعْدُكَ خَلْقَ مِنّي امْرَأَةً تَحْتَضِنُ الصَّمْتَ وَ الْهُدُوءَ وَ الْكَثِيرَ مِن الْبَسَمَاتِ الْمُصْطَنَعَةِ لَم تُخْطِئِ الْجَدَّةُ أَتَعْلَمُ مَا قَالَت لِي

_سَتُزْهِرِينَ مَعَ مَنْ أَحَبَّهُ قَلْبُكَ ،غَيْرَهُ سَيَكُونُ تَعَوُّدًا أَحْمَقًا وَخَوْفًا لَا يَلِيقُ بِمَقَامِ حَيَاةٍ قَصِيرَةٍ

مِمَّا سَأَهْرُبُ يَا كَارْمِنْ مِنْكَ أَمْ مِنّي إِنَّهُ يَرَانِي الآن عَلَيَّ أَنْ أُغْلِقَكَ وَأَغْلِقَ عَيْنَايَ كَي لَا أَرَى غَيْرَكَ خِيَانَةَ الشُّعُورِ أَصْعَبَ مِنْ أَيِّ خِيَانَةٍ أُخْرَى ..تَمُرُّ الْأَيَّامُ وَ مَنْ قَالَ أَنَّ الْحَيَاةَ تَتَوَقَّفُ عِنْدَ رَحِيلِ أَحَدِهِمْ ، اسْتَيْقَظْتُ صَبَاحًا أَحْمِلُ خَيْبَاتِي مَعِي مُتَوَجِّهَةً نَحْوَ الْمِرْآةِ الْمَوْضُوعَةِ قُبَالَةَ سَرِيرِي تَأَمَّلْتُ وَجْهَ سَلِيمٍ كَانَ يَغُطُّ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ كُنْتُ أَرَى انْعِكَاسَهُ ثُمَّ تَأَمَّلْتُ مَرَّةً أُخْرَى وَجْهِي لَكِنِّي لَمْ أَرَانِي رَأَيْتُ امْرَأَةً سَرَقَهَا الزَّمَنُ لَمْ أَعُدْ أَعْرِفُنِي رَفَعْتُ يَدِي وَ مَرَّرْتُهَا عَلَى وَجْهِي بِحَرَكَةٍ بَطِيئَةٍ قَاصِدَةٍ أَنْ أُحَلِّلَ كُلَّ جُزْءٍ بِي أَيْنَ أَنْتِ يَا سَلْمَى ...

أَيْنَ أَنْتِ مِنْ كُلِّ مَا حَوْلَكَ ... كَانَتْ تَمُرُّ الْأَيَّامُ بِسُرْعَةٍ وَالْأَوْقَاتُ مُكْتَظَّةً لَمْ أَكُنْ أَعِي حَتَّى مَا يَحْدُثُ حَوْلِي مَرَّتْ سَنَتَيْنِ أَيْنَ أَنْتِ مِمَّا حَدَثَ ... أَرَى "سَلِيمَ " الآن أَفَاقَ مِن نَوْمِهِ نَهَضْتُ مُرْتَجِفَةً مِنْ مَكَانِي أَحْمِي جَسَدِي الْمُغَطَّى بِقِطْعَةِ قُمَاشٍ قَصِيرَةٍ مِنَ الْحَرِيرِ حَتَّى قَالَ مُجَامِلًا

_صَبَاحُ الْخَيْرِ أَمِيرَتِي.. تَبْدِينَ جَمِيلَةً ثُمَّ اتَّجَهَ نَحْوِي ..

لَم تَكُن كَلِمَاتُهُ و لَا لَمَسَاتُهُ تَحْمِلُ أَيَّ لَحْنٍ فِي قَلْبِي لَكِن مِن الْمُفْتَرَضِ أَنْ أَبْتَسِمَ وَأُبَادِلَهُ شُعُورًا كَاذِبًا وَهَكَذَا فَعَلْتُ نَهَضْتُ مِنْ مَكَانِي وَذَهَبْتُ لِلْمَطْبَخِ لِأُحْضِرَ الْفُطُورَ تَوَالَتِ الْأَيَّامُ عَلَى نَفْسِ الْمَوَّالِ مَوَاعِيدَ وَمَهَامَّ تُلَقَى عَلَى عَاتِقِي وَمِنْ الْمُفْتَرَضِ أَنْ تَبْدِي جَمِيلَةً فِي كُلِّ الأَوَقَاتِ فَقَدْ يَأْتِي مَخْلُوقٌ مَا لِيَرَى حُسْنَكَ وَيَمْدَحُ سَلِيمٌ نَاهِيكَ عَنِ الْمَشَاكِلِ الْعَائِلِيَّةِ الْمُفْبْرَكَةِ الَّتِي لَم أَنْتَبِه لَهَا يَوْمًا مِنْ أُمِّهِ وَأَخَوَاتِهِ..

صَبِيحَةَ الْخَمِيسِ جَلَسَتُ عِنْدَ الْأَرِيكَةِ فِي غُرْفَةِ الْمَعِيشَةِ وَ شَغَّلْتُ التِّلْفَازَ بَعْدَ أَنْ ذَهَبَ سَلِيمٌ لِلْعَمَلِ كَانَ الْجَوُّ مُمْطِرًا ،كُنْتَ تُحِبُّ الْأَجْوَاءَ الْمُمْطِرَةَ الآن ابْتَعَدْتُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يَخُصُّكَ لَكِنَّكَ مَا زِلْتَ دَاخِلِي أَتَذَكَّرُكَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ حَتَّى مِنْ دُونِ رَغْبَةٍ مِنِّي، لَم تُحَاوِل ذَاكَ أَكْثَرَ مَا أَرْهَقَ رُوحِي لَمْ تُحَاوِل الْبَحْثَ عَنِّي أَوْ تَخْلِيصِي مِنْ وَاقِعِي كُنْتُ أَنْتَظِرُكَ دَوْمًا لِتَرْجِعَ لِتُحَاوِلَ عَلَى الْأَقَلِّ لَكِنَّكَ لَم تَفْعَل

فِي صَبِيحَةِ الْخَمِيسِ كَالْيَوْمِ فِي يَوْمٍ مُمْطِرٍ كَالْيَوْمِ أَيْضًا بِجَانِبِ سُورِ مَنْزِلِ عَمَّتِي كُنْتُ صَبِيَّةً بَرِيئَةَ الْمَلَامِحِ لَمْ يَمْلَأنِي رُكَامُ الْأَلَمِ بَعْدُ، كَانَتْ زَخَّاتُ مَطَرٍ خَفِيفَةً فَوْقَ شَعْرِي الْمُبَلَّلِ أَتَتَذَكَّرُ مَا أَخْبَرْتُكَ يَوْمَهَا

_كَارْمِن لَا أَحْلُمُ بِحَيَاةٍ اعْتِيَادِيَّةٍ أَن أَطْبُخَ وَ أَرْعَى الْأَوْلَادَ .. كُلُّ مَا أَرَاهُ فِي رُوحِي أَنَّهَا تَسْتَطِيعُ التَّحْلِيقَ تَرْسُمُ الْبَهْجَةَ فِي الطُّرُقَاتِ وَ تَتَغَنَّى حَتَّى بِالدُّمُوعِ لَا أُرِيدُ حَيَاةً تُنْسِينِي مَن أَنَا وَتَهْرِمُ قَلْبِي أُرِيدُ أَن أَبْقَى صَبِيَّةً أَنْ أَضْحَكَ وَأَلْهُو أَنْ لَا تَخْجَلَ حِينَمَا تَصْرُخُ مَعِي عِنْدَ الثَّالِثَةِ صَبَاحًا وتَرْكُضَ بِجَانِبِي أَنْ تَكُن رُوحُكَ حُرَّةً مَعِي أَن تَبْكِيَ حَدَّ الضَّحِكِ وَتَضْحَكَ حَدَّ الْبُكَاءِ لَا أَحْتَاجُ رُفْقَةَ إِلْزَامٍ بَل رُفْقَةَ رُوحٍ، أَن نَهْرِمَ سَوِيًّا ونَحْنُ نَضْحَكُ عَلَى آخَرِ سِنٍّ بَقِيَ يُجَمِّلُ الِابْتِسَامَةَ حَيَاةً كَتِلْكَ سَتَقْتُلُنِي حَيَّةً يَا كَارْمِنُ

أَتَتَذَكَّرُ مَا قُلْتُهُ لِي:

_لَا عَلَيْكِ يَا سَلْمَى سَأُبْقِيكِ صَبِيَّةً مَاذَا الآن صِرْتُ أَحْتَضِنُ ذِكْرَيَاتَكَ بِالْوَرِقِ.

الْفَصْلُ السَّابِعُ

رَسَائِلُ أَمْنِيَّة

مِنْ أَمْنِيَّة إِلَى كَارْمِن:

10سِبْتَمْبِرَ2020

أَصْبَحَ كُلُ شَيْءٍ مُرَتَّبًا فِي حَيَاتِي لَكِنِي مَن تَبَعْثَرْتُ

مِنْ أَمْنِيَّةٍ إِلَى كَارْمِن:

31أُكْتُوبَرَ2020

أَحْيَانًا عِنْدَمَا نَتْعَبُ نَكُونُ بِحَاجَةٍ لِأَن نَسْمَعَ لَيْسَ بِغَرَضِ النَّصِيحَةِ أَو الشَّفَقَةِ لَيْسَ بِأَيِّ غَرَضٍ كَانَ فَقَط أن نَشْعُرَ أَنَّ صَوْتَنَا لَا يَتَوَقَّفُ عِنْدَ حَنَاجِرِنَا ،أَنَّنَا نُرَى،أَنَّ الْكَلِمَاتَ لَن تَتَرَاكَمَ فِي حَنَاجِرِنَا لِلْحَدِّ الَّذِي تَخْنُقَنَا بِهَا يَوْمًا...

مِنْ أَمْنِيَّةٍ إِلَى كَارْمِن:

30أُكْتُوبَرَ2020

أَشْعُرُ بِوَحْدَةٍ بِحَجْمِ الْجَحِيمِ...

مِنْ أَمْنِيَّةٍ إِلَى كَارْمِن

12جُوَانْ2020

مَا عُدْتُ أَفْهَمُ مُجْرِيَاتِ الْأَحْدَاثِ خُذْ عَنِّي أَوْرَاقِي، رَتِّبْهَا بَدَلًا مِنِّي لَدَيَّ خَلْطٌ فِي الْمَفَاهِيمِ لَمْ أَعُد أَفْهَمُ أَقْرَبُهُمْ مِنِّي مَن أَبْعَدَهُم قُلْ لِهَذَا الْقَارِئِ أَن لَا يَعْبَثَ بِنُصُوصِي بِتَفْكِيرِهِ أَنَا حَتَّى لَا أَسْتَطِيعُ تَرْتِيبَهَا لَا أَسْتَطِيعُ تَرْتِيبَ خَرَابِ رُوحِي، سَيِّئَةً كَشَيْطَانٍ وَأَحْيَانًا أَحْمِلُ أَرْوَاحَ الْمَلَائِكَةِ ،أَحْيَانًا أَغُوصُ فِي عُمْقِ خَوْفِي وَأَحْيَانًا أَطِيرُ

حُرَّةً،أَحْيَانًا أُخْرَى يُكَبِّلُنِي الْيَأْسُ وَتَقْتُلُنِي الْوَحْدَةُ دَاخِلِي، أَجِدُنِي أَتَغَيَّرُ كَثِيرًا يَا كَارْمِن كُلَّ يَوْمٍ، مَرَّت سَنَتَيْنِ لَمْ أُعُد نَفْسَ الْفَتَاةِ لَم أَعُد أَمْنِيَّةٌ تِلْكَ الْمَرِحَةِ الَّتِي تَحْمِلُ طَاقَةً نُورَانِيَّةً تَضَعُهَا فِي قَلْبِ كُلِّ مَنْ تَلْتَقِي دَفَعْتُ ثَمَنَ نُضْجِي فِي بَهْوَتِي وَانْقِطَاعِ رُوحِي الطُّفُولِيَّةِ دَاخِلِي، دَفَعْتُ ثَمَنَ نُضْجِي يَا كَارْمِن فِي تَحَوُّلِي التَّامّ مِن أَنَا لِأَنَا أُخْرَى أَخَافُ أَن أَلْتَقِيَنِي يَوْمًا بَعْدَ أَن يَمُرَّ عُمَرٌ طَوِيلٌ وَلَا أَعْرِفُنِي فَأَقُولُ _أَهْلًا يَا أَقْرَبُ غَرِيبٌ

مِنْ أُمْنِيَّةٍ إِلَى كَارْمِن :

12جُوَان2020

أَرْغَبُ فِي الِاخْتِفَاءِ بَعِيدًا ، أَرْغَبُ فِي أن أَسْمَعَ فِي أَنْ أَذْهَبَ فِي أُمْسِيَّةٍ مُمْطِرَةٍ وَيَحْتَضِنَنِي أَحَدُهُمْ أَن لَا يَقُومَ بِسُؤَالِي عَنْ شَيْءٍ فِي أَن يَتَوَقَّفَ الْكَوْنُ وَالسَّاعَاتُ عَنِ المُضِي أن أشْعُرَ أنّي أسْتَحِقُّ لَا أَكْثَرَ، أَن أَفْهَمَ فَقَط تُرَى أَيُّ شَخْصٍ فِي هَذَا الْكَوْنِ الْوَاسِعِ سَيَكُونُ مُنَجِدِي مِن رُوحِي لَا اعْلَم فِي بَيْتٍ مَعْزُولٍ رُبَّمَا، أَذْهَبُ إِلَيْهِ وَأَضَعُ رَاسِي عَلَى كَتِفِهِ مِن دُونِ أَنْ نَتَحَدَّثَ ، أَنْ نَتَوَاصَلَ بِالصَّمْتِ وَالشُّعُورِ الْكَثِيرِ ... أَيْنَ أَجِدُهُ أَوْ أَن أَخْتَفِيَ بَعِيدًا عَنْ أَيِّ ضَجِيجٍ فِي عُزْلَةٍ أَن أَبْتَعِدَ عَنِ الْأَوْجُهِ وَالْأَمَاكِنِ أَن أَبْقَى فِي غُرْفَةٍ مُغْلَقَةٍ وَأَعَانِقَ الْكُتُبَ أَن أَسْتَيْقِظَ صَبَاحًا وَأَسْمَعَ صَوْتِي فَقَط صَوْتُ الْأَفْكَارِ الَّتِي تُدَاهِمُنِي، تَعِبْتُ مِن الْعَيْشِ مُرْهَقَةً مِن كَوْنِي أُحَاوِلُ الِاسْتِمْرَارَ..

مِنْ أُمْنِيَّةٍ إِلَى كَارْمِن :

27سِبْتَمْبِرَ 2020

لَقَدْ كَانَ الْوَقْعُ عَنِيفًا عَلَى قَلْبِي هَذِهِ الْمَرَّةَ وَكَأَنَّهُ تَمَّ مُقَايَضَتِي عَلَى صِدْقِي تَمَّ تَعْنِيفُ شُعُورِي بِطَرِيقَةٍ هَادِئَةٍ لَسْتُ بِمَاقِتَةٍ تِلْكَ الْفَتَاةَ الَّتِي صُدِّقَت لِحِينِ اِقْتِلَاعِ جُذُورِ شُعُورِهَا عُنْوَةً، أَمْقُتُ هَذِهِ الْفَتَاةُ الَّتِي وُجِدَت بَعْدَهَا هَشَّةَ الشُّعُورِ تَخَافُ أَن تُصَدِّقَ أَنَّ هُنَاكَ صِدْقٌ فِعْلِيٌّ فِي هَذَا الْعَالَمِ الْمُلَوَّنِ بِالرَّمَادِيِّ الْعَتِيقِ لَن أَلْعَبَ دَوْرَ الضَّحِيَّةِ

لَسِتُ مِمَّنْ يُجِيدُونَ النَّحِيبَ عَلَى أَوْتَارِ أَوْجَاعِ الْآخَرِينَ لَكِن صِدْقًا مَقَتُّ شُعُورِي مَقَتُّ صِدْقَ كَلِمَاتِي وَارْتِجَافُ صَوْتِي مَقَتُّ شَهَقَاتِي الْمَكْتُومَةُ سِرًا سَأَضَعُ لَافِتَةً لِأَيِّ أَحَدٍ يَقْتَرِبُ "خَطَرٌ" اسْتَدِر وَاِذْهَبْ ، رُوحِي مُحَطَّمَةً بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ لَنْ تَأْخُذَ مِنِّي سِوَى الْهُدُوءِ الْمُدْقِعِ الْفَارِغِ الْمَلِيءِ بِالْمُجَامَلَاتِ وَ لَنْ أَحْبَلَ مِنْكَ سِوَى رَمَاداً أُخَرَ يَدْفِنَكَ أَنْتَ ..

من أُمْنِيَّةٍ إِلَى كَارْمِن:

27سِبْتَمْبِرَ2020

أَخْبَرْنِي كَيْفَ أَسْتَطِيعُ اقْتِلَاعَكَ مِنِّي تَجَذَّرْتَ دَاخِلِي بِطَرِيقَةٍ مُوجِعَةٍ يَا هَذَا كَيْفَ اسْتَطَعْتُ الْمُكُوثَ هَا هُنَا دَاخِلِي وَأَنَا بِعُمْقٍ يُشْبِهُ الْمُحِيطَاتِ أَتَجَزَّأتُ فِي كُلِّ بُقْعَةٍ قِطْعَةً حَتَّى يَصْعُبَ عَلَيَّ جَمْعُكَ وَ رَمْيُكَ بَعِيدًا بَعِيدًا كِفَايَةٌ، أَيُّ بُعْدٍ هَذَا الَّذِي يَسْتَطِيعُ بَتْرَ جُزْءٍ مِنِّي صِرْتُ أَرْبِطُ وُجُودَكَ بِالْأَمَاكِنِ بِالْأَشْخَاصِ بِالْأَصْوَاتِ بُنَيَتُكَ دَاخِلِي بِعُمْقٍ عَنِيفٍ تَآمَرَت عَلَيَّ مُخَيِّلَتِي مَعَكَ لِوَضْعِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، أَسْتَطِيعُ مُغَادَرَةَ

الْمَكَانِ وَ الْأَشْخَاصِ أَن أَمْحِي الْأَصْوَاتِ مِن عَقْلِي أَن أَهْرِبَ مِنْ كُلّ شَيْءٍ يُذَكّرُنِي بِوُجُودِكَ لَكِن أَيُّ قُدْرَةٍ هَذِهِ الَّتِي تَجْعَلُكَ تَهْرُبُ مِنْ نَفْسِكَ

مِنْ أَمْنِيَّةٍ إِلَى كَارْمِنْ

21اوْتْ2020

كَارْمِن هَرَعْتُ إِلَيْكَ مُسْرِعَةً طَالِبَةً مِنْكِ نَجْدَتِي طَالِبَةً مِنْ قَلَمِي أَن يُدْفِئَنِي فَأَنَا وَحِيدَةٌ مَكْسُورَةُ الْخَاطِرِ أُشْعِلَ شَمْعَتِي لَيْلًا وَأَتَرَنَّحُ بَيْنَ صَفَحَاتِ كُتُبٍ عَتِيقَةٍ هَرِعْتُ إِلَى الْكِتَابَةِ كَانَتْ حَاجَتِي عَارِمَةً لِكَبْحِ صَوْتٍ بَحَّتِي مِن إِيْقَاظِ النِّيَامِ، وَحِيدَةٌ لِلْغَايَةِ أَسْمَعُ صَوْتَ بَحَّةِ صَوْتِي أَسْمَعُ صَوْتَ نَجْدَةِ دَقَّاتِهِ أَسْمَعُ كُلَّ هَذَا أَسْوَءُ مَا فِي الْأَمْرِ أَنّي أُدْرِكُ مَا يَحْدُثُ دَاخِلِي أَنّي عَلَى دِرَايَةٍ تَامَّةٍ بِي أَنَّ عَقْلِي نَاضِجٌ كِفَايَةٍ لَكِنَّ قَلْبِي فَتَي لَا يَسْتَطِيعُ اسْتِجْمَاعَ نَفْسِهِ بَقِيتَ بَعِيدًا لِلْغَايَةِ بَعِيدًا بِالْقَدْرِ الَّذِي شَعَرْتَ بِهِ أَنَّ الْوِحْدَةَ تَتَمَكَّنُ مِنّي أَنَّ رُوحِي تَتَآكَلُ سَأُصْبِحُ هَيْكَلًا عَظْمِيًّا مِنْ وَرَقٍ لِتَحْضُرَ جِنَازَتِي عَلَى مَتْنِ طَائِرَةٍ وَرَقِيَّةٍ لِأَحْلَامِ فَتَاةٍ شَرْقِيَّةٍ ،أَتُرَى تِلْكَ الْفَتَاةُ يَا كَارْمِن تِلْكَ الْقَابِعَةَ دَاخِلِي تِلْكَ الْخَائِفَةِ مِنْ كُلّ شَيْءٍ تَخَافُ مِن الْعَدَمِ مِن الْوُجُودِ

فَتَاتِي الصَّغِيرَةُ أَمْنَحُهَا بَرَكَتِي لِتَحْلُمَ أَكْثَرَ لِتَدْفِنَ أَلَمَهَا بِي وَتَنْطَلِقَ لِلْحَيَاةِ أَيُعْقَلُ أَن تَسْتَنْفِذَ طَاقَتِي بِوَاسِطَتِي أَن أَقْتَلِعَكَ مِن رُوحِي وَأَنَا يَقِظَةٌ، أَنَا أَوْجَدْتُكَ يَا كَارْمِن أَنَا مَنْ رَكَّبْتُ تِلْكَ الرُّوحَ الْمُتَهَالِكَةَ دَاخِلَكَ كَيْفَ تَبْتَعِدُ عَنّي وَتَتْرُكُنِي أُصَارِعُ وِحْدَتِي، أَكْوَابُ الْقَهْوَةِ مُصْطَفَّةً بِالدَّوْرِ أَمَامِي كُتُبِي مَرْمِيَّةٌ فِي كُلّ جَنْبٍ فِي الْغُرْفَةِ مُبَعْثَرَةٌ تَمَامًا مِثْلِي إِنّي أَشْلَاءٌ مِن وَرَقٍ، بَقِيتُ مَعَكَ لَيَالٍ طِوَالٍ مُنْذُ طُفُولَتِكَ اخْتَرْتُ أَكْلَكَ

وَمَلَابِسَكَ اخْتَرْتُ مَشَاعِرَكَ كَيْفَ أُفْلِتُكَ مِنْ يَدِي كَيْفَ تَجْرُؤُ عَلَى خَلْقِ شُعُورٍ لَمْ أَوْجِدْهُ أَنَا دَاخِلُكَ أَحْبَبْتُ تَفَاصِيلَكَ فَعَلْتُ الْأَفْضَلَ مِنْ أَجْلِكَ اخْتَرْتُ أَنْ تَكُونَ الْأَفْضَلَ بِالرَّغْمِ مِنْ قَسْوَتِي عَلَى أَحْدَاثِ حَيَاتِكَ لَيْسَ عَدْلًا أَن أُتْرَكَ وَحِيدَةً مُتَجَمِّدَةً مِنَ الْبَرْدِ بَعِيدَةً عَنْ نَصِيٍّ بَعِيدَةٍ عَنْكَ

مِنْ أُمْنِيَّةٍ إِلَى كَارْمِن :

أَتَعْلَمُ يَا كَارْمِن أَنِّي لَا أَعْرِفُ الْمُسَاوَاةَ بَيْنَ الشُّعُورِ وَعَدَمِهِ أَشْعُرُ أَنَّنِي مُخْطِئَةٌ لَمْ يَكُن مِنْ الْمُفْتَرَضِ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ مَعَكَ فِي الصَّفَحَاتِ السَّابِقَةِ لَخَّصْتُ لَكَ مَا حَدَثَ مَعِي هِيَ رَسَائِلُ مُتَنَاثِرَةٌ جَمَعْتُهَا لِأُخْبِرَكَ بِهَا مَا الَّذِي حَدَثَ أَثْنَاءَ غِيَابِي ذَاكَ الْجُزْءِ الْأَصْدَقِ مِنِّي أَم عَنِ الْأَيَّامِ الرُّوتِينِيَّةِ فَلَن يُفِيدَكَ شَيْءٌ مَعْرِفَتَهَا وَلَنْ تَكُونَ قَرِيبًا كِفَايَةً لَوْ لَم أُدْلِي لَكَ عَن خَرَابِ رُوحِي، أَشْعُرُ بِمَشَاعِرٍ جَارِفَةٍ مِنْ تَأْنِيبِ الضَّمِيرِ مَاذَا عَسَايَ أَفْعَلُ لَا أَسْتَطِيعُ الْعَبَثَ فِيهِ لَكِنِّي سَأَنْزِلُ لِلنَّصِّ أَنَا بِالْفِعْلِ هُنَاكَ الْتَقَيْتُ بِسَلِيمِ الْبَارِحَةِ عَنْ طَرِيقِ أَحَدِ أَصْدِقَائِهِ تَعَرَّفْتُ عَلَيْهِ بَعْدَ طَرِيقٍ طَوِيلٍ دَعْوَتُهُ لِاحْتِسَاءِ كُوبِ قَهْوَةٍ مَعِي فِي الْمَقْهَى الْمُقَابِلِ لِمَنْزِلِ سَلْمَى، مَنْزِلُهَا بَسِيطٌ وَلَطِيفٌ مِثْلُهَا تَمَامًا يَا كَارْمِن لَازَالَت تَحْتَفِظُ بِإِسْورَتِكَ هِيَ فِي مِعْصَمِهَا دَوْمًا كَانَ يَوْمُ الْخَمِيسِ وَكَانَ الْجَوُّ مُمْطِرًا يَوْمَهَا الْتَقَيْتُ بِسَلِيمِ دَارَ بَيْنَنَا حِوَارٌ طَوِيلٌ جَعَلْتُهُ يَذْرِفُ مَا فِي جُعْبَتِهِ بِكُلِّ سُهُولَةٍ كَتَبَ التَّالِي فِي وَرَقَةٍ بَعْدَ تَنْوِيمِهِ مِغْنَاطِسِيًّا لَا تَكُن فَيْلَسُوفا بَائِسا مَعِي تِلْكَ الطَّرِيقَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي أَسْتَطِيعُ كَشْفَ الْغِطَاءِ بِهَا عَنْ شُعُورِهِ وَكَونِي خَبِيرَةً فِي نَفْسِيَّاتِ الشَّخْصِيَّاتِ الْوَهْمِيَّةِ فَتَنْوِيمُ شَخْصِيَّةٍ ثَانَوِيَّةٍ كَسَلِيمٍ لَمْ يَكُنْ بِالصَّعْبِ،

عَلَى كُلِّ كُتِبَ التَّالِي:

كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ الْمَقْصُودَ فِي نَظَرَاتِكَ فِي ابْتِسَامَاتِكَ وَتَأَمُّلَاتِكَ الْمُطَوَّلَةِ كُنْتُ أَنَا الِاسْمُ وَهُوَ الْعُنْوَانُ كُنْتِ الْحَاضِرَ لَكِنَّكِ بَقِيتِ تَقْتَاتِينَ مِنْ شَظَايَا الْمَاضِي، لَا تُخْبِرِينِي أَنِّي سَبَبُ تَوَهَانِكِ وكَسْرَةُ عَيْنَيْكِ، إِنِّي أَرَاهُ فِيكِ وَتَرَيْنَ الْعَالَمَ بِهِ هُوَ لَيْسَ لَكِ يَا سَلْمَى لَكِنَّكِ تَرَينَهُ فِي أَوْجُهِ الْمَارَّةِ وَ بَيْنَ فَوَاصِلِ الْكَلِمَاتِ فِي ضِحْكَاتِ الْأَطْفَالِ .. سَيَكُونُ سَبَبَ كَآبَةِ عَيْنَيْكَ الَّتِي حَتْمًا سَأَرَاهَا يَا سَلْمَى لِأَنِّي أُحِبُّكِ ....

مِنْ الْمُفْتَرَضِ يَا كَارْمِن أَنَّكَ الآخَرُ تَتَعَاطَفُ مَعَهُ يَتَعَذَّبُ الْمِسْكِينُ فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ يَدْرِي أَنَّ قَلْبَ زَوْجَتِهِ فِي يَدِ شَخْصٍ غَيْرِهِ لَكِنَّهُ مُدْرِكٌ أَنَّهُ حَالَمَا يُرْزَقُ بِوَلَدٍ سَتَنْسَى سَلْمَى حُبِّهَا لَن تَنْسَى فِعْلِيًّا لَكِنَّهَا سَتَمْنَحُ حُبًّا مُضَاعَفًا لِصِغَارِهَا قَدْ يَحْجُبُ الضَّوْءُ عَنْ مَاضِيهَا ،الْمَرْأَةُ تُنْسِيهَا الْأَطْفَالُ فُلَذَةَ كَبِدَهَا ...مَاذَا عَن الرَّجُلِ أَمَّا الرَّجُلُ يَا كَارْمِن فَلَن يَنْسَى حُبَّ قَلْبِهِ الصَّادِقِ لِإِحْدَاهِنَّ مَهْمَا جَرَى وكَيْفَمَا مَرَّ الزَّمَنُ...

تَرَكَتُ سَلِيْمٌ فِي الطَّاوِلَةِ غَائِبٌ عَنِ الْوَعْيِ هَرْوَلْتُ وَصَعِدْتُ السَّلَالِمَ وُصُولًا لِمَنْزِلِ سَلْمَى طَرَقْتُ الْبَابَ وَأَخْبَرْتُهَا أَنِّي مِن قِبَلِكَ، فَرِحَت بِشَكْلٍ عَجِيبٍ وَدَعْتَنِي لِشُرْبِ الْقَهْوَةِ تَغَيَّرَت سَلْمَى يَا كَارْمِنُ أَصْبَحَ شَعْرُهَا الْقَصِيرُ طَوِيلًا إِلَى أَسْفَلِ ظَهْرِهَا لَم يَعُد أَسْوَدًا كَمَا أَحْبَبَتَهُ غَيَّرَتْهُ لِلْبُنِّي وَكَأَنَّهَا تَعَمَّدَت مَحْوَ كُلِّ شَيْءٍ تُحِبُّهُ فِيهَا حَتَّى فِي تَفَاصِيلِهَا لَمْ تَعُد سَلْمَى هِيَ سَلْمَى عَلى كُلِّ حَالٍ لَوْلَا تَأَكُّدِي مِنْ أَنَّ تِلْكَ اللَّمْعَةَ فِي الْأَعْيُنِ لَم تَكُن سِوَى خَاصَّتِهَا، لَطَرَقْتُ عَلَى الْبَابِ الْمَوَالِي مِنْ بَرِيقِ الْأَطْفَالِ فِي عَيْنَيْهَا إِلَى انْطِفَاءِ شَيْخُوخَةٍ مُبَكِّرَةٍ أَذَاكَ مَا يَفْعَلُهُ الْحُبُّ بِنَا ؟أَتَعَلَمُ مَاذَا قَالَتْ لِي؟

بَدَلَ أَنْ تَقُولَ لِي:

كَانَ حُبِّي الْأَوَّلُ

قَالَت :

كَانَ خَيْبَتِي الْأُولَى

أَقْنَعْتُهَا يَوْمَهَا أَنَّكَ دَعَوْتَهَا لِلْحَفْلِ لِتَوْقِيعِ رِوَايَتِكَ تَحْتَ عُنْوَانِ ..هَوَسْ.. أَخْبَرْتُهَا عَن الْعُنْوَانِ والسَّاعَةِ وَكُلِّ التَّفَاصِيلِ، قَالَت أَنَّهَا تَشُكُ أَنَّهَا بِحَمْلِهَا بِمَوْلُودِهَا الْأَوَّلِ وَأَنَّهَا سَتَزُورُ الطَّبِيبَ لِتَرَى الفُحُوصَاتِ...

فِي الْحَقِيقَةِ تَسَاءَلْتُ عَمَّا جَرَى لَكَ سَأَلَتْنِي عَنْ مَلَامِحِكَ وَ عَنْ تَفَاصِيلِكَ سَأَلَتْنِي الْكَثِيرَ وَكَأَنَّهَا تَشَبَّثَت بِأَمَلِ وُجُودِكَ الْفِعْلِيِّ بِي، خِفْتُ أَن أُخْبِرَهَا أَنِّي الْأُخْرَى أُرِيدُ رُؤْيَتَكَ لَكِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ لَيْسَ بِفِعْلِ الِاسْتِطَاعَةِ الْفِعْلِيِّ لَكِنِّي لَا أُرِيدُ الظُّهُورَ لِلْأَعْيُنِ مَرَّةً أُخْرَى فَلَدَيَّ عَالَمِي بِالْفِعْلِ لَا أُحَبِّذُ كُونِي شَخْصِيَّةً فِي كِتَابٍ مُغْلَقٍ

أَنَا فِعْلًا شَخْصِيَّةً مَا فِي حَيَاتِي الْوَاقِعِيَّةِ لَا أَدْرِي إن كَانَت ثَانَوِيَّةً أَوْ رَئِيسِيَّةً لَكِنِّي أُؤَدِّي دَوْرًا مَا، أَظُنُّ أَنَّنِي الآن فَعَلْتُ مَا عَلَيَّ فِعْلُهُ بِالْفِعْلِ لَن أَعُودَ مَرَّةً أُخْرَى دُمْتَ سَالِمًا، كَارْمِن...

الْفَصْلُ الثَّامِنُ

لِلْقَدْرِ رَأْيٌ آخَرُ

الْيَوْمَ هُوَ أَعْظَمُ يَوْمٍ فِي مَسِيرَتِي حَشْدٌ كَبِيرٌ بِالْخَارِجِ بَحَثْتُ عَنْهَا فِي كُلِّ الْوُجُوهِ، نَهْلَاءُ بِجَانِبِي هِيَ دَومًا كَذَلِكَ، الْحِوَارُ الَّذِي دَارَ بَيْنَنَا جَعَلَنِي أَنْتَبِهُ لِحَقِيقَةِ أَنِّي لَزِلْتُ عَالِقًا فِي ذِكْرَى سَلْمَى ،لِأَعُد بِالزَّمَنِ بِكَ قَبْلَ لَحَظَاتٍ مِنْ دُخُولِنَا قَاعَةَ الْعَرْضِ وَنَحْنُ فِي السَّيَّارَةِ دَارَ بَيْنَنَا حِوَارٌ كَالتَّالِي:

_لَيْسَ عَدْلًا يَا نَهْلَاءُ .. لَيْسَ عَدْلًا أَنْ أَرَاهَا فِي الْمَارَّةِ ،لَيْسَ عَدْلًا أَنْ تَعْبَثَ تَفَاصِيلُهَا بِكُلِّ شَيْءٍ فِي حَيَاتِي

أَجَابَتْنِي بِنَبْرَةِ حُزْنٍ ظَاهِرَةٍ

_لَا بَأْسَ يَا كَارِمِن النَّاسُ يَذْهَبُونَ وَ يَعُودُونَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ ظَنَنَّا أَنَّهَا النِّهَايَةُ وَلَمْ يَنْتَهِ شَيْءٌ .

_لَيْسَت كَالْبَقِيَّةِ وَلَنْ تَكُونَ

_سَتَكُونُ يَا كَارْمِن ،سَتَكُونُ إِنَّهَا فَقَطْ شَخْصٌ آخَرُ يُوضَعُ عَلَى سِجِلِّ مَعَارِفِكَ فَقَط اسْمٌ آخَرٌ وَ مِن بَيْنِ كُلِّ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ وَ كُلِّ تِلْكَ الْوُجُوهِ وَحْدَهَا هِيَ مَنْ تَظْهَرُ

_ فِي حَيَاةِ كُلِّ شَخْصٍ فِينَا يَا كَارْمِنُ أَوْ رُبَّمَا الْأَغْلَبُ سَيَأْتِي شَخْصٌ مَا مِثَالِيٌّ فِي كُلِّ شَيْءٍ سَنَلْمَحُ طَيْفَهُ فِي كُلِّ مَن حَوْلَنَا لَكِنَّهُ يَذْهَبُ فَقَطْ هَكَذَا كَمَا ظَهَرَ مِنَ الْعَدَمِ

_لَا أَعْلَمُ يَا نَهْلَاءُ لَا تُفَارِق تَفْكِيرِي

_ أَأَنْتُ جَاد يَا كَارْمِن؟ فِي أَعْظَمِ يَوْمٍ لَكَ وَلَازَلْتَ تَفَكُرُ فِيهَا كَفَاكَ أَرْجُوكَ

لَسْتُ جَيِّدًا كِفَايَةً فِي سَرْدِ الْأَحْدَاثِ لَسْتُ مَسْئولًا عَنْ هَذَا الْكِتَابِ عَلَى كُلِّ حَالٍ لَسْتُ كَاتِبَهُ وَلَا يُهِمُّنِي إِنْ كَانَ رَاقَكَ بِالْفِعْلِ أَمْ لَا فَأُمْنِيَّةٌ ذَهَبَت، لَكِن لِأَكُن صَادِقٌ مَعَكَ حَتَّى فِي غِيَابِهَا لِأَكُن صَادِقٌ صَدَقْتُ مَعَكَ لِأَبْعَدِ الْحُدُودِ لِتَصْنَعَ مِنْ كِتَابِهَا رُبَّمَا شُعُورٌ شَبِيهٌ لِشَخْصٍ مَا يَقْرَأُ كَلِمَاتِهَا أَو أَن تُحَاوِلَ مُسَانَدَتِكَ فِي وَحْدَتِكَ لِأَنَّ الْعَيْشَ مَعَ

الْبَشَرِ صَعْبٌ ذَاكَ مَا أَخْبَرَتْنِي بِهِ أُمْنِيَّةٌ لَيْسَ كَالْعَيْشِ بَيْنَ صَفَحَاتِ كِتَابٍ تَسْتَهْوِينِي مَعْرِفَةَ أَسْرَارِ عَالَمِ الْبَشَرِ بَل حَتَّى أَنَّ عَالَمَ الْكُتُبِ وَاسِعٌ فَقَد غُصْتُ بِالْفِعْلِ فِي الْكُتُبِ الْبُولِيسِيَّةِ وَكَادَت تُرْهِقُ رُوحِي هُنَاكَ لَيْسَ لِي رَغْبَةٌ فِعْلِيَّةٌ فِي مَوْتٍ غَيْرِ طَبِيعِيٍّ يَنْتَهِي بِتَشْرِيحِ جُثَّتِي لِذَا سَأَبْقَى بَيْنَ صَفَحَاتِ هَذَا الْكِتَابِ وَ مِنْ الْمُسْتَحْسِنِ أَن أَذْهَبَ لِحَفْلَتِي أَعْلَمُ أَنَّ نَهْلَاءَ تُحِبُّنِي ذَاكَ ظَاهِرٌ فِي مَلَامِحِهَا لَم أُحِبَّهَا يَوْمًا لَكِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ الِاسْتِغْنَاءَ عَنْهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ وَصَلْنَا لِلْقَاعَةِ أَرْتَدِي بَدْلَةً كِلَاسِيكِيَّةً عَلَى غَيْرِ عَادَتِي وَكَأَنَّهُ يَوْمُ زِفَافِي نَهْلَاءَ تَرْتَدِي فُسْتَانًا أَحْمَرَ اللَّوْنِ ذُو فُتْحَةٍ ظَاهِرَةٍ لِآخِرِ فَخِذِهَا تَبْدُو جَذَّابَةً لِلْغَايَةِ بِهِ هِيَ تُعْجِبُنِي عَلَى كُلِّ حَالٍ، مِنْ السَّاتَانِ أَنَا مَنِ اخْتَرْتُهُ ، دَخَلْتُ الْقَاعَةَ جَلَسْتُ مَعَ الضُّيُوفِ شَاعِرًا أَنَّ شَيْئًا مَا سَيُحْدُثُ لَم أَدْرِي فِعْلًا مَا الْغَرِيبُ فِي شُعُورِي الْمُفَاجِئِ بِأَنِّي أَنْتَظِرُ شَيْئًا مَا ، إِلَى حِينِ اقْتِرَابِ النَّادِلِ

مِنِّي وَطَلَبَهُ الْغَرِيبَ فِي التَّحَدُّثِ مَعِي عَلَى انْفِرَادٍ، أَخْبَرَنِي أَنَّ امْرَأَةً أَتَت وَلَم يَكُن لَدَيْهَا رَمْزُ الدُخُولِ لِأَنَّهَا لَا تَمْلِكُ هَاتِفًا ، لَا أَعْلَمُ لِمَا أَتَتْ سَلْمَى فِي مُخَيِّلَتِي عِنْدَ قَوْلِهِ لَا تَمْلِكُ هَاتِفًا، الْإِجْرَاءَاتُ مُشَدَّدَةً وَالرَّمْزُ السِرِّيُّ فِي الْهَوَاتِفِ الذَّكِيَّةِ مَعَ تَطْبِيقِ رِوَايَتِي ، ذَهَبْتُ لِأَتَأَكَّدَ بِنَفْسِي

تَوَقَّفَ الزَّمَنُ تَوَقَّفَت الْأَرْضُ عَنِ الدَّوَرَانِ لَم أُصَدِّق مَا رَأَت عَيْنَايَ لَا يُعْقَلُ أَنَّهَا سَلْمَى بِالْفِعْلِ لَا يُعْقَلُ أَنَّهَا صَغِيرَتِي تَغَيَّرَت مَلَامِحُهَا وَتَفَاصِيلُهَا أَيْنَ سَلْمَى مِنْك يَا سَلْمَى!

تَوَقَّفَت عِنْدَ بَابِ الدُّخُولِ هِيَ الْأُخْرَى لَم تُحَرِّك سَاكِنًا ،تَلَاقَت أَعْيُنُنَا بَل تَشَبَّثَت أَعْيُنُنَا بِبَعْضِهَا ولَمْ تَرْضَ الْانْفِصَالَ، لَوْ كَانَ بِمَقْدُورِي لَحْظَتِهَا لَذَهَبْتُ وَعَانَقْتُهَا لَأَخْبَرْتُهَا

كَمِ اشْتَقْتُ لَهَا وَكَم كَانَ مُوجِعًا فِرَاقَهَا وَأَنَّ امْرَأَةً مِثْلُهَا مِنْ وَرَقٍ لَن يَنْسَاهَا حِبْرِيٌّ بَل سَيَكْتَبُ فِيهَا وَعَنْهَا دَوْمًا

لَمْ نَنْتَبِه لِشُرُودِنَا التَّامّ فِي بَعْضِنَا لِحِينِ تَقَدُّمِ النَّادِلِ مِنّي وَ سُؤَالِي

_هَلْ مِنْ مُشْكِلَةٍ؟ دُكْتُور كَارْمِن

اِنْتَبَهْتُ لَهُ بَعْدَ تَحْرِيكِ رَأْسِي بِحَرَكَةٍ عَفْوِيَّةٍ قَاصِدًا جَعْلَ نَفْسِي أَسْتَفِيقُ

_لَيْسَ هُنَاكَ مُشْكِلَةٌ، شُكْرًا لَكَ

دَعَوْتُهَا لِلدُّخُولِ يَوْمَهَا تَحَدَّثْنَا عَن الْكَثِيرِ غَرَقْنَا فِي أَوْجُهِ بَعْضِنَا ،عَادَ أَوَجَ الْمُرَاهَقَةِ لَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ هِيَ كَانَتْ مُتَغَيِّرَةً فِي شَكْلِهَا وَفِي تَحَرُّكَاتِهَا لَيْسَت سَلْمَى بِالْفِعْلِ هَذِهِ الَّتِي أَحْبَبْتُهَا رُبَّمَا هِيَ نِتَاجُ الْخَيْبَةِ ، الْخَيْبَةُ أَتَت مِنّي وَمُدْرِكٌ أَنَّهَا لَمْ تَعْرِفْنِي هِيَ الْأُخْرَى تَغَيَّرْتُ أَيْضًا حَتَّى أَنَا لَم أَعُد أَعْرِفُنِي، تَحَدَّثْنَا طَوِيلًا أَخْبَرَتْنِي كَيْفَ غَدَت الْحَيَاةُ مِن بَعْدِي أَنَّهَا تَزَوَّجَت ورُزِقَت بِزَوْجٍ يُحِبُّهَا وَ يُضَحّي مِنْ أَجْلِهَا قَالَت تِلْكَ الْجُمْلَةُ وَعَيْنَاهَا مَلِيئَتَانِ بِالدُّمُوعِ وَكَأَنَّهَا تُعَاتِبُنِي عَلَى جُبْنِي.

كَيْفَ أُخْبِرُهَا أَنّي بِالْفِعْلِ حَاوَلْتُ الْعَوْدَةَ إِلَيْهَا مَاذَا سَيُغَيِّرُ ذَلِكَ بَعْدَ الْوُصُولِ لِهَذِهِ النُّقْطَةِ، أَخْبَرَتُهَا أَنَّ الْجَدَّةَ مَاتَت نَزَلَت دَمْعَةً بِالْفِعْلِ مِنْ عَيْنَيْهَا قَرَّبْتُ يَدِي لِأَمْسَحَهَا ثُمَّ تَرَاجَعْتُ لَيْسَت مِنْ حَقِّي إِنَّهَا مِلْكُ رَجُلٍ آخَرَ لَمْ تَكُن لِتَرْضَى هِيَ الْأُخْرَى فَقَد أَخْرَجَت مِنْدِيلًا مِن حَقِيبَتِهَا بِنَفْسِ السُّرْعَةِ الَّتِي سُحِبَت بِهَا يَدِي، كَانَتْ جَمِيلَةً وَلَازَالَت تَرْتَدِي فُسْتَانًا أَسُودًا طَوِيلًا أَنِيقًا كَالْعَادَةِ لَازَالَت تَلْبِسُ الْإِسْوَرَةَ مَعَ قِلَادَةٍ مَاسِيَّةٍ رَقِيقَةِ التَّفَاصِيلِ تَمَسِكُ شَعْرِهَا لِلْأَعْلَى وَخَرْبَشَاتٍ لَوْنِيَّةٍ فِي وَجْهِهَا زَادَتْهَا جَمَالًا خَاصَّةً اللَّوْنَ الْأَحْمَرَ الَّذِي فِي شَفَتَيْهَا لَو لَم تَكُن الْمَرْأَةُ الَّتِي أُحِبُّهَا لَمَا رَكَّزَتُ مَعَ هَذِهِ التَّفَاصِيلِ الرِّجَالُ لَا تُحِبُّ سَرْدَ التَّفَاصِيلِ عَلَى كُلِّ حَالٍ بِاسْتِثْنَاءِ الْمَرْأَةِ الَّتِي

يُحْبِبْنَ سَيَحْفَظْنَ حَتَّى مَوْضِعَ الْخَانَةِ إن كَانَ فِي الْخَدِّ الْأَيْسَرِ أَو الْأَيْمَنِ وَفِي حَالَةِ سَلْمَى كَانَتْ فِي الْخَدِّ الْأَيْسَرِ كَانَتْ لَيْلَةً لَن أَنْسَاهَا مَا حَيِيت جَلَسْنَا فِي السَّطْحِ نَزَعَت حِذَاءَهَا لَمْ تَكُن سَلْمَى لِتُحِبَّ الْكَعْبَ الْعَالِ عَلَى كُلِّ حَالٍ هَذَا الشَّيْءُ الْوَحِيدَ الَّذِي لَمْ يَتَغَيَّر بِهَا جَلَسْنَا عَلَى الْأَرْضِ كَأَطْفَالٍ صِغَارٍ، هَرَبْنَا مِن الْجُمُوعِ كَطَيْشِ الْمُرَاهَقَةِ تَمَامًا أَخْبَرَتْنِي أَنَّهَا اعْتَادَتِ الْبَقَاءَ وَسَطَ النَّاسِ بَل حَتَّى أَنَّهَا أَصْبَحَت أَحْيَانًا سَبَبَ تَجَمُّعِهِم، ضَحِكْنَا كَثِيرًا يَوْمَهَا وَبَكَيْنَا أَكْثَرَ، تَذَكَّرَت سَلْمَى أَنَّ عَائِلَةً وَرَاءهَا تَنْتَظِرُهَا وتَذَكَّرْتُ أَنَّ نَهْلَاءَ هِيَ خَطِيبَتِي عَلَى كُلِّ حَالٍ ، أَفَقْنَا مِنْ نَشْوَتِنَا عَلَى رَنِينِ هَاتِفِ سَلْمَى رَدَّت

_نَعَمْ مَعَكَ سَلْمَى ، أَهْلًا بِكَ

لَمْ أَسْمَعْ الْحِوَارَ بِالْفِعْلِ لَكِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنِّي سَمِعْتُ مَا قَالَتْهُ بَعْدَ أَن أَغْلَقَتُ الْهَاتِفَ

تِلْكَ طَبِيبَتِي يَا كَارْمِن أَخْبَرَتْنِي أَنِّي حَامِلٌ فِي الشَّهْرِ الثَّانِي ، سَيَفْرَحُ سَلِيمٌ مُؤَكَّدٌ بِالْخَبَرِ

كَانَ حُلْمًا لَذِيذًا فِي دَقَائِقٍ مَعْدُودَةٍ تِلْكَ مَا تُسَمَّى أَحْلَامَ الْيَقَظَةِ، بَارَكْتُ لَهَا لَم تَكُن سَعِيدَةً بِالْخَبَرِ وكَأَنَّهُ تَمَّ إيقَاظُهَا مِن حُلُمٍ جَمِيلٍ ، رَمَقَتْنِي بِآخِرِ نَظْرَةٍ لَم أَفْهَم إن كَانَت نَظْرَةُ حَسْرَةٍ وَعِتَابٍ أَم وَدَاعٍ ، أَهِيَ نَظْرَةُ الْوَدَاعِ حَمَلَت حَقِيبَتَهَا السَّوْدَاءَ ارْتَدَت حِذَائَهَا وَنَزَلَتِ السَّلَالِمَ بِحَرَكَةٍ سَرِيعَةٍ لَم أَلْحَقْهَا بِأَيِّ حَقٍّ أَفْعَلُ؟

لَم أَعُد جُزْءًا مِنْهَا

...

إِهْدَاءٌ

أَوَّلًا : إلى قرّاءِ كِتَابِي

إِلَى رُوحٍ ضَائِعَةٍ فِي عَالَمٍ أَجْهَلُهُ

إِلَى قَلَمٍ جَفَّ حِينَ اصْطِدَامِهِ بِالْوَاقِعِ

إِلَى عَائِلَتِي وَصَدِيقَاتِي

(مريم،أمال،أمينة ،نور ،خنساء ،نوال ،فاطمة ،أية،نادية،سعادة)

إِلَى الشَّاعِرِ وَأُسْتَاذِي :

عبد الله التواتي مَعَ الشُّكْرِ وَالتَّقْدِيرِ

إِلَى كُلِّ مَنْ سَاهَمَ فِي نُضْجِ قَلَمِي وَرَفَعِهِ فَوْقَ الْوَرَقِ

الرِّوَايَاتُ الَّتِي ذُكِرَت فِي الْفَصْلِ الْخَامِسِ حَقِيقِيَّةً

رِوَايَةَ لَيْتَنِي كُنْتُ أَنَا :لِلْكَاتِبَةِ بن دنيدينة أمينة

رِوَايَةَ سَاكُورَا : لِلْكَاتِب : إدريس خليفة

لِلتَّوَاصُلِ مَعَ الْكَاتِبَةِ وَ مُتَابَعَتِهَا

صفحة الأنستغرام :

Bendenidina amina

الفهرس

منـي إليك ٩

الفصل الأول ١٢

الفصل الثاني ٢٢

الفصل الثالث ٣٩

الفصل الرابع ٦٧

الفصل الخامس ٨٥

الفصل السادس ٩٦

الفصل السابع ١٠٢

الفصل الثامن ١١٠

الإهداء..... ١١٦

التواصل مع الكاتبة..... ١١٧

للنشر والتوزيع